



دكتورة سامية مصطفى مسعد

التكوين العنصرى للشعب الأندلسى وأثره على سقوط الأندلس

التكوين العنصرى للشعب الأندلسى

وأثره على سقوط الأندلس الإسلامية

(٩٣ هـ - ٤٢٢ هـ)

تأليف

د. سامية مصطفى محمد مسعد

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar_Ein@hotmail.com



تقديـــم

إن أحداث سقوط دولة الإسلام فى الأندلس هزت ضمير الكثيرين من المؤرخين هزًا عنيفًا واتجهوا إلى تعليلها تعليلاً منطقيًا معقولاً ، فلم تكن مجرد استسلام فئة قليلة من مسلمى غرناطة ، إنما كانت هزيمة حضارة بأسرها عريقة الجذور أخذت جدرانها تنقضى جيلاً بعد جيل ولم تفلح محاولات الإنقاذ التى بذلها المرابطون والموحدون وبنو مرين وإنما مات بنو الأحمر فى عزلة عن العالم الإسلامى لم تسقط لرحيلهم دمعة أسى .

ومن محاولات التعليل أن طبيعة شبه جزيرة أيبيريا جعلت الأنهار تقطعها عرضًا فتحولت هذه الأودية إلى ولايات منعزلة بعضها عن بعض وأنها كانت تتطلع إلى وحدة قوية متماسكة فى ظل حكومة مركزية لم تقهر ما فرضته الطبيعة من تقسيم .

ومن قائل أن كف الجماعة الإسلامية عن اختراق جبال البرانس وتهديد دولة الفرنجة النامية جعلها تنمو فى أمن وطمأنينة وتقطع صلات العرب بأوروبا وتفرض سيطرتها على سواحل شرق الأندلس والجزر المتناثرة فى غرب المتوسط ، فنالت الإمارات النصرانية فى شبه الجزيرة الظهر المحمى والمساندة القوية ، فكانوا يقاتلون فى الجنوب وظهورهم محمية تحميها جبال البرانس والنظام الفرنجى وتؤيدهم أوروبا الكاثوليكية كلها التى رأت فى سقوط غرناطة نصرًا صليبيًا مؤذرًا سوف تتبعه بمقاتلة المسلمين فى عقر دارهم بالمشرق فى الحركة الصليبية .

فقد عُزِلَ المسلمون فى الأندلس عن أخوانهم فى بر العدوة وبقية أرجاء العالم الإسلامى ، فلم يسمع لهم أحد صريخ استغاثة أو مدت لهم يد المساعدة . ما أشبه الليلة بالبارحة !!! .

ومن قائل أن صراع العصبيات التى تكون منها المجتمع الإسلامى ذلك الصراع العنيف الذى جعل دماء البلاد تنزف دون أن تتوقف لتعلق جراحها أو تكفكف دمعها أو تلتقط أنفاسها فنالت الإمارات النصرانية من الجماعة الإسلامية ذات القوة المستنفدة التى تشكو من الهزال

وسوء الحال فلم تستطع إلا أن تستلم للضربات المتلاحقة التى أصابتها ولعل هذا البحث الذى أنشرف بالتقديم له جاء محاولة جادة من أصحاب هذا الرأى فقد كرست تلميذتى الدكتورة / سامية مصطفى مسعد مدرس التاريخ الإسلامى بجامعة الزقازيق الجهد كله فى الكشف عن هذه العصبيات المتحاربة دون انقطاع لتهد من الكيان الإسلامى ، فقد استعرضت هذه القوى المتصارعة وأرخت لها وعرضت لمعاناة الدويلات الإسلامية عبر التاريخ واستعرضت هذا التاريخ استعراضًا قويًا ناجحًا ووضعت يدها على بيت الداء فى جرأة تاريخية نادرة وفهم صادق لطبيعة التاريخ الأندلسي وعززت ذلك كله بأسانيد دامغة وهوامش غزيرة وحققت ما تريد من قصد وعلى الله قصد السبيل .

د. حسن أحمد محمود

كلية الآداب – جامعة القاهرة

مقدمة

إن الفُرقة العنصرية كانت من وراء المصائب التى حاقت بالمجتمع الإسلامى الأندلسى في جميع عصوره ، فقد افتقد الشعب فى أوقات الأزمات العصيبة الوحدة والتماسك الذى يعطى الصلابة والقدرة على المقاومة ، وسوف نتتبع هذه الفرقة منذ البداية حتى نهاية الخلافة الأموية وقيام ممالك الطوائف .

هذه الفُرقة العنصرية كانت واضحة حتى فى عصر الفتح فقد تكون هذا الجيش من عرب يمنية وقيسية ومن بربر ينتسبون إلى أعراق مختلفة وقبائل متباينة بين برنسية وبترية .

كما أجهضت هذه الفُرقة العنصرية التوسع العربى خارج جبال البرانس وكانت من وراء إخفاق الغافقى فى مواجهة الفرنجة وهزيمة المسلمين فى معركة تور وضياع ثغر نربونة قاعدة الانطلاق .

وهذه الفُرقة العنصرية كانت واضحة فى عصر الولاة أيضًا حينما تصارع العرب القيسية مع اليمنية فى معارك دموية كانت الهزيمة فيها وابلاً على المسلمين إذا أخلوا بقاعًا احتلها العدو وفى نفس هذا العصر كانت هزيمة البربر أمام جموع العرب الشمالية والجنوبية فنالوا منهم ونكلوا بهم وأخلوا البقاع الشمالية كلها فاحتلها العدو حتى يقال إن الإمارات المسيحية تضاعف حجمها خمس مرات إذ فر البربر إلى المغرب ناجين بأنفسهم من هذا الصراع الدموى.

وبعد أقل من نصف قرن من الزمان ومع قدوم عبد الرحمن بن معاوية وتوليه الإمارة الأموية فى الأندلس اضطر أن يدخل فى حروب طاحنة للقضاء على هذه العصبيات المتفرقة من عرب قيسية ويمنية وبربر ومولدين فقضى على هذه العصبيات ولكن إلى حين فقد ظهرت نتائج هذه الصراعات المدمرة بعد وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (الأوسط) (٢٠٦هـ - ٢٣٨ هـ) حين ضعف السلطة المركزية فانتشرت ثورات العرب والبربر والمولدين فى كل مكان وتبددت حياة المجتمع الإسلامى فى الأندلس ، حتى عرفها البعض بعصر الطوائف الأولى .

إلا أن نهاية القرن الثالث الهجرى كانت نهاية هذه الأزمة التى ألمت بالبلاد وتبلغ الأندلس ذروة القوة والتماسك فى ظل رجال عظام مثل الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) الذى قضى على الثورات وضبط البلاد وأعادها إلى جادة الصواب لتصبح الأندلس دولة مرهوبة الجانب مركزية السلطة يسودها الأمن والاستقرار .

ولكن فى أوائل القرن الخامس الهجرى تنحدر البلاد فجأة إلى معترك لا مثيل له من الفتنة والاضطراب والحرب الأهلية المدمرة ويظهر التفرق العنصرى مرة أخرى .

بيد أن انهيار صرح الدولة الأندلسية على هذا النحو لم يكن سوى نتيجة طبيعية لعدة عوامل سياسية واجتماعية توالت لتصل البلاد إلى ما وصلت إليه من تفكك وانهيار ، بل نستطيع أن نرجع هذه العوامل إلى بداية وجود العرب فى الأندلس كما سبق أن ذكرنا .

فكان الخطأ الذى وقع فيه الأمويون أنهم لكى ينفردوا بالأمر ويتمكنوا من السلطة قضوا على النفوذ العربى تماماً وجاء الأمير عبد الرحمن بن محمد فأتم تلك المهمة وقضى على نفوذ العرب وفى سبيل ذلك أشتد فى مطاردة القبائل والأسر العربية ومال إلى اصطناع الموالى والصقالبة فأولاهم النفوذ والثقة .

وكان من جراء ذلك أن انصرفت القبائل العربية عن نصرته فى معركة الخندق الشهيرة ٣٢٧هـ.

وحين استولى المنصور بن أبى عامر على السلطة سار على نفس سياسة الأمويين ليدعم سلطته المركزية .

فعمل على القضاء على العصبية العربية واستعاض عنهم هو الآخر بولاء الموالى والبربر والرقيق من الصقالبة وكان هذا النظام يخفى فى ثناياه عوامل الهدم والتفرق .

فكان كل عنصر من هذه العناصر يخشى على نفوذه وسلطانه ويحاول القضاء على العناصر الأخرى المناوئة له ، فكانت المعارك الدامية بين العناصر المختلفة وفى أثناء هذه الصراعات يزداد المد النصرانى ، يقول بن بسام فى ذخيرته " واشتد كلب العدو من وراء الحدود منتهزاً هذا التمزق والانقسام " ونستطيع القول بأن تمزق الأندلس وتفرقها على هذا النحو كان ضربة لم تنهض الأندلس من آثارها قط ، بل كان عهد ملوك الطوائف بداية عهد

الانحلال الطويل ولم تستطع الأندلس أن تسترد وحدتها الإقليمية القديمة ولا تماسكها القديم بالرغم من محاولات المرابطين والموحدين لجمع شملها وصد عدوان النصارى .

هذا ويعتبر عصر ملوك الطوائف صورة حية للتمزق العنصرى ، فظهرت إمارات عربية وبربرية وأخرى صقلبية ومولدة هذا وقد حاولت فى هذا البحث أن أتابع ذلك التفرق الذى كان سببًا من أسباب ضياع الأندلس وقد رجعت فى كتابة بحثى هذا إلي جمع مادة علمية متنوعة كان فى مقدمتها مصادر التاريخ الأندلسى بالإضافة إلى المراجع العربية والأجنبية المتخصصة والاطلاع أيضًا على أهم البحوث والنشرات والدوريات التى عالجت مادة البحث والدراسة وحسبى أن أكون قد وفيت البحث حقه وعلى الله قصد السبيل

د. سامية مصطفى مسعد

الفصل الأول

عصر الولاة

إن إزاحة الإسلام عن الأندلس بعد عمر طويل وحضارة مزدهرة ، ظاهرة تستأهل النظر والبحث العميق وراء الأسباب الخفية منها والظاهرة ، التى أدت إلى ضياع الأندلس(١) ، ولا أزعم أننى استطيع تناول تلك الأسباب . فى هذا البحث ، ولكنى سأتناول أحد هذه الأسباب وأهمها وهو التكوين المعقد للشعب الأندلسى ، ذلك أن هذا الشعب تألف من كثير من العناصر المتنافرة فهناك أهل البلاد الأصليين(٢) ، سواء كانو مسيحيين(٣).

---

١ - الطاهر أحمد مكى : خمسة قرون على الخروج من الأندلس : بحث فى مجلة العربى العدد ٤٠٠ مارس ١٩٩٢ .

٢ - رجب محمد عبد الحليم : دولة بنو حمود فى مالقة فى الأندلس . رسالة ماجستير غير منشورة سنة ١٩٧٦م.

٣ - وهم الأسبان ممن احتفظوا بديانتهم سواء " المسيحية أو اليهودية " وعاشوا فى كنف الدولة الإسلامية وهؤلاء عرفوا بعجم الذمة أو المعاهدة أو المستعربين (بالإسبانية Mozarabes) وقد عاش معظمهم فى أحياء خاصة بهم وحاولوا التجمع فى مدن معينة مثل طليطلة وأشبيلية وقرطبة وماردة . وقد كفلت الدولة الإسلامية فى الأندلس لعجم الذمة حرية العقيدة ، فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم ، بل إن المسلمين سمحوا للنصارى ببناء كنائس جديدة وما يريدون منَ الأديرة وبلغ من تسامح المسلمين أنهم سمحوا للأساقفة المسيحيين بعقد مؤتمراتهم ومجامعهم الدينية ، ونتيجة لهذا التسامح اتخذ المسيحيون العربية لغة لهم ، كما اتخذوا العادات الإسلامية ومارسوا أفكار المسلمين وتقاليدهم وعرف تاريخ العلم والأدب =

....

= والقضاء فى الأندلس عدداً كبيراً من هؤلاء المستعربين ، أمثال : ابن الشبرقة العالم ، وأحمد بن سليمان القوطى ونصر ابن أبى الشمول وابن فرتون الطبيب ومن القضاة مهدى بن مسلم وأبى المطرف بن فورتش وأبى عمر بن الحصار . وكان من النصارى من شارك فى خدمة الدولة الإسلامية فى الأندلس ولعبوا دوراً هاماً فى العلاقات بين الدولة الإسلامية والممالك المسيحية فى شمال الأندلس ، كما مارسوا حرية العمل فاشتغلوا بالتجارة متنقلين بين المدن والثغور ، كذلك كان لهم دور بارز فى نقل الحضارة الإسلامية إلى أسبانيا النصرانية ، ولما نمت هذه الأقليات ، بدأت فى مناوأة الحكومة الإسلامية وتدبير الدسائس لها ، وخلال القرن الرابع الهجرى قويت السلطة السياسية فى الأندلس فهدأت الأقلية المسيحية حين رأت قوة الخلافة وسيطرتها على الأندلس وبحرهم لنصارى الشمال ، ومع هذا فقد بقى النصارى شوكة فى جنب المسلمين يمالون إحداث الشغب بكل الوسائل وكانوا وراء كل خلاف أو ثورة وكانت جهودهم هذه من أهم العوامل التى أضعفت السلطة السياسية الإسلامية فى الأندلس وإسقاطها بعد ذلك. هذا وقد خصص العلماء الإسبان مصنفات كثيرة فى تاريخ النصارى المعاهدين منهم ، المستشرق الإسبانى "Simonet" الذى وضع مؤلفاً كبيراً عنوانه : "Historia delos Mozarabes de Espagne".

- عن النصارى المعاهدين انظر ابن الخطيب : لسان الدين الدين الإحاطة فى أخبار غرناطة جـ ١ ص ١٠٦ – ص ١١٤ ، تحقيق محمد عبد الله عنان القاهرة سنة ١٩٧٣ . ابن عذارى المراكشى (أبو عبد الله محمد) : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، جـ٤ ، ص ٤٠ ، تحقيق : إحسان عباس . دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٧ ، ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر) : تاريخ افتتاح الأندلس . تحقيق رابيرا مدريد سنة ١٩٦٨ ص ٣٢ ، ص ٣٨ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٢ ، ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد): طوق الحمامة فى الآلفة والآلاف ، تحقيق فاروق سعد ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٢٧٨ ؛ جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة سنة ١٩٧١م ص ٥٦ ، ابن الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد) : تاريخ علماء الأندلس ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ، ص ٥٧ ، ص ٢٦٦ ، ص٣١٢ ، الخشنى (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخُشنى) ، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، نشر : عزت العطار ، القاهرة سنة ١٩٥٢ ، ص ٢١ – ٢٥ ، ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦، جـ٢ ، ص ٣٢٦ – ٣٢٨ . ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : التكملة لكتاب الصلة جـ١ ، نشر مكتبة الخانجى القاهرة ، المثنى بغداد ١٩٥٦م ص ٢١ ، ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) : المن بالإمامة : تحقيق عبد الهادى التازى . ط. بيروت سنة =

أو مسلمين (١).

= ١٩٦٤ ، ص ٦٩ ، ص ٧٣ ، ص ١٨١ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م ، ص ٩٠ ، ص ٩١ ، لطفى عبد البديع ، الإسلام فى أسبانيا سنة ١٩٦٩ ، ص ٢٧ ، ص ٣٠ . حسين مؤنس : فجر الأندلس ، القاهرة سنة ١٩٥٩، ص ٤٩٥ ، السيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس (من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة) : بيروت سنة ١٩٦٢ ، ص ٢٣ ، أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة . دمشق سنة ١٩٧٢ ، ص ١١٠ ، أحمد إبراهيم الشعراوى : الأمويون أمراء الأندلس الأول : القاهرة سنة ١٩٦٩ ، ص ٣٠٩ ، عبد الرحمن الحجى : أندلسيات ، المجموعة الثانية بيروت سنة ١٩٦٩ ، ص ٢٦ ، أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ص ١٩٦٨ ، ص ١١٧.

١ - بعد فتح الأندلس أسلم كثير من الأسبان وقد عرفوا هؤلاء الأسبان باسم المسالمة ، وقد أنجب هؤلاء المسالمة جيلاً جديداً عرفوا باسم المولدين "Muladies" ، وهم نتاج الزواج بين مسلمين عرب أو بربر وبين أسبانيات وهؤلاء نشأوا على الإسلام ، ولقد شارك هؤلاء المولدون فى الحياة السياسية فى الأندلس ، فكان منهم ولاة الثغر الأعلى " كبنى قسى " الذين كانوا موالين للأمويين وكانوا يقفون إلى جانب المضرية فى صراعها مع اليمنية . وقد ساعد تشجيع الأمويين للمولدين على أن يتحولوا ويندرجوا أكثر فى الجماعة الإسلامية وأصبحوا يؤلفون على عهد أمراء بنى أمية وخلفائهم بالكثرة الغالبة من السكان ، ومنهم تكون جمهور الأندلسيين وأهل البيوتات . هذا وقد استقر معظمهم فى المدن الكبرى مثل طليطلة وبعض مدن الثغر الأعلى ، كذلك اشتهر كثير من المولدين بالقوة والنفوذ والثراء ، وأصبحوا فى عداد الطبقة العليا من المجتمع الأندلسى فى العصر الأموى ، فاشتغلوا بالتجارة والزراعة وامتلكوا الضياع الواسعة ، وقد احتفظ كثير منهم بأنسابهم الأسبانية مثل بنو أنجلين " Angelion " وبنو شبرقة " Sa-barica " وبنو القبطرنة " Kabturna " وبنو مردينش " Martunej " وبنو الجريج " Jarge " وبنو لنق " Longo " وبنو غرسية " Gorcia " وغيرهم . ولاشك أن المولدين قد شاركوا العناصر الأخرى فى إنهاء الحكم الإسلامى فى الأندلس فى وقت مبكر ولم يرتضوا رغم إسلامهم موادعة . الدولة الحاكمة ، ربما لأنهم لم يلقوا نفس الامتيازات التى كان يلقاها العرب والبربر ، وترتب على ذلك أنهم كانوا يجنحون دائماً إلى الثورة على الحكومة المركزية فى قرطبة ، ولا سيما فى عهود الضعف ، وخاصة فى أواخر عصر الإمارة مستعينين فى ثوراتهم هذه بنصارى الشمال . ومن غير شك أن تلك الثورات قد كلفت الدولة الإسلامية ثمناً من الدماء والأموال . وحالت دون تجمع الجهود لمناهضة العدو المتربص بهم فى شمال=

وهناك العرب (١).

= الأندلس والذى لم يهدأ حتى كان له ما أراد من القضاء على النفوذ الإسلامى فى الأندلس وإخراجهم من شبه الجزيرة .. عن المولدين انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٩٤ ، ص ٩٥ ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٨ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، جـ٢ ، ص ٥٠٢ ، ابن حيان (أبو مروان بن حيان القرطبى) : المقتبس فى أخبار بلد الأندلس طبعة ملشور أنطونيا : ص ١٦ ، ص ٧٠ - ٧٤ . انظر ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥ ، ص ٦ ، ص ٤٦ . لطفى عبد البديع : الإسلام في أسبانيا : ص ٢١ - ص ٢٦ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس : ص ٤٢٩ - ٤٣٥ ، سامى مكى العانى : دراسات فى الأدب الأندلسى نشر الجماعة المستنصرية سنة ١٩٧٨ م . ص ١١٩ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس : ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، محمد مبروك نافع : تاريخ العرب ، جـ٤ ، القاهرة ١٩٤٩م ، ص ٦٣٦ ، عبد الكريم التواتى : مأساة الوجود العربى فى الأندلس ، ص ٤٩٧ ، الدار البيضاء سنة ١٩٦٧م ، عبد الرحمن حجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٣٠١ ، جودة الركابى : فى الأدب الأندلسى ، القاهرة سنة ١٩٧٥م ، سعد حسين عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى ق ٤ هـ ، ص ١٠١ - ١٠٤ .

Live-Provencal. Histaire de Espagne Musulmane. T.I.p. 76 Leiden. 1950 .

كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس (فى العصر الإسلامى) ص ٤٥ - ٤٦ وما بعدها ، نشر مؤسسة شباب الجامعة . الإسكندرية سنة ١٩٩٣ .

١ - وهم أهم العناصر التى تالف منها المجتمع الأندلسى بعد الفتح ، وقد دخل العرب إلى الأندلس ، فرادى وجماعات متتالية ، وعرفت باسم الطوالع ، يضاف إليهم من هاجر إليها من عرب الشام والعراق ومصر ، هذا وقد عرفت الأندلس ، أربع طوالع عربية ، استقرت فى كا ناحية على طول الطريق الذى سار فيه موسى من الجزيرة الخضراء إلى أقصى الشمال والشمال الغربى ، كما استقر عدد كبير منهم فى ناحية سرقسطة ، كما تناثرت جماعات كبيرة فى قرطبة وما حولها كذلك استقرت جماعات متفرقة منهم فى نواحى الجنوب وقد بين لنا ابن حزم فى جمهرته ، منازل القبائل العربية فى الأندلس ، أما ابن غالب ، فقد حفظ لنا في رسالته " فرحة الأنفس " معلومات ذات قيمة كبيرة عن أنساب القبائل العربية التى سكنت الأندلس منذ الفتح إلى عصر الدولة الأموية ، عن عرب الأندلس ، انظر : ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : طبعة رابيرا ص ١٥ ، وص١٩ ، طبعة دار الكتاب اللبنانى ، تحقيق إبراهيم الإبيارى سنة ١٩٥٢م ، ص ٤٥ ، مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق ونشر لافونتى ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب فى مواضع متفرقة جـ١ ، جـ٢ ، ابن حزم :=

والبربر(١).

= رسالة فى فضل الأندلس ص٦ تحقيق صلاح المنجد سنة . ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن) : فتوح إفريقية والأندلس : نشر مع الترجمة الفرنسية البيرجاتنو . الجزائر سنة ١٩٤٧ ، ص ٩٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٢٣ ، ص ٢٥ ، ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ وصفحات متفرقة من كتاب ، المقرى (شهاب الدين أحمد بن محمد) : نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب : تحقيق إحسان عباس . طبعة دار صادر بيروت ، جـ١ ، ص ٢٩٠ - ص ٢٩٨ ، ابن حيان طبعة شالمتا : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٤٠ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٣٥٥ ، ص ٣٦٨ ، ص ٣٧٠ ، محمد كرد على : غابر الأندلس وحاضرها ، القاهرة ١٩٢٣ ، ص ٣٢ وما بعدها ، محمد عبد المنعم خفاجة : قصة الأدب فى الأندلس جـ١ ، بيروت سنة ١٩٦٢ ، ص ٨٨ ، جودة الركابى : فى الأدب الأندلسى سنة ١٩٧٩ ، ص ٣٧ وما بعدها ، دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ترجمة حسن حبشى ، القاهرة سنة ١٩٦٣ ، جـ١ ، ص١٥٤ ، ومابعدها .

١ - وجود البربر فى الأندلس طرأ مع الفتح الإسلامى ، فمع هذا الفتح تدفقت جموعهم نحو الأندلس ، فهم أول من دخل الجزيرة فى غارات استطلاعية ثغرية لجس الأرض واختبار قوة العدو وبعد هذه الحملة ، قاد طارق بن زياد جيشًا كله من البربر ولم يكن فيهم من العرب إلا القليل ، وفى العصر الأموى فى الأندلس، شارك البربر فى تحقيق النصر لعبد الرحمن بن معاوية (الداخل) على اليمنية ، وعندما سيطر الأمويون على الأندلس لم يغيروا من وضع البربر الاجتماعى ، واكتفوا بالسماح لهم بالدخول إلى الأندلس والحياة فيها إلى جانب العناصر الأخرى ، ولكن البربر رأوا أن ذلك لا يكفيهم ، فبدأوا يشاركون فى الثورة خلال القرن الثالث الهجرى ، كما فعل الفتح بين موسى بن ذى النون سنة ٣٠٠هـ - ٩١٢م حين ثار بقلعة رباح وتحصن فيها منادياً بنفسه أميراً عليها ، ويذكر حسين مؤنس أن حياة البربر قد تميزت بالاستقرار والمشاركة فى الجهاد الذى غلب على عبد الرحمن الناصر ، وقد أيدت قبيلة زنانة البترية الدعوة الأموية فأيدت الخليفة عبد الرحمن الناصر ودخلت فى طاعته وفى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى بلغ ذروة نفوذهم عندما رضى عنهم الخليفة الحكم المستنصر فتزايدت الهجرة البربرية إلى الأندلس هذا وقد حفل عصر المنصور ابن عامر وابنه عبد الملك بوصول أعداد كثيرة من بربر العدوة ومنهم كون أبى عامر مكانة تغلب بها على أقوى المنافسين ، ويذكر محمد عبد الله عنان أنه بعد انحلال الدولة الأموية وسقوطها وعلى أثر الفتنة البربرية التى عمت قرطبة تكاثرت الهجرة البربرية إلى الأندلس حيث كان لصمهاجة دور بارز فيها ، عن البربر : انظر : ابن حزم جمهرة أنساب العرب : جـ٢ ، ص ٤٩٨ ، ص٤٩٩ ، ص٥٠٠ =

والصقالبة (١). وكل عنصر من هذه العناصر ينتمى إلى جنس قائم بذاته ، لكل لغته الخاصة وعاداته ، هذا وإن كانت المصاهرة قد قربت بين تلك العناصر بعض الشىء إلا أنه بقى هناك من مظاهر الاختلاف والتنافس ما يكفى لقيام الصراع بينهما إذا ما حانت الفرصة .

= ص ٤٩٨ ، ص ٤٩٩ ، ص ٥٠٠ ، ص٥٠١ ، ص ٥٠٢ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٠ هذا بالإضافة إلى عدة صفحات من الكتاب . حوت أخبار كثيرة عن البربر ، وكذلك ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، جـ٢ ، ابن حيان : المقتبس : ص ١٩٠ ، ص ١٩٢ ، ص ١٩٣ ، القسم الثالث : ص ١٨ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٢١٦ ، صص ٢٢٨ ، ص ٢٢٩ ، ص ٤٠٤ ، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : العبر وديوانه المتبدأ والخبر ٧ أجزاء . جـ٦ ، ص ١٠٦ وما يليها طبعة بولاق ، حسين مؤنس: ثورات البربر فى الأندلس ، فجر الأندلس ص ٣٨١ ، ٣٨٨ ، جودة الركابى ، ص ٣٨ ، أحمد بدر : تاريخ الأندلسى فى القرن الرابع الهجرى ، ص ٢٤١ ، لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، ص ٣٢ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس ص ١٢٢ - ١٧٥ . عن أسماء القبائل البربرية وأماكن انتشارها واستقرارها فى الأندلس انظر : عبد الواحد طه : استقرار القائل البربرية فى الأندلس . مقال فى مجلة أوراق ، العدد الرابع ص ٣٥ ، ص ٤٨ لعام ١٩٨١ هذا وسترد مصادر كثيرة فى أخبار البربر ضمن هوامش البحث .

١ - المقصود بالصقالبة فى الكتب العربية ، سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى التى امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدرياتى ، على أن كلمة " Esclave " - (صقلب) فرنسية قديمة ومعناها عبد أو رقيق ، وهى التسمية التى أطلقها الجغرافيون العرب فى العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة ثم توسع العرب فى استعمال هذا الاسم فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أى أمة مسيحية ويذكر الرحالة ابن حوقل الذى زار الأندلس فى القرن الرابع الهجرى أن الصقالبة لم يأتوا من ساحل البحر الأسود فقط بل وحتى من المقاطعات الأسبانية الشمالية . كما انتشرت فى غيرها من الدول ، هذا وقد تنوع الأرقاء كذلك ، فمنهم السود ، ومنهم البيض أو المماليك الذين سماهم أدم متز ارستقراطية لتفضيلهم على السود وكان الصقالبة والأتراك أشهر أنواع الرقيق الأبيض فى المجتمع الإسلامى ، لكن الصقالبة كانوا موضوع التفضيل فيستخدم التركى عند غيبة الصقلى ويبدوا أن الصقالبة لم يذوبوا فى المجتمع الأندلسى ، بل كانت لهم حياتهم الخاصة . فهم يمثلون العنصر الأوروبى فى المجتمع الأندلسى . وكان هدفهم هو القضاء على الدولة الإسلامية لينتقموا من هؤلاء العرب الدخلاء الذين استعبدوهم وحولوهم إلى عبيد أرقاء فكان لهم ما أرادوا بسقوط الخلافة فى قرطبة عن الصقالبة : انظر:المسعودى =

إن خاتمة الأندلس ونهايته على أيدى نصارى أسبانيا وخروج المسلمين نهائيًا سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢م ، إنما يرجع إلي أيام الفتح الأولى - وفي هذا البحث لن أتناول قصة الفتح[١] ولكن سأتناول الحديث عن بداية الحكم الإسلامي فى الأندلس[٢] والذى حمل معه عوامل الفرقة

= (أبو الحسن علي بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٥م ، جـ٢ ، ص ٣٣ ، ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي) ، صورة الأرض ، نشر مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٩٧٢م ، ص ١٠٦ ، ابن الآبار : الحلة السيراء . ط١ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، المقرى : نفح الطيب : جـ١ ، ص١٤٠ ، ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام) : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، قسم ٤ ، المجلد الأول ص ٣٤ ، ط٨ ، مجهول : مخطوط وصف الأندلس وتاريخه ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٥٨ جـ ورقة ٢٦ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٠٧ ، مجهول : أخبار مجموعة ص ١٥٥ ، ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام : القسم الثانى تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦م ، ص ٦٠ ، ٦١ ، آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ١ ، ص ٣٠٠ ، سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى جـ١ ص ٥٩٦ ، أحمد بدر : تاريخ الأندلس : ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ ، جودة الركابي: فى الأدب الأندلسى ، ص ٣٩ ، عنان دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول - القسم الثانى ، ص ٤٥١ ، ص ٥١٥ ، إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ، " عصر سيادة قرطبة " ص ١٣ ، ص ١٣٥ ، ص ١٣٦ ، لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، ص ٣٦ ، ص ٣٧ ، السيد عبد العزيز سالم : المسلمون وآثارهم فى الأندلس ص ٢٣٩ ، سامى العانى : دراسات فى الأدب الأندلسى ص ١١٨ ، عبد الكريم التوانى : مأساة انهيار الوجود الإسلامى فى الأندلس ، ص ٥١٠، هذا بالإضافة : الصقالبة فى أسبانيا ، أحمد مختار العبادى : مدريد ١٩٥٣ ، صلاح خالص : أشبلية فى القرن الخامس الهجرى بيروت ١٩٦٥م.

١ - تناول كثير من المؤرخين قصة فتح الأندلس فهم على سبيل المثال :

- ابن الخطيب : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . القسم الثانى . تحقيق بروفنسال، بيروت ١٩٥٦ ، ص ٦ ، ومابعدها ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٢٨ ، وما بعدها ، ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ، ص ١ ، ص١٧ ، مجهول صفحات متفرقة بالإضافة إلي مصادر كثيرة سترد فى هوامش البحث .

٢ - " وهو عصر الولاة فى الأندلس " وهى المدة التى كانت الأندلس تمثل إقليمًا من أقاليم الدولة الإسلامية ويبدأ هذا العهد من وقت تمام الفتح ص ٩٢ هـ فى عهد كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير وعبد العزيز بن موسى ، ثم باتفاق أهل الأندلس على تقديم أيوب بن حبيب اللخمى الذى دامت ولايته حوالى=

والتنافس فى معارك حامية من أجل البقاء فى الجزيرة ، الأمر الذى طبع الحياة الإسلامية في الأندلس بطابع فريد يميزها طوال العصور الإسلامية (١).

فبعد أن هدأت موجة الفتوح الإسلامية فى المغرب والأندلس ، تجددت قصة النزاع القديم بين المضرية واليمنية ، تلك النعرة القبلية التى كانت قد هدأت فى أثناء الفتوح ، لم تلبث هذه العصبية أن انطلقت من عقالها وتأثر بها الخلفاء فى دمشق ، فكثيرًا ما خضع تعيين الأمراء فى مناصبهم أو عزلهم أو قتلهم لهذه النزعة (٢)، فالعصر الأموى كان عصر العصبية القبلية فى أوضح صورها ، فيذكر الدكتور حسن محمود(٣) أن الحكم الأموي كان أحياء للقرشية القديمة من تكوين الأحلاف القبلية وضرب الأحلاف بعضها ببعض إبقاء لنفوذهم .

ثم إن هناك عنصرًا اضطر أن يحسب له ألف حساب وهو عنصر البربر ... الذين يرجع لهم الفضل فيما أحرزه طارق ابن زياد من انتصارات مكنت للعرب فى الأندلس (٤). والغريب أن العرب والبربر الذين اشتركا معًا فى القتال ، فرقتهم الأطماع وتصدعت لفرقتهم جبهة الإسلام القوية (٥).

= ستة أشهر ، ثم تتابع الولاة على الأندلس حتي انتهى عصرهم بانتهاء ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ١٢٩ هـ- ١٣٨هـ ، انظر الحميدى (أبو عبد الله محمد بن أبى نصر) : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٥ - ص ٨ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٨ ، ابن عذارى : البيان المغربى جـ٢ ، ص ١٥ ، ص ٤٠ ، مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس بالإضافة إلي عدد كبير من المصادر والمراجع سترد فى هوامش البحث .

١ - حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص٦٣ الناشر دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٢م.

٢ - " يذهب بعض الدارسين إلى اعتبار تلك الصراعات القبلية دافعًا لثورات البربر على الحكم الأموى " انظر: حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٤٤ .

Marcais. G.La Berberie Musulmane, p. 141. Paris, 1946 .

٣ - حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ص ٦٣ .

٤ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٢٨ ، وما بعدها ، مجهول : أخبار مجموعة فى تاريخ الأندلس، نشر دون لافونتى مدريد سنة ١٨٦٧م ، ص ٦ ، ص ٢٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ ، ص ٤ - ١٥ .

٥ - حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ٦٦ .

ويفسر بعض المؤرخين هذا الخلاف بأن العرب اختصوا أنفسهم بخير بقاع الأندلس ولم يتركوا للبربر إلا النواحي القاحلة في الشمال والشمال الغربي [١]. وليس هذا تفسيراً صحيحاً ، فقد استقرت جماعات بربرية كثيرة في أخصب نواحي الأندلس ، في الشرق والغرب والجنوب[٢] بل كادت ناحية[٣] الجزيرة الخضراء[٤] أن تكون قاصرة عليهم لكثرة من

---

١ - " يرى المستشرق الهولندي رينهارت دوزي " R.Dozy " أن العرب أنفسهم هم الذين قرروا وحددوا استقرار البربر في الأندلس وهو يعتقد أيضاً أن العرب لم يكونوا عادلين في تقسيمهم للأراضي بينهم وبين هؤلاء البربر لأنهم أي العرب على حد زعمه حاولوا الاحتفاظ بالأماكن السهلية الخصبة لأنفسهم .
R.Dozy : Spanish Islam : Englishn trans. By F.G.Stokes. London. 1913, p. 13 .

- وانظر أيضاً : عبد الحميد العبادي : المجمل في تاريخ الأندلس ، ص ٦٥ ، المكتبة التاريخية ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت ، سنة ١٩٦٢ ، ص ١٢٤ ، محمود علي مكي: التشيع في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، العدد الثاني سنة ١٩٥٤ ، ص ٩٨ .

٢ - حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامي ، ص ٦٦ .

٣ - عبد الواحد طه : استقرار القبائل البربرية في الأندلس مقال في مجلة أوراق ، العدد ٤ سنة ١٩٨١ ، ص ٣٥ - ٤٨ .

٤ - الجزيرة الخضراء بالأسبانية " Algeciras " وهي تقع قرب جبل طارق في أقصى الطرف الجنوبي للأندلس أمام سبته وهي مدينة طيبة تتوسط الساحل وتشرف بسورها على البحر ومرساها من أحسن المراسي ، وكانت تسمى في العصر الإسلامي بجزيرة أم حكيم نسبة إلى جارية لطارق بن زياد كان قد حملها معه من المغرب وتركها بهذه الجزيرة قبيل قيامه بفتح الأندلس ، فنسبت إليها وهي مدينة قديمة من بنيان الروم يطلق عليها Julia Joza . عن الجزيرة الخضراء انظر : البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، طبعة بيروت سنة ١٩٦٥ ، ص ١١٧ ، أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين) : تقويم البلدان : نشر رينو وارسلان ، باريس ١٨٤٠ ، ص ١٣ ، ابن غالب (محمد بن أيوب) : فرحة النفس ، تحقيق لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جـ١ ، نوفمبر سنة ١٩٥٥ وطبعة المحقق ١٩٥٦ ، ص ٢٩٤ ، مجهول : ذكر بلاد الأندلس : نشر وتحقيق بويس مولينا ، جـ١ ، مدريد سنة ١٩٨٣م ، ص ٦٧ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٦٣م ، ص ١٩٩ ، الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، طبعة بيروت سنة ١٩٨٤ ، صفة الأندلس مأخوذة من =

كان فيها من عشائرهم [١].

لكن البربر غضبوا لاستبداد العرب بالحكم واعتبارهم شعبًا محكومًا لا يترك لهم نصيب فى الحكم والإدارة ، رغم اعتناقهم الإسلام ، فقد حرموا من المساواة السياسية والاجتماعية بالعرب[٢] بل وفرضت عليهم الجزية وخاصة فى عهد والى المغرب عبيد الله بنَ الحبحاب[٣]

= الروض المعطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، ص ٧٣ - ٧٥ ، القلقشندى (أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا جـ٥ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة سنة ١٣٢١هـ ، ص ٢٢ ، انظر أيضًا : الرازى وصف الأندلس ، نشر ليفى بروفنسال Revista de Al Aundalus ، الإدريسى (محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف) : صفة المغرب والأندلس ، ص ١٧٦ ، ص ١٧٧.

The Encyclopaedia of Islam 1958, p. 97 ; Art Algecias, By. Huici Meranda. II, London. 1963, p. 524 .

١ - يبدو أن البربر كانوا بأعداد كبيرة فى منطقة الجزيرة الخضراء حيث كان لهم إقليم كامل يسمى إقليم البربر وكانوا يتفوقون حتى على العرب فى منطقة الجزيرة الخضراء نفسها ، انظر العذرى (أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى) : نصوص عن الأندلس ، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى . مدريد ١٩٦٥ ، ص ١٢٠ ، اليعقوبى . كتاب البلدان : نشر دى غويه ليدن سنة ١٨٦٠ ، ص ٣٥٤ .

٢ - أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٩٠ . انظر : حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى فى عصر الولاة ، طبعة ١٩٧٧م بص ٧٦ - ٨٩ .

٣ - هو عبيد الله بن الحبحاب بن الحارث القيس : " كان مولى لنبى سلول ، وكان رئيسًا نبيلاً وأميرًا جليلاً بارعًا فى الفصاحة والخطابة حافظًا لأيام العرب وأشعارها " راجع ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية والأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، طبعة دار الكتاب اللبنانى : بيروت ، سنة ١٩٦٤م ، ص ٩٣ - ص ٩٤ . هذا وقد جاء عبيد الله بن الحبحاب ، فأساء السيرة وكان مهتمًا بترضية الخليفة هشام بن عبد الملك ، فبالغ فى جمع الأموال والسبى وقد أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله " كان الخلفاء فى المشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها إلى عامل إفريقية ، فيبعثون لهم البربريات السنيات . فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب ، مناهم بالكثير وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان . فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة .. " ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص٥٢ ، انظر أيضًا : مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، نشر دون لافونتى ، القنطرة ، مدريد ١٨٦٧م ، ص٣٤ .

ولم يقف الأمر عن ذلك بل تعداه إلى سوء المعاملة والإهانة ، فكان العرب يوقعون بهم أقسى العقوبات لأتفه الأسباب فإذا جرأوا على الشكوى كان عقابهم أشد وأقسى[١] وهكذا تسبب الولاة الأمويين فى المغرب فى إثارة مشاعر الحقد والكراهية عند البربر على الولاة والخلفاء والعرب على السواء مما أوجد مناخًا ملائمًا لانتشار مذهب[٢] الخوارج [٣].

ولقى هذا المذهب نجاحًا كبيرًا بين قبائل البربر لأنه يناسب وضعهم السياسى والاجتماعى فاتخذوه رمزًا للمعارضة القومية للسياسة الأموية [٤]، فقام خوارج البربر بقيادة ميسرة المطغرى[٥] بالثورة على العرب وتغلب عليهم بالقرب من طنجة[٦] سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩م .

واستطاع ميسرة أن يبسط نفوذه على المغرب الأقصى إلا أنه ادعى الخلافة وأساء السيرة فى جماعته ، فقتلوه وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتى[٧] واستطاع هذا القائد أن يهزم

---

١ - حسين مؤنس : ثورات البربر فى إفريقية والأندلس بين سنتى ١٠٢ هـ / ١٣٦ هـ / ٧٢١م - ٧٥٣م ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، العدد العاشر ، المجلد الأول مايو ١٩٤٨ ، ص ٥١ ، ص ٥٢ .

٢ - محمود إسماعيل : الخوارج فى المغرب الإسلامى : دار العودة ، بيروت سنة ١٩٧٦م ، ص ٣٠ .

٣ - من أهم مبادئ هذا المذهب عدم حصر الخلافة فى بيت معين كالبيت العلوى ، أو فى جنس معين كالجنس العربى وإنما الخلافة لله ، أى تترك لأى شخص تجتمع عليه الأمة . الشهرستانى (محمد بن عبد الرحيم): الملل والنحل ، شرح وتحقيق محمد بن فتح الله بدران ، مطبعة الأزهر ، القاهرة سنة ١٩٤٧م ، جـ٢ ، ص ٢٦ .

٤ - أحمد مختار العبادى : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٥ - اختلفت الروايات حول أصل ميسرة ، فتذهب بعضها على أنه من أصل عربى وتنسبه إلي قبيلة الأزد بينما تؤكد الرواية الأخرى وهى الأرجح انتمائه إلي قبيلة مطغرة من البربر . كما اختلفت أيضًا حول لقبه، فقيل ميسرة الحقير أو الخفير وقيل الفقير ويخيل إلينا أن ذلك من نسج خصومه تحقيرًا لشأنه أو لما عرف عنه اشتغاله بالسقاية فى سوق القيروان . انظر محمود إسماعيل : الخوارج فى المغرب الإسلامى ، ص ٤٩ .

٦ - طنجة آخر حدود أفريقية فى المغرب والمسافة بين طنجة والقيروان ١٠٠٠ ميل وهى طنجة البيضاء ، المذكورة فى التواريخ " انظر : مهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨م ، ص ١٣٩ .

٧ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج-١ ، ص ٥٣ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٦٧ ، ٨٢ .

الجيوش العربية هزيمة كبرى فى معركة بالقرب من طنجة سنة ١٢٣هـ / ٧٤٠م قتل فيها عدد كبير من أشراف العرب ولذا سميت بمعركة الأشراف[١] فاضطر الخليفة هشام بن عبد الملك إلى إرسالة جيش ضخم من عرب الشام جعل القيادة فيه للقائد كلثوم بن عياض القشيرى . ولكن هذا الجيش على كثرته لم يتمكن من الصمود أمام حشود البربر عند أول لقاء وانتهى الأمر بهزيمة نكراء منى بها العرب فى موقعة حدثت على وادى سبو عند بليدة بقدروه[٢] فى سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م قتل فيها العدد الأكبر منهم وعلى رأسهم أمير الجيشين كلثوم بن عياش القشيرى والقائد حبيب ابن أبى عبده ، ولم ينج من كبار قواد المسلمين سوى بلج بن بشرى القشيرى وعشر آلاف من الشاميين ، فروا إلى مدينة سبتة[٣] وتحصنوا

---

١ - ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ٥٤ - ٥٨ ، مجهول ، ص ٣٢ ، ص ٣٤ ، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، ص ٤٠ ، وتحقيق : عبد الله أنيس الطباع ١٩٠٧ ، ص ١٥ ، ص ١٦ ، ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية والأندلس ص ٩٥ ، ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، طبعة بيروت سنة ١٩٦٥م ، ص ٦٨ ، ص ١١٠ ، ١١١ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ١٥٤ - ١٥٧ ، المغرب الكبير (العصر الإسلامى) طبعة الإسكندرية سنة ١٩٦٦م ، ص ٣٠٥ - ٣١٢ .

Lavi-Provencal : Histoire de L'Espagne Musulmane. 3Vols, Paris 1950, V.I, p. 43 - 44 .

٢ - ابن عذارى : المصدر السابق جـ١ ، ص ٥٥ ، مجهول : أخبار مجموعة ص ٣٢ - ٣٤ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٠ ، إبراهيم الأبيارى ، ص ١٥ ، ١٦ . تحقيق عبد الله أنيس الطباع .

٣ - سبتة Cauta " وتقع فى شمال المغرب الأقصى على شاطئ البحر المتوسط عند مضيق جبل طارق وترجع أهمية سبته إلى أنها تقع بين بلاد المغرب والأندلس يقول ابن سعيد : " وهذه المدينة بين بحرين وهى ركاب البحرين تشبه الإسكندرية فى كثرة الحط والإقلاع وفيها التجار الأغنياء الذين يتابعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها فى صفقة واحدة " وهذا الوضع الجغرافى دفعها إلى التوجه إلي سواحل الأندلس الجنوبية ولذا نجد أن مدينة سبته فى العصور الإسلامية امتازت بطابع أندلسى فى مظهرها وثقافتها . عن سُبته انظر : ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافيا : تحقيق إسماعيل العربى : بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٣٩ ، ابن سعيد السفاقسى (محمود بن سعيد مقديش السفاقسى) : نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار ، تونس ١٣٣١م . ص ٢٧ ، مجهول : كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار . تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، ص ١٣٧ - ص ١٣٨ ، ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على) : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت بدون تاريخ ، ص ٥٣ ، الإدريسى : كتاب صفة المغرب أرض السودان ومصر والأندلس ، نشر دى غوييه ورورى ، ليدن ١٨٦٤م ، ص ١٦٧ - ص ١٦٨ ، ياقوت =

بداخلها ، فلما حاصرهم البربر حصارًا طويلاً ، وقطعوا عنهم الميرة والأقوات حتى أشرفوا على الهلاك[١] . هذا ويذكر د. محمود إسماعيل[٢] في كتابه الخوارج في المغرب الإسلامي أن عوامل الضعف في جيش كلثوم كانت تنذر بالفشل والهزيمة ، فقد افتقر هذا الجيش إلى النظام والألفة بين عناصره ، من قيسية ويمنية ومتطوعة وأموية ، حيث كانت قيادته للقيسية فثارت الخصومات القبلية وتصدع الجيش العربي قبل التقائه بالثوار من البربر.

هذا ونتيجة لما وصل إليه الجيش العربي في بلاد المغرب استنجد بلج بن بشر بعرب الأندلس كي يسمحوا له ولأصحابه بالعبور إليهم ، ولكنهم رفضوا[٣] لأنهم كانوا من عرب الحجاز كما كان أميرهم في ذلك الوقت عبد الرحمن بن قطن الفهري[٤] من أهالي المدينة المنورة الذين شاركوا في وقعة الحرة ٦٣هـ / ٦٨٢م ، وقاسوا أهوالها [٥]. وهذا يفسر تقاعسه عن معاونة بلج بن بشر وجنوده . وفي ذلك يقول ابن القوطية [٦]. " وانخذل بَلْجُ بن بشر في عشرة آلاف حتى نزل بمدينة طنجة وهي المعروفة بالخضراء ، منهم ألفًا مولى

= (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) : معجم البلدان : جـ٣ طبع ونشر دار صادر ، بيروت ، ص ١٨٢ . ص ١١١ ، البكري : كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك ، نشر دي سلان : الجزائر سنة ١٩١١م ، ص ١٠٣ .

١ – ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ٥٥ ، جـ٢ ، ص ٣٠ ، المجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٧ ؛ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٠ ، أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٩٢، السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ٣٥ ، المسلمون وأثارهم في الأندلس : ص ١٥٧ .

٢ – محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، ص ٥١ .

٣ – ابن عذاري : البيان المغرب جـ١ ، ص ٣٠ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٧ ، وما يليها .

٤ – هو عبد الملك بن قطن بن نفيل بن عبد الله الفهري ولي الأندلس ودخلها في رمضان ١١٤ هـ بعد وفاة أمير الأندلس عبد الرحمن الغافقي ، وكانت ولايته سنتين ، انظر : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٨ ، ص ٣٠ ، ص ٣١ .

٥ – أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص ٩٢ ، السيد عبد العزيز سالم : المسلمون وأثارهم في الأندلس ص ١٥٧ ، حمدي عبد المنعم محمد حسين : ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٣ ، ص ٥ .

٦ – ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ص ٤ ، ص١٦ . تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ١٩٠٧م.

وثمانية آلاف عربى ، وجعلت العرب تحاصره وتحاربه ، فأوصى إلى عبد الملك بن قطن يذكر ما دار عليه وعلى عمه كلثوم بن عياض ، ويسأله أن يبعث إليه مراكب يُجاز به عليها فشار أهل رأيه فى ذلك ، فقالوا له : إن دخل عليك هذا الشامى عزلك فلم يجاوبه " .

غير أنه سرعان ما تغيرت الأحوال لصالح الشاميين فلم تكد أنباء ثورات البربر فى إفريقيا تصل إلى إخوانهم بربر الأندلس حتى هب هؤلاء فى وجه العرب ثائرين (١)، فقاموا بثورات عنيفة يؤيدون فيها مطالب أخوانهم بالمغرب ، فاشتد لهيب الثورة فى الولايات الشمالية ، فتقدم البربر صوب قرطبة(٢) وطليطلة(٣) والجزيرة الخضراء ، وهنا اضطر عبد الملك بن قطن أمير

---

١ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ٣٠ ؛ مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٨ .

٢ - تقع مدينة قرطبة على سهل مرتفع فى سفح جبل قرطبة المعروف بجبل العروس ، ويؤلف هذا الجبل إحدى سلاسل جبال سيرا مريقا وهى تقع من الجبهة الجنوبية على نهر الوادى الكبير وقرطبة مدينة قديمة البناء أزلية من بناء الأوائل . ويصفها الحميرى بقوله : " وهى قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها (عن قرطبة) انظر ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٠٨ ، مجهول : وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، تحقيق حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٦٥م ، ص ١٦٦ ، البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق : عبد الرحمن الحجى ، ص ١٠٤ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٤٠ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة قرطبة ، ابن غالب : قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد ١ ، جزء٢ ، نوفمبر سنة ١٩٥٥ ، ص ٢١ ، الإدريسى صفحة المغرب " نزهة المشتاق " ص ٢١٣ ، المقرى ، نفح الطيب جـ١ ، ص ٤٥٥ - ٦٩٤ ، تحقيق إحسان عباس ، طبعه دار صادر بيروت ، سنة ١٩٦٨م ، السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس جزئين دار النهضة العربية ، سنة ١٩٧١م.

R.B. Serjeant : Islamic textiles pp. 164 - 168 .

٣ - طليطلة : تعريب الاسم " توليدوث " Tholedth ومعنى طليطلة باللاتينى " تولاطو " ومعناها فرح ساكنوها وهى مدينة قديمة البناء ، لا نعرف عن تاريخ إنشائها شيء ويغلب الظن أنها بنيت أيام الإغريق وكانت عاصمة القوط حين دخلها العرب وطليطلة تقع على منطقة شديدة الارتفاع تحيط بها أودية تتدفق منها نهر تاجة الذى يحيطها من ثلاث جهات مساهماً بذلك فى حصانتها ، ولقد عرفت طليطلة بعصيانها على الأمويين .، عن طليطلة . انظر : ابن حيان : المقتبس فى أخبار بلد الأندلس : جـ٥ ، الرباط ص ١٩٧٩ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ، البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٨٦ - ٨٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ ، ص ١٤ - ١٥ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ، مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس : نشر لويس مولينا ، مدريد سنة ١٩٨٣م ، سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس الإسكندرية سنة ١٩٨٥ ، ص ٥١ وما بعدها ، حمدى عبد المنعم حسين : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة الأموية ، الإسكندرية سنة ١٩٨٨ . هذا ولا يتسع الهامش لذكر مصادر عن طليطلة فتاريخ الأندلس كله ورد فيه أخبار طليطلة .

الأندلس أن يطلب العون من جند الشام المحصورين بسبتة ، بعد أن أخذ عليهم المواثيق فى أن يعودوا من حيث أتوا ، بعد القضاء على ثورات بربر الأمدلس وتم الاتفاق على ذلك ، وأخذ منهم ابن قطن عدداً من الرهائن ضماناً لتنفيذ شروطه [١]. فعبر جند الشام المضيق تحت قيادة بلج بن بشر القشيرى[٢] سنة ١٢٣ هـ ، وفى الأندلس قدمت إليهم المؤن والثياب وانضمت قوات بلج بن بشر إلى قوات ابن قطن . وبدأ عرب الشام مهمتهم بمهاجمة جماعة من البربر بقيادة رجل من قبيلة زناتة البربرية فى منطقة شنونة [٣]، فهزم البربر وأصاب الشاميون منهم غنائم كثيرة ، ثم نهضوا مع عبد الملك بن قطن إلى قرطبة ومنها اتجهوا شمالاً ، أما البربر فقد أقبلوا فى حشود هائلة وعبروا نهر تاجة والتقوا مع القوات الشامية فى طليطلة عند وادى سليط[٤] واستطاع الشاميون القضاء على هذه الجموع[٥] ويقول ابن عذارى[٦] : " فكانت هزيمتهم العظمى هناك بوادي سليط من حوز طليطلة " ، غير أن جند الشام الذين جاءوا للقضاء علي ثورة البربر ما لبثوا أن تحولوا إلى مستعمرين

---

١ – مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٥ – ص ٣٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٣٠ ، سالم : تاريخ المسلمون وأثارهم ، ص ١٥٧ ، ص ١٥٨ ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس فى جزئين : طبعة بيروت سنة ١٩٧١م ، سنة ١٩٧٢ ، جـ١ ، ص ٣٥ ، ص ٣٦ ، حسين مؤنس : ثورات البربر فى إفريقية والأندلس ، ص ٥٤ ، ص ٥٥ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول – القسم الأول ، ص ١٢٠ ، ص ١٢١ .

٢ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، نفس الصفحات ، مجهول : أخبار مجموعة ، نفس الصفحة .

٣ – مدينة شنونة Sidonia من أعمال مقاطعة قادس Cadis وهى من الكور المجندة نزلها جند فلسطين من العرب وكورة شنونة كورة جليلة ، جامعة لخيرات البر والبحر ، انظر : الحميرى : الروض المعطار ص١٠٠ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٩٧ .

٤ – وادى سليط ، نهر صغير متفرع من نهر وادى تاجة وهو يخترق سهلاً فى الجنوب الغربى لمدينة طليطلة ، انظر حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ٧ ، هامش ٢ .

٥ – ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٣٠ ، ص ٣١ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٩ ، ص ٤٠ ، ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية والأندلس ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٢١ ، مؤنس : ثورات البربر ، ص ٥٦ ، ص ٥٧ ، سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم ، ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق١ ، ص ١٢١ ، ص ١٢٢ .

Levi-Provencal, Histoire, Vol 1, p. 47. Dozy, Historie, 1, p. 164 .

٦ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، نفس الصفحات .

ورفضوا الخروج من الأندلس والعودة لبلاد المغرب ، فتحدوا عبد الملك بن قطن وقتلوه واختاروا أميرًا لهم هو بلج بن بشر القشيرى فأدى هذا إلي نشوب صراع عنيف بين عرب الأندلس وجند الشام(١) .

فتحالف العرب البلديون بقيادة قطن وأمية ابنى عبد الملك مع البربر الذين كانوا يتلهفون على الانتقام من العرب الشاميين وانضم إليهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمى عامل عبد الملك بن قطن فى أربونة(٢) ومعه جيوشه فساروا بجموعهم نحو قرطبة للقاء القيسية الشاميين بزعامة بلج بن بشر ، وثارت العصبية فى بلاد الأندلس كلها وتسارع اليمنيون للانضمام إلي عبد الرحمن بن علقمة وجمع بلج بن بشر ما استطاع من القيسية ومن انضم إليهم من الموالى وكانت جموع اليمنية أكبر والتقى الفريقان من عند موضع يقال له أقوة برطورة فى منطقة تبعد قليلاً عن قرطبة واشتبك الفريقان فى معركة دموية لم تشهد الأندلس مثلها ، وانتهى الأمر بهزيمة البلدين والبربر وأصيب بلج(٣) فى هذه المعركة ولم يلبث أن توفى متأثرًا بجراحه وخلفه ثعلبة بن سلامة العامل على الإمارة فى قرطبة (٤).

هذا ولم ينته الصراع الذى نشب بين جند الشام من ناحية وبربر الأندلس من ناحية أخرى إلا بعد أن أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك " أبا الخطار حسام الكلبى "(٥) أميرًا على الأندلس ليعمل على التفريق بين الطرفين ؛ فقام بتوزيع المتنازعين على مدن تبعد عن

---

١ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، نفس الصفحات ، مجهول : المصدر السابق ، ص ٤٠ – ٤٤ ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ١ ، ص ٣٦ ، ٣٨ ، ولمزيد من التفاصيل ، انظر : سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٥٧ ، ١٥٩ .

٢ – " مدينة هى أخر ما كان بأيدى المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلى بلاد الإفرنجة وقد خرجت من أيدى المسلمين سنة ٣٣٠ هـ " انر : الحميرى : الروض المعطار ، ص١٢ .

٣ – مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٣ ، أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٩٣ ، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٦٠ ، المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص ٣١٨ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٣٢ .

٥ – ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٣٣ .

الأخرى[١]، على أن تجبى كل قبيلة غلة الناحية التى نزلت فيها وتأخذ عطاءها والزيادة لبيت المال[٢].

وإذا كان هذا هو الحل الذى أزال سببًا من أسباب النزاع الحربى فى الأندلس إلا أنه لم يقض على العصبية القبلية وأصبحت الثورات وسيلة للتغلب على الحكومات وليس أدل على ذلك من تعلب الفوضى فى ذلك العصر من أنه فى الفترة القصيرة ما بين سنتى ١٢٨ هـ / ١٣٧هـ تعاقب على حكم الأندلس عدد لا يقل عن ٢٣ أميرًا وفى مثل هذه الظروف لم يكن من الطبيعى أن يتقدم المسلمون تقدمًا ينكر فى أرض العدو فى الشمال فقد أصبحت الأمدلس منذ سنة ١٢٥هـ مجالاً للنزاع الدموى بين القيسية من ناحية واليمنية من ناحية أخرى .

ذلك أن القيسية بزعامة الصميل بن حاتم[٣] قاموا فى وجه أبى الخطار والى الأندلس وخلعوه وولوا على الأندلس أميرًا منهم هو ثوابة بن سلامة[٤]، فعلى الرغم من البداية الطيبة التى أبداها أبو الخطار إلا أنه كان يمنيًا متعصبًا ليمنيته ، فلم يلبث أن جرفة تيار العصبية فانحرف عن طريق العدل والإنصاف [٥].

ولما توفى هذا الوالى بعد سنتين من ولايته حاول أهل اليمن أن يعيدوا " أبا الخطار " ولكنهم فشلوا فى محاولتهم هذه وافترقت الكلمة وظلت الأندلس أربعة شهور من غير أمير ، ولما اشتد الأمر اتفق رأى الطرفين على أن يختاروا واحدًا بالتبادل من كلا الطرفين ليحكم

---

١ - مجهول : أخبار مجموعة : ص ٤٢ ، ص ٤٣ ، ص ٥٥ - ص ٥٧ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس، ص ٤٢ - ص ٤٣ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٢ - ص ٣٣ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٦٠ - ص ١٦١ .

Levi-Provencal, Histoire, Vol 1., p. 47 - 49 .

٢ - ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ١ ، ص ١٠٢ - ص ١٠٣ .

٣ - كان الصميل بن حاتم هذا جده شمر قاتل الحسين رضى الله عنه وهو من أهل الكوفة ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٣٤ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٦٧ - ٦٩ .

٤ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٣٩ .

٥ - سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ٣٩ .

عامًا وكان يوسف الفهرى ابن عبد الرحمن الفهرى القيسى(١) أول أمير يتولى حكم الأندلس حسب الاتفاق وذلك ١٢٩هـ / ١٥١٥م غير أنه بعد مضى سنة أراد أهل اليمن أن يولوا رجلاً منهم ، فقام « الصميل » فقتل عددًا كبيرًا منهم(٢) .

هذا ولم تشر المصادر التاريخية إلى موقف البربر من أحداث ذلك الصراع بن القيسية واليمنية ومن المرجح أنهم جنحوا إلى مسالمة العرب إلى حين انتظارًا لفرصة مواتية يعبرون فيها عن سخطهم على العرب (٣).

وهكذا اجتمع الناس على يوسف وفى أثناء انشغاله فى إطفاء بعض ثورات الشمال تواترت الأنباء بأن شابًا أمويًا يدعى عبد الرحمن بن معاوية قد نزل أرض الأندلس وإنه فى طريقه يريد الاستيلاء على الإمارة ليفتتح فصلاً جديدًا فى تاريخ الأندلس وتفرقها العنصرى .

وبعد ماذا كان حصاد هذه الفترة فى تاريخ الأندلس ؟ . يقول د. حسن محمود(٤) " كان حصادها هذه الحروب بين من وحدهم بالأمس كفاح واحد وهدف واحد ، واستنفذت قوة لو اندفعت عبر البرانس لاكتسحت فرنسا كلها ولما قامت لدولة الفرنجة قائمة ، فقد أوقف هذا الصراع المد الإسلامي وراء البرانس وسينحصر هذا المد بعد الغافقي نهائيًا بل ستتعرض بلاد الأندلس نفسها للعدوان فى عهد شارلمان ، ولو كانت هذه القوة قد تضافرت فى جهد مشترك للقضاء على المقاومة فى مثواها القاحل فى الشمال ، لما استرد هؤلاء الثوار أنفاسهم وتطاولوا على الإسلام ولما انتهى الإسلام إلي المصير الذى انتهى إليه ، فقد انشغل المسلمون عن بقايا القوط فثبتوا أقدامهم واستردوا البلاد التى أخلاها البربر ، حتى إذا ما قامت الإمارة الأموية وهدأت ريح الفتنة ، وانتهت الفرقة وجد أمراء بنى أمية أنفسهم أمام إمارات أسبانية فى الشمال قوية قادرة على القتال والمقاومة يأتيها المدد من الفرنجة ومن البابوية ، فكانت نواة معركة صليبية فى المغرب ستصل إلى الذروة فى عهد المرابطين ثم الموحدين .

---

١ – لمزيد من التفاصيل راجع مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٥٧ ، ص ٥٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٣٣ – ص ٣٧ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق ص ١٢٥ – ١٢٩ .
Levi-Provencal, Histoire, Vol. 1, p. 50 - 52 .

٢ – مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٥٨ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، الجزء . ص ٣٤ .

٣ – حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ١٠ .

٤ – د. حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ٦٨ .

الفصل الثانى

عبد الرحمن بن معاوية « الداخل »

وصدمة مع العصبيات

حينما انهار حكم الأمويين فى المشرق على أيدى العباسين ، هرب شاب من أمراء البيت الأموى ، قدر له أن ينجو بحياته من سيوف العباسين ، ذلك الشاب هو الأمير عبد الرحمن بن معاوية حفيد الخليفة هشام عاشر الخلفاء الأمويين (١).

واتجه نظر " عبد الرحمن " إلى إفريقية وظل هائمًا على سواحل البربر حيث جد فى طلبه أمير إفريقية " عبد الرحمن بن حبيب الفهرى " (٢).

---

١ - يكنى أبا المطرف وقيل أبا يزيد ، وقيل سليمان ويلقب بصقر قريش أو بصقر بنى أمية أمه « راح » من قبيلة نفزة البربرية : انظر : ابن الكردبوس (أبو مروان بن عبد الملك) : كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء - القسم الخاص بالأندلس : نشر وتحقيق : أحمد مختار العبادى : ص ٦٠ ، ص ٦١ ، ابن أبى دينار القيروانى : المؤنس فى تاريخ إفريقية وتونس : طبعة تونس : ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) ، ص ٤٢ : ٤٣ ، ابن الأبار : الحلة السيراء : جـ١ ، ص ٣٥ .

٢ - هو عبد الرحمن بن حبيب الفهرى من نسل عقبة بن نافع ، ثار بإفريقية أيام ولاية حنظلة بن صفوان ، وأسر جماعة من الأشراف الذين أرسلهم حنظلة لإقناعه بالعدول عن ثورته ، فسار بهم ، وهدد حنظلة بقتلهم لو هاجمه ، ولم يسع حنظلة إلا اعتزال إمارة المغرب ، فظفر بها عبد الرحمن بن حبيب ، فلما قتل الخليفة الأموى مروان بن محمد وسقطت الدولة الأموية ، استقل عبد الرحمن بن حبيب بولاية إفريقية والمغرب ودعا لبنى العباس . =

واستطاع عبد الرحمن بعد جهد كبير أن يفلت من يده وأخذ ينتقل من قبيلة إلى أخرى حتى انتهى به المطاف إلى مدينة سبتة ١٢٧ هـ - ٧٥٥م حيث كان يقيم أخواله من البربر من قبيلة نفرة (١).

واتجه عبد الرحمن بنظرة إلى الأندلس " حيث الصراع الدامى بين القبائل المتنافسة وهو الصراع الذى كان جديراً يفتح باباً لعبد الرحمن للدخول إلى بلاد الأندلس ولذا أرسل الأمير عبد الرحمن بخادمة " بدر " عبر المضيق للتفاوض مع العرب المقيمين فى الأندلس ، فاتجه " بدر " مولى عبد الرحمن أول الأمر إلى أقوى الحزبين نفوذاً وهو الحزب المُضرى ، فعرض على زعيمه الصميل بن حاتم فكرة دخول عبد الرحمن إلى الأندلس وطلب منه التأييد والمساعدة بحكم أنه مضرى مثلهم غير أن الصميل خشى على نفوذه من مجىء عبد الرحمن (٢).

وعندئذ قرر بدر ومن معه من الدعاة الاتجاه إلى اليمنية ، فرحب اليمنيون بقدم عبد الرحمن لعلهم يستطيعون عن طريقه استعادة نفوذهم القديم (٣).

= وكان فى بلاط ابن حبيب يهودى عالم بالحدثان ، فذكر لأبلن حبيب أنه يغلب على الأندلس رجل من أبناء الملوك يقال له عبد الرحمن له ضفيرتان ، فلما قدم عبد الرحمن بن معاوية وكانت له ضفيرتان ، هم بقتله حتى لا تتحقق النبوءة ، وينكر الدكتور سيد عبد العزيز سالم أن هذه القصة ملفقة ونحن نوافقه فى ذلك ، والأرجح فى هذه القصة أن الأمير عبد الرحمن بن حبيب كان يخاف على إمارته فى إفريقية والمغرب من أمراء بنى أمية . انظر مجهول : أخبار مجموعة ص ٥١ :٥٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٦٠: ٦٨ وقد أورد هذه القصة أيضاً المقرى فى كتابه نفح الطيب جـ١ ، ص ٣٢٧ ، ابن خلدون : العبر، جـ٤ ، ص ١١١ طبعة بولاق ، سالم : المسلمون وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٧٧ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول - قسم ١ ، ص ١٥٠ : ١٥١ .

١ - قبيلة نفزة من البربر البُتر وموطنها الأصلى بلاد المغرب الأقصى وكانت تقيم قريباً من سبتة معبر الأندلس وقيل فى طرابلس وقيل بسبرة . انظر ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٥٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٤١ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٠٧ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، جـ١ ، ص ٣٠٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٧٨ .

٢ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٥ - ٤٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٤٣ - ٤٤ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٧٣ .

٣ - لمزيد من التفاصيل عن فرار عبد الرحمن بن معاوية إلى بلاد المغرب واتصاله بالقيسية ورفضهم مساعدتهم واتصال مولاه بدر باليمنية انظر ، ابن القوطية : المصدر السابق ، نفس الصفحة =

عبر عبد الرحمن المضيق ونزل على الساحل الجنوبي الشرقى لشبه الجزيرة الأندلسية عند ثغر المنكب[١] فى ربيع الثانى ١٣٨ هـ / ٧٥٥م ، ثم نزل حصن طرش[٢] وكان أكثر ما فيها موالين للأمويين .

أخذ عبد الرحمن يعمل على تتبع الحوادث وجمع الأنصار ولما علم أن يوسف الفهرى والصميل بن حاتم قد خرجا إلى الشمال لقمع بعض الفتن تحرك هو نحو قرطبة محاولاً الاستيلاء عليها ولكن زوجة يوسف طيرت إليه الخبر فعاد مسرعًا [٣].

وفى الوقت الذى كان فيه " عبد الرحمن " وأنصاره يتقدمون صوب قرطبة ، كان يوسف الفهرى يتقدم فى اتجاه أشبلية[٤] ليوقف تقدمه ثم تسابق الجيشان على نهر الوادى الكبير " أيهما يكون أسبق وصولاً إلى قرطبة .

= مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٥٥ : ٨٨ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٤٥ : ٦٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٤٠٩ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣١٢ ، ص ٣١٥ ، السيد عبد العزيز سالم : المسلمون وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٧٣ ، ١٨٩ ، قرطبة حاضرة الخلافة جـ١ ، ص ٣٣ : ٣٥ ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول : القسم الأول ، ص ١٤٧ ، ١٥٤ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٦٦٤ ، ٦٦٧ .

Levi-Provensal, Histoire. Vol, 1, p. 97 - 104

Dozy : Histoire, Vol, 1, p. 180 - 203 .

١ – يقع ثغر المنكب على ساحل شبه جزيرة الأندلس وهى من أعمال البيرة بينها وبين غرناطة ٤٠٠ ميلاً والمنكب اسم عربى بمعنى الحصن ويسمى اليوم Almunecar أما الاسم القديم فهو Sexl انظر الحميرى: الروض المعطار ، ص ١٨٦ ، ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس ، نشر وتحقيق أحمد مختار العبادى ، الإسكندرية سنة ١٩٨٣ ، ص ٧٩ ، الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٩ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ مادة منكب ص ٢١٦، ابن فضل الله العمرى : " مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار " وصف إفريقيا والمغرب والأندلس . تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب : تونس ، ص ٤٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢١٨ .

٢ – طرش Torrox حصن تابع لكورة البيرة ويعرفها ياقوت بقوله " طرش ناحية بالأندلس على ولاية وقرى " ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٢٩ ، انظر : المراكشى : عبد الواحد بن على ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٤٩ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩م.

٣ – مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، ص ٧٧ – ٧٨ .

٤ – هى مدينة قديمة تقع فى الجنوب الغربى من الأندلس بالقرب من ساحل المحيط عليها جبل الشرف الذى يكثر به شجر الزيتون وسائر الفواكه ، انظر : العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ٩٥ ، الإدريسى : نزهة المشتاق " صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس " ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، دار إحياء التراث العربى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

وقف الجيشان يفصل بينهما نهر الوادى الكبير عند قرية (المصارة) فى شهر الحجة ، ومن عام ١٣٨هـ ، وأخذ عبد الرحمن يعمل الحيلة حتى تمكن من اجتياز النهر وخاض معركة أبدى فيها جراة وحسن تدبير بهر بهما زعماء جيشه ، وقاتل جيش عبد الرحمن قتالاً شديداً فانهزم يوسف والصميل ودخل عبد الرحمن قرطبة وتسلم مقاليد الأمور وكان ذلك بدءاً لحكم الأمويين فى الأندلس(١) .

غير أن سقوط " قرطبة " فى يد عبد الرحمن لا يعنى السيطرة على الأندلس كلها . فالأندلس كانت لا تزال بها أحزاب كثيرة معادية لعبد الرحمن ولم يكن الحزب الذى آزره ونصره سوى حزب من أحزاب كثيرة اقتسمت الأندلس . ولكن عبد الرحمن كان أوسع حيلة وأكثر استعداداً من غيره على الاحتفاظ بملكه بين هذه العناصر المتنافسة .

وقد لاقى عبد الرحمن معارضة من المجتمع الذى عاش عصر الولاه تحكمه الصراعات القبلية ، فثارت ضده اليمنية والمضرية (القيسية) والبربر وحتى الأمويون ثاروا ضده كذلك . لكنه كان شديداً فى معاملة الثوار ، فأخضعهم جميعاً واستحق أن يلقب بصقر قريش(٢).

---

١ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٦ ، ص ٤٧ ، مجهول : أخبار مجموعة : ص ٨٦ : ٩٠ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٣٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٤٦ : ٤٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٨٩ : ١٩٠ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول قسم ١ ، ص ١٥٢ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٦٨٤ : ٦٨٦ .

Levi-Provencal, Histoire de l'Espagan Musulmana., Vol, I, p. 103 - 104.

Dozy, Histoire des Musulmans d'Espagni, Vol, I, p. 21 - 214.

٢ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٣٥ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١٨ : ص ١١٩ .

٣ - كانت بقرطبة وقت دخول عبد الرحمن بن معاوية بيوتات من موالى بنى هاشم وبنى فهر وقبائل قريش وكانوا قد ظفروا بالحظوة والسلطان أيام حكم يوسف الفهرى فلما تولى إمارة الأندلس الأمير عبد الرحمن فقدوا كل ما كانوا يتمتعون به من نفوذ فأخذوا يحرضون ، يوسف الفهرى على خلع طاعة الأمير عبد الرحمن ووعدوه بالنصر والتأييد " عن خلع يوسف الفهرى طاعة الأمير عبد الرحمن وتأييد الموالين ليوسف الفهرى وموقف الأمير عبد الرحمن من هؤلاء المتمردين انظر ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥١ : ٥٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٨٤ : ٨٨ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٩٥ ، ١٩٤ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول ، ق١ ، ص ١٥٨ : ١٥٤ ، مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٦٨٨ . حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ص١٣ .

Levi-Provencal, Histore, Vol, I, p. 106-108.

ثورات القيسية :

وكان أول المعارضين لإمارة عبد الرحمن بن معاوية هم أصحاب التاريخ القديم فى الأندلس، وخاصة القيسية أمثال يوسف الفهرى والصميل بن حاتم وأتباعهما(١) الذين حاولوا استعادة نفوذهم القديم فى البلاد ، بالرغم من سياسة التسامح التى سلكها معهم الأمير عبد الرحمن (٢).

ففى سنة ١٤١هـ / ٧٠٨م ، فر يوسف الفهرى إلى ماردة Marida(٣) حيث اجتمع له جيش كان معظمه من البربر فاتجه صوب إشبلية تمهيداً لغزو قرطبة فخرج عبد الرحمن

---

١ - كانت بقرطبة وقت دخول عبد الرحمن بن معاوية بيوتات من موالى بنى هاشم وبنى فهر وقبائل قريش وكانوا قد ظفروا بالحظوة والسلطان أيام حكم يوسف الفهرى فلما تولى إمارة الأندلس الأمير عبد الرحمن فقدوا كل ما كانوا يتمتعون به من نفوذ فأخذوا يحرضون ، يوسف الفهرى على خلع طاعة الأمير عبد الرحمن ووعدوه بالنصر والتأييد " عن خلع يوسف الفهرى طاعة الأمير عبد الرحمن وتأييد الموالين ليوسف الفهرى وموقف الأمير عبد الرحمن من هؤلاء المتمردين انظر ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس: ص ٥١ : ٥٢ . ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٤٨ : ٤٩ ، مجهول : أخبار مجموعة : ص٨٤ : ٨٨ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٩٤ : ١٩٥ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، ق١ ص ١٥٤ : ١٥٨ ، مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٦٨٨ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ١٣ .

Levi-Provencal, Histoire, Vol. I. p. 106-108 .

٢ - مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ : ٩٥ ، ابن القوطية : المصدر السابق ، ص ٥١ ، ص٥٢ .

٣ - تقع ماردة Marida شرق بطليوس (شرق البرتغال حوالى ١٤٠ كم على الضفة الشمالية لنهر وادى يانة Guadiana ويقول الحميرى أنها " بجوفى قرطبة منحرفة إلى الغرب قليلاً والجوف بمعنى الشمال" . وهذا لاستعمال مألوف عند الأندلسين .

وكانت ماردة من أعظم مدن أسبانيا فى العصر الرومانى إذ أسسها الإمبراطور أغسطس قيصر سنة ٢٥ ق.م. وجعلها عاصمة لإقليم لشدانية " Lusitania " عن ماردة انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص١٧٥ .

البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا : تحقيق عبد الرحمن الحجى ص ١١٩ : ١٢٠ ، ابن غالب فرحة الأنفس، تحقيق لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدولة العربية ، ١٩٥٥ ، المجلد الأول : الجزء الثانى ، ص ٢٩٠ ، ياقوت : معجم البلدان ، القاهرة سنة ١٩٠٦ ، جـ٧ ، ص ٣٦٠، محمد عبد الله عنان : الاثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال القاهرة ،١٩٥٦م ، ص ٣٠٤ : ٣٠٨ .
ase Roman Melida Catalogo Manumental des Espana, Provincia de badojoz, I.I Madrid, 1925. pp. 99 - 102 .

لملاحقته بعد أن تمكن من اعتقال الصميل[١] وانتهى هذا الصراع بهزيمة يوسف وفراره إلى طليطلة مركز الثورة والعصيان ، يقول ابن عذارى[٢] " وفى سنة ١٤٢هـ كان هلاك يوسف الفهرى وقتله بناحية طليطلة وكان قد نهض إليها وتردد بناحيتها شهوراً . فاغتاله بعض أصحابه وقتلوه واحتز رأسه ، وتقدم الأمير عبد الرحمن فشكر الله على موته وأمر بنصب رأسه على جسر قرطبة ... وتوفى الصميل فى ابحبس وقيل أنه خنق " .

هذا ولم تقف الثورة الفهرية (القيسية) عند هذا الحد ، فلم يمض عام[٣] على مقتل الصميل ويوسف الفهرى حتى ثار فى طليطلة أحد زعماء القيسية من أتباع يوسف الفهرى وهو هشام بن عروة الفهرى[٤] وأعلن الثورة واعتصم بالمدينة . فسار إليه عبد الرحمن بن معاوية وحاصره عدة أشهر ، حتى اضطر إلى طلب الصلح ، فاشترط عليه عبد الرحمن أن

---

١ - حاول يوسف الفهرى استمالة الصميل ابن حاتم وأنصاره ولكنه رفض خوفاً من الأمير عبد الرحمن ، ولما علم الأمير عبد الرحمن بهروب يوسف الفهرى لم يشك فى أن الصميل بن حاتم قد شاركه فى التآمر عليه، فسارع بالقبض على الصميل وزج به فى السجن ومعه زيد وأبى الأسود ، محمد ولدى يوسف الفهرى ، انظر ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥١ : ٥٢ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٦٤ : ٨٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٤٨:٤٩ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم : ١٩٤ :١٩٥ ، مؤنس: فجر الأندلس ، ص ٦٨٨ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول ، ق١ ص ١٥٤ : ١٥٨ .

٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٤٩ ، انظر أيضاً : مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٩٩ : ١٠١ .

٣ - لم يمض عام وأربعة أشهر على مقتل يوسف الفهرى ، حتى اندلعت ثورة قام بها والى الجزيرة الخضراء يدعى رزق بن النعمان الغسانى ، ولكن عبد لرحمن بن معاوية تمكن من قتله ، عن تلك الثورة انظر مؤلف مجهول ، ص ٩٢ ، ص ١٠١ ، العذرى : ترصيع الأخبار : ص ١٢٠ . النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، نشر جسبار رامير ، مجلة معهد الدراسات العربية بغرناطة ، سنة ١٩١٧ ، ص ١٥٩ ، عنان : دولة إسلامية ، العصر الأول ، ص ١٦٠ .

Guichand, Al-Andalus, p. 349 : Barcdona, 1976 .

٤ - هو هشام بن عروة (أو عزرة) الفهرى من بنى عم يوسف بن عبد الرحمن وقد تولى والده ولاية الأندلس فى عام ١٠٧هـ / ٧٢٥م يقول ابن عذارى " لما توفى عنبسة قدم أهل الأندلس على أنفسهم رجلاً من العرب يُقال له عزرة ، إلا أنه ورد بعد شهرين يحيى بن سلمة الكلبى والياً من عند أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، فى أخر سنة ١٠٩ ، فكانت ولايته سنتين وستة أشهر " . انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٧ .

يسلم له أبنية رهينة عنده إثباتًا لحسن طاعته فوافق هشام بن عذرة على طلبة وأثر أن يهادنه مؤقتًا وما كاد يعود الأمير عبد الرحمن إلى قرطبة حتى عاد هشام ابن عذرة إلى الثورة ونبذ الطاعة ، فارتد إليه عبد الرحمن ليعاقبه على نكثه لطاعته وفى نيته أن يستنزله ويثأر منه فحاصره فى طليطلة وقتل ابنه أفلح بن هشام ، ثم وضع رأسه فى المنجنيق ، وألقى به إلى أبيه فسقط بداخل طليطلة(١) وعلى الرغم ما فعله الأمير عبد الرحمن بن معاوية فى الثائر من هشام بن عروة إلا أنه لم يظفر بحمله على الطاعة وظل الثائر معتصمًا فى طليطلة، فعاد إلى قرطبة ليضاعف استعداده . ولكن حدث فى تلك الأثناء مما جعله يؤجل مهاجمة طليطلة إذ وردت إليه أنباء عن ثورة جديدة اندلعت فى كورة باجة(٢) تزعمها رجلاً يدعى العلاء بن المغيث اليحصبى (٣).

---

١ - النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٥٩ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٩٣ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ق١ ، ص ١٦١ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٩٧ ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٢٧ .

Levi Provencal : Histoire , Vol. I, 111.

حمدى عبد المنعم محمد حسين : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٢٥ .

٢ - باجة Beja فى البرتغال الحالية ، وتسمى اليوم بيجا وهى قاعدة مديرية الينتجو السفلى Baixo Alen-tejo وتقع على بعد ١٤٠ كليو مترًا جنوب شرق الأشبونة (لشبونة ، ليسبوا) وكانت فى التقسيم الإدارى كورة واسعة تشمل مديرية لينتجوا السفلى الحالية فى البرتغال وجزءًا من مديريتى بطليوس وولبه فى أسبانيا الحالية وباجة مدينة قديمة ويصفها الحميرى بقوله " وأما باجة فهى من أقدم مدائنها ، بنيت فى أيام الأقاصرة بينها وبين قرطبة مائة فرسخ وهى من الكور المجندة ، نزلها جند مصر وكان لواؤهم فى الميسرة بعد جند فلسطين ... ومدينة باجة أقدم مدن الأندلس بنيانًا أولها اختطاطًا وإليها انتهى يوليس قيصر ... وهو الذى سماها باجة ، وتفسير باجة فى كلام العجم " الصلح " انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٦ ؛ الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ٢٠٤ ، راجع أيضًا ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٩٠ ، مجهول : ذكر جغرافية الأندلس ، ص ٥٥ : ٥٦ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٦٢ ، محمد الفاسى : الأعلام الجغرافية الأندلسية ، ص ٢١ ، محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال : الطبعة الأولى ، القاهرة سنة ١٩٥٦ ، ص ٣٢٣ .

٣ - وقيل الحضرمى وقيل الجذامى ، وكان من وجوه باجة ، وله بها رياسة وعصبية (سيأتى الحديث عن ثورة العلاء تفصيلاً) .

ولما نجح عبد الرحمن بن معاوية فى سحق هذه الثورة الخطرة وجه فى العام التالى ١٤٧هـ / ٧٦٤م مولاه بدر وقائده تمام بن علقمة(١) على رأس جيش كثيف حيث حاصراً طليطلة فترة طويلة ، حتى ضاق أهل طليطلة واضطروا إلى طلب الأمان والصلح نظير تسليمها الثائرين يقول صاحب أخبار مجموعة . " وقطع الأمير البعوث على الأجناد وجعلها بينهم دولاً فى كل ستة أشهر ، فإذا انقضت دولة ندب أخرى "(٢) فقبضوا على هشام وعدة من أصحابه فأسلموهم إلى تمام بن علقمة وبدر مولى عبد الرحمن ، فأخذوا إلي قرطبة مقيدين ، معذبين ، محلقين الرؤوس وطيف بهم فى شوارع قرطبة ، ثم أمر الأمير عبد الرحمن بقتلهم وصلبهم(٣) ويؤكد ابن عذارى على أهمية هذه الثورة وخطورتها حيث يذكر أن الأمير عبد الرحمن بن معاوية بعد نجاحه فى إخمادها أرسل الكتب إلى مختلف بلدان الأندلس وأحاطهم علماً بفتحها وإعادتها إلى الطاعة والولاء ، يقول ابن عذارى " فحلق رؤوسهم " أى الثوار " ، وألبسهم جباب الصوف ، وأدخلهم فى السلال ، وحملهم على الحمر ، فأتى بهم على تلك الحال إلى خشب قد أعدت لهم ، فصلبوا فيها ، وكتب إلى البلدان بفتح بطليطلة " (٤).

هذا ولم تستقر الأوضاع طويلاً فى طليطلة ، فقد جنح أهلها للثورة على الحكومة المركزية ، كعادتهم وتزعم الثورة فى هذه المرة أبو الأسود محمد بن يوسف الفهرى علم ١٤٢هـ(٥) /

---

١ – هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة مولى عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفى ، وقد دخل تمام بن علقمة أبو غالب الأندلس فى طالعة بلج – وهو أحد النقباء القائمين بدولة عبد الرحمن بن معاوية ، وولى الحجابة والقيادة وهو الذى افتتح طليطلة عنوة مع بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، ثم ولى وشقة وطرطوشة وطرسونة ، وعمر طويلاً وتوفى فى آخر دولة الحكم الربضى . انظر : ابن الأبار : الحلة السيراء: جـ١ ، ص١٤٣ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٧٤ – ٧٥ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ٤ ، ص ٣٠ ، ٣١ ، ص ٤٥ :٥١ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٣ ، ٦٣ ، ص ٧٤ .

٢ – مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، ص ٩٥ .

٣ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٣ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٦٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٥٩ : ١٦٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، طبعة القاهرة ، ١٣٥٢م جـ٥ ، ص ٢٥ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٣ .

٥ – حمدى عبد المنعم أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٣٢ .

٧٥٩م ، وقد تظاهر محمد عندئذ بالعمى ، واتقن حيلته حتى اقتنع الموكلين به بفقدان بصره . يقول ابن الآبار "[١] و " اشتهرت حركاته بحركات العميات ، ووقع الاشفاق عليه والرثاية له " ... و " هنا انتهز ابن الأسود فرصة ضعف الرقابة عليه ، ففر من سجنه الواقع على نهر الوادى الكبير وجاز النهر ولحق بطليطلة ١٦٨هـ / ٧٨٤م وأعلن الثورة واحتشدت حول أبى الأسود محمد جموع كبيرة من الساخطين على عبد الرحمن بن معاوية معظمهم من القيسية والفهرية ، فسار ابن الأسود فى قواته صوب جيان[٢] كان النصر فيها لعبد الرحمن ثم التقيا على مقربة من قسطلونة[٣] فى الوادى الأحمر[٤] فى موضع يعرف بمخاضة الفتح يوم الأربعاء غرة ربيع الأول ١٦٤هـ / الحادى عشر من سبتمبر سنة ٧٥٨م[٥] فى معركة فاصلة ، هزم فيها أبو الأسود هزيمة كبيرة وقتل من جنده عدة آلاف من أصحابه إضافة إلى

---

١ - ابن الآبار : الحلة السراء ، جـ٢ ، ص ٣٥١ .

٢ - جيان Jean مدينة أندلسية قديمة تقع شمال شرق قرطبة يصفها الحميرى بقوله " مدينة الأندلس ، بينها وبين بياسة ستون ميلاً ، وهى كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار ، كثيرة اللحوم والعسل ، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية ، كلها يربى فيها دود الحرير وبها جنان وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب ، وعلى ميل منها نهر بلُون وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة جداً وبها مسجد جامع وعلماء جلة " انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٠ : ٧١ ، الإدريسى : صفة المغرب ، ص ٢٠٢ ، مؤلف مجهول : ذكر جغرافية الأندلس ، ص ٤٦ ، ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ١٨٤ ، محمد الفاسى : الأعلام الجغرافية ، ص ٢٦ .

٣ - وهى قرية Cazlona وتقع إلى جوار بلدة لينارس Linares الحالية فى شمال مديرية جيان وكان يطلق عليها فى القديم Castulo راجع ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٥١ : ٣٥٢ .

٤ - هو نهر من نهيرات الوادى الكبير وينبع من جبل شقورة وهو يتكون من نهيرات صغيرة فـrrayos تمتلىء بالماء بعد المطر وتصبح مخاضات ، فلابد من أن مخاضة الفتح المذكورة كانت فى ذلك الموقع انظر ابن الآبار : المصدر السابق : جـ٢ ، ص ٣٥١ : ٣٥٢ ، هامش ٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ٤ ، ص ٢٣٤ .

٥ - يضع الرازى تاريخ هذه الموقعة فى أول ربيع أول ١٦٨هـ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٥١: ٣٥٢ ويتفق معه ابن الأثير فيجعل تاريخها سنة ١٦٨هـ ، أما ابن عذارى : صاحب البيان المغرب فيحدد تاريخ هذه الموقعة فى سنة ١٦٩ هـ ، جـ٢ ، ص ٥٧ ، انظر الحميرى : الروض المعطار ١٦٣ ، ابن الآبار: الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٧٧ : ١٧٨

من تردى فى النهر ، ووقع فى المهاوى ، وتلف فى الشعاب " وطارده عبد الرحمن بن معاوية حتى قلعة رباح(١) ، فولى الأسود محمد بن يوسف وخرج عبد الرحمن إلى قتالة ووقعت بينهما معارك عديدة ، فولى الفهرى الأدبار مع فلوله إلى مدينة قورية (٢)، فسار عبد الرحمن بن معاوية لقتاله ثانية ، وهاجم قورية ومزق شمل قواته ، (١٦٩هـ / ٨٧٥م) ففر أبو الأسود إلى قرية ركانة من أعمال طليطلة وظل بها حتى توفى سنة ١٧٠هـ / ٧٦٨م ، فخلفه على زعامة الثورة الفهرية أخوه أبو القاسم بن يوسف واقترن بزوجته ، وعاد ينظم الثورة من جديد فغزاه الأمير عبد الرحمن فى سنة ١٧١هـ / ٧٨٧م ، فلما اقترب من طليطلة خرج إليه القاسم طالبًا الأمان ، فتقبله ابن معاوية وأمنه وصحبه معه إلى قرطبة ورد إليه بعض أموال أسرته(٣).

---

١ - قلعة بالأندلس من أعمال جيان وهى بين قرطبة وطليطلة وهى مدينة حسنة ولها حصون حصينة وقد سميت على اسم التابعى على بن رباح اللخمى الذى اشترك في فتح الأندلس وتعتبر قلعة رباح ومدينة طلفيرة Talavera حد فاصل بين أرض النصارى وأرض المسلمين ويذكر الحميرى أن الإمام محمد بن عبد الرحمن أمر بتحصينها والزيادة فى مبانيها ، وقد سقطت قلعة رباح فى يد الفونسو السادس مع طليطلة ٤٧٦هـ / ١٠٨٥م ، واستعادها أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدى بعد انتصاره فى وقعة الأرك بعد أن تبادلها المسلمون والنصارى عدة مرات وقد خرجت نهائيًا عن حوزة المسلمين . راجع : ابن الأبار: الحلة السيراء ، جـ٢ ، هامش رقم ٣ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، الحميرى : الروض المعطار : ص ١٦٣ ، مجهول جغرافية الأندلس ، ص ٥٠ ، ١٤٧ .

٢ - مدينة بالأندلس من مدن كورة ماردة وهى أولية البناء واسعة الفناء من أحصن المعاقل عرفت قبل الفتح العربى باسم Caunium ، وهى من فتوح موسى بن نصير وكانت قورية دائمًا معقلاً لثورات الخارجين عن طاعة الدولة الإسلامية فى الأندلس وفى سنة ٢٤٦هـ / ٨٦٠م استولى عليها أردينو الأول ملك ليون ثم استردها الخليفة عبد الرحمن الناصر وأخلاها من الثوار ثم أتم عمله المنصور ابن أبى عامر وفى أيام الطوائف أصبحت قورية تابعة لأمراء بن الأفطس فى بطليوس ، ثم استولى عليها الفونسو السادس ولكن المرابطين عادوا فاستردوها وفى أيام الموحدين أصبحت معقلاً إسلاميًا ونقطة دفاع واستمرت قورية فى أيدى المسلمين إلى أن سقطت عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م فى يد الفونسو الثامن . انظر : ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٩٠ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٦٤ ، الإدريسى : صفة المغرب ، ص ١٨٣ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٥٢ : ٣٥٣ ، هامش رقم(١)

٣ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٥٣ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ١١ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٦٩ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٠٥ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٦٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٧ : ٥٨ ، ويذكر ابن الأثير ، أن الأمير عبد الرحمن لم يبق على أبى القاسم ، بل قتله . انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٥ ، ص ٧٠ ، طبعة القاهرة ، سالم =

وبذلك سحق الأمير الأموى عبد الرحمن بن معاوية الثورة الفهرية والتى كانت أخطر قوة تهدد وحدة الأندلس واستقراره(١).

ثورات اليمنية :

وإذا كان الأمير عبد الرحمن قد حل مشكلة ثورات الفهرية والقيسية كما رأينا فقد واجه أيضًا مشكلة اليمنية الذين ظنوا أن تأييدهم للأمير عبد الرحمن قد يبعث لهم مجدهم القديم وامتيازاتهم التى فقدوها ، فلما خاب ظنهم ، وقفوا فى وجهه وناوؤه وراحوا يؤيدون أعداءه الواحد بعد الآخر (٢).

ذلك أن داعية من خصوم بنى أمية وهو العلاء بن مغيث اليحصبى(٣) وكان من وجوه باجة وله بها رياسة وعصبة ، كاتب أبا جعفر المنصور واتصل برسله فى إفريقية واستصدر منه سجلاً للأندلس ، ثم ارتد عائدًا إلى باجة ومعه قوة كبيرة ، فدعا لبنى العباس ، ورفع العلم الأسود وأعلن أنه قد عين أميرًا على الأندلس من قبل الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور وذلك فى سنة ١٤٣هـ / ٧٦٣م وتبعه خلق كثير وتطلع أكثر أهل الأندلس إلى خلع عبد الرحمن بن معاوية(٤) وعلى الأخص جماعات اليمنية التى عقدت العزم على التخلص من ابن معاوية منذ اليوم الذى حال فيه بينهم وبين أعمال القرصنة ، عقب هزيمة يوسف الفهرى (٥).

وقد انتهز العلاء بن مغيث فرصة الثورات التى اجتاحت الأندلس وفجر ثورته فى باجة وانضم الثوار إليه وهرعت القبائل والأحزاب المختلفة إلى الانضواء تحت لوائه ولاسيما اليمنية

= تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٠٥ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول ، قسم (١) ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٣٦ : ٣٧ .

Levi provencal, Histoire, Vol, I, p. 110 .

١ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٧ : ٥٨ .

٢ – حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ٨٧ .

٣ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٢ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٤٦ .

٤ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٢ : ٥٣ ، مجهول : أخبار مجموعة ص ١٠٢ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٤ .

٥ – السيد عبد العزيز : المسلمون وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٩٧ .

وجند مصر واستفحل أمر العلاء وكثر جمعه (١) - فخرج عبد الرحمن من قرطبة فى جمع من قواته وسار عبد الرحمن إلى قرمونة(٢) لمحاربته ، ولكن العلاء انتصر عليه وحاصره فى مدينة قرمونة وأمام هذا الخطر جمع عبد الرحمن جنوده ، وأشعل نارًا عظيمة مخترقًا الحصار بهجوم خاطف ثم انقض على الجيش المحاصر وداهم العلاء فى صفوة جنده ونشبت بين الفريقين معارك شديدة ، هزم فيها العلاء وتفرقت قواته بعد أن قتل منهم نحو سبعة آلاف(٣) وكان العلاء نفسه بين القتلى وجمع الأمير عبد الرحمن رؤوس الزعماء والقادة من رجال العلاء ورقمها بأسمائهم وحملها بعض رسله إلى القيروان ، فألقيت فى أسواقها أما رأس العلاء فقد وضعف فى سفط ومعها اللواء الأسود وسجل المنصور للعلاء ، حيث حمله بعض التجار إلى مكة وكان المنصور(٤) يؤدى فريضة الحج ، وألقى أمام سرادق المنصور ، فلما نظر إليه

---

١ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٥٢ : ٥٣ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٩٣ :١٠٣ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٦٠ ، ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ٢٢٦ ومابعدها ، المقرى : نفح الطيب ، جـ٤ ، ص ٣٦ ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٤ : ٥٥ ، سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس ص ١٩٧ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق١ ، ص ١٦٢ : ١٦٣ ، أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى : القاهرة سنة ١٩٨٠م ، ص ٢٦٢ .

Cond (Jose Antonis) :

Historia de la dominacion de los arabes en Espana. 3, Vols. Madrid. 1820 : 1821. p. 175.

Levi Provencal. Histoire . Vol. I. p. 110 - 11 .

Dozy , Histoire. I. p. 233 - 234 .

٢ - قرمونة " Carmona " مدينة بالأندلس فى الشرق من أشبيلية بينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلاً وهى فى التقسيم الإدارى الأندلسى كورة كبيرة تضم مدنًا أخرى وحصونًا كثيرة وقاعدتها تحمل نفس الاسم وأصل اسمها لاتينى " Carmo " وقد دخلت قرومنة فى حوزة المسلمين سنة ٩٢هـ /٧١٢م وسقطت نهائيًا ٦٤٤هـ / ١٢٤٧ على يد ألفونسو الثالث وهى حاليًا مركزًا إداريًا فى مديرية إشبيلية ، عن قرمونة انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٥٨ : ١٥٩ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٧٣ ، البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ١١٤ ، ياقوت : معجم البلدان " مادة قرمونة ...

٣ - يحسبهم ابن عذارى : بستة آلاف ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٢ ، أما المقرى : نفح الطيب ، فيعدهم بسبعة آلاف ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٣٢ .

٤ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٢ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٣٢ ، مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ق١ ، ص ١٦٣ ، عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٩٨ ، أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٤ :١٠٥ .

المنصور ارتاع وقال " إنا لله عرضنا بهذا المسكين للقتل ، الحمد لله الذى جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان " (١).

هذا ولم يقف دور اليمنية عند هذا الحد من مساعدة الثوار المناوئين للأمير عبد الرحمن .

ففى أوائل سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م خرج سعيد اليحصبى المعروف بالمطرى(٢) بمدينة لبلة(٣) مطالباً بثأر اليمانية الذين قتلوا مع العلاء بن المغيث ، فهرعت إليه اليمانية والتفوا حوله وسار إلى إشبيلية فاستولى عليها بعد أن خرج عنها واليها عبد الملك بن عمر(٤) ، ثم نزل بقلعة رعواق المعروفة بقلعة وادى ابره Guadaira أو قلعة جابر (٥)، فتحصن بها ، فسار إليه الأمير عبد الرحمن بن معاوية وحاصره حصاراً شديداً فاضطر اليحصبى إلى الخروج فى جماعة من أنصاره (٦)، يقول ابن عذارى "(٧) فلم تنشب الحرب بينهم إلا قليلاً ، وقتل المطرى ومن معه تقتيلاً وجىء برأسه إلى الأمير عبد الرحمن .

---

١ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٩ : ١٠ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٥٢ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٣٢ .

٢ - وهو من زعماء اليمنية الذين ثاروا على الأمير عبد الرحمن انظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٤٦ .

٣ - يذهب ليفى بروفنسال إلى أن أصل تسميتها لاتينى هو Lipla وقد دخلت لبلة فى حوزة الإسلام على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير ٩٤هـ / ٧١٤ وخرجت نهائياً من أيدى المسلمين سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م على يد ألفونسو العاشر وتقع لبلة على بعد خمسين كيلو متر غرب إشبيلية علي الضفة الغربية للنهر الأحمر Rio - tinti عن لبلة ، انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٦٩ ، ياقوت : معجم البلدان ، مادة لبلة ، الإدريسى : صفة المغرب (نزهة المشتاق) ، ص ١٧٤ .

٤ - قعيد جماعة آل مروان فى وقته وفارسهم وشهابهم . قدم من مصر على عبد الرحمن بن معاوية فى سنة أربعين ومائة ، وكانت أول ولايته بالأندلس ، وهو فى عشرة رجال من بنيه وفرسانه ، فولاه إشبيلية وولى ابنه عبد الله موورو وأغنى فى حرب يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، عن نكثة وقراره من قرطبة حتى قتل، انظر ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

٥ - على القرب من إشبيلية وكثيراً ما يتفرج فيها أعيانها لحسنها فى المروج والمياه وكثرة الطير " ابن سعيد: المغرب ، جـ١ ، ص ٢٩١ .

٦ - مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٠٥ .

٧ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٣ .

واستمر الأمير عبد الرحمن فى محاصرة الخوارج ، حتى أذعنوا لطلب الصلح ، واستولى علي القلعة وهدمها ، ثم سار إلى شنونة[١] فحاصرها حتى أذعن أهلها لطلب الأمان[٢] .

أما أخطر الثورات االتى أشعلها اليمنية تلك الثورة التى اشترك فى إشعالها كل من عبد الغافر اليحصبى[٣] وحيوة بن ملامس[٤] وعمر بن طالوت[٥] وهم من زعماء اليمنية فى غرب الأندلس وهم أيضًا أبناء عمومة أبى الصباح [٦]، كما انضم إليهم كثير من البربر الناقمين

---

١ - عن شنونة ، انظر ص ٣٠ من الطبعة الأولى .

٢ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، قسم(١) ص ١٦٣ : ١٦٤ .

٣ - هو عبد الغافر اليمانى زعيم اليمانية وكان قد تزعم الثورة فى إشبيلية واستولى عبد الغافر على ما جاور قرطبة من الأنحاء ، كما كثرت جموعه من البربر وأصبح يهدد قرطبة . فخرج عبد الرحمن لقتاله والتقيا بوادى قيس على مقربة من قرطبة ، فاستمال عبد الرحمن حلفاء عبد الغافر اليمانى ودار عليه الدوائر ففر إلى لقنت وطارد عبد الرحمن أتباعه حتى قتل منهم ألوفًا عديدة وذلك سنة ١١٤هـ / ٧٦١م . عن ثورة عبد الغافر اليمانى انظر : ابن عذارى : البيان المغرب : جـ٢ ، ص ٥٠ : ٥١ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ق١ ، العصر الأول ، ص ١٦٠ : ١٦١ .

٤ - حيوة بن ملامس الحضرمى ، رفع لواء الثورة بعد الثائر عبد الغافر اليمانى فى إشبيلية وهو من كبار زعماء اليمنية أيضًا وقد تغلب على إشبيلية واستجة وكثير من نواحى الغرب ، وكان حيوة بن ملامس من أصدقاء الأمير عبد الرحمن وكان يحظى لديه بمنزلة كبيرة ولكنه غدا بعد ذلك من ألد أعدائه وخصومه ورفع لواء الثورة فى تلك الأنحاء واستفحل أمرهْ . فسار إليه عبد الرحمن ونشبت بينهما معارك عنيفة وكادت الدائرة أن تدور على الأمير الأموى ولكن وقع خلاف بين قوات حيوة ولحقهم الإعياء ، فوقعت الهزيمة وفر حيوة إلى منطقة فريش شمالى قرطبة وكاتب الأمير عبد الرحمن راغبًا فى الصلح ، انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥١ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٦ : ٣٧ . عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ق١ ، ص ١٦١ .

٥ - وهو من زعماء اليمنية أيضًا وكان قد ثار فى باحة وهو ابن عمر أبى الصباح الثائر على الأمير عبد الرحمن انظر ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٢ : ٥٣ .

٦ - هو أبو الصباح يحيى اليحصبى ، صديق الأمير عبد الرحمن وحليفه وكان أبو الصباح زعيم اليمنية فى إشبيلية يوم قدوم عبد الرحمن إلى الأندلس ، وكان فى طليعة من هرعوا يومئذ لتأييده ونصرته ، وقاتل يوم المسارة وكان من أكابر خاصته ولكن الأمير عبد الرحمن كان يخشاه ويتوجس منه ، لحديث نقل عنه يوم المسارة بوجوب التخلص من عبد الرحمن ورد الأمر إلى اليمنية وكان عبد الرحمن قد ولاه إشبيلية ، ثم عزله عنها لما ظهر من عجزه فى القضاء على الفتن فيها ، فغضب أبو الصباح وأظهر الخلاف =

على الدولة الأموية واعتزموا المسير صوب قرطبة في غيبة الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) وكان قد استخلف عليها ابنه سليمان مع مولاه بدر يقول ابن القوطية (١). " فوقع الخبر فقدم مُسرعًا ونزل برصُافة وبها يومئذ عريفه ووزيره ، فخرج إليه شهيد من القصر ، وكان استخلفه فيه ، وقال له : لو دخلت القصر واسترحت فيه الليَلة ؟ فقال له شهّيد وما فى راحة ليلة إن لم نظفر بما بين أيدينا ثم أصبح له " .

عاد الأمير عبد الرحمن مسرعًا إلي قرطبة وقدم ابن عمه عبد الملك بن عمر المروانى لقتاله ، ونشبت بين الفريقين معارك دامية فلجأ الأمير عبد الرحمن إلى المكر والخديعة للقضاء على هذه الثورة ، فعهد إلى جماعة من بربر جنده ، أن يتصلوا بزملائهم من بربر جند العدو ، وأن يقنعوهم بخطأ تصرفهم فى نصرة اليمنية ، وإنه إذا تغلب على العرب ، كانت العاقبة وبالاً عليهم ، فأرسل الرسل إلي معسكر العدو ، تحت جنح الظلام وخاطبوا أخوانهم البربر بذلك ووعدوهم الوعود والأمانى وحسن رأى الأمير عبد الرحمن فيهم . واتفق الطرفان من البربر على أنه عندما ينشب القتال يتخاذل البربر الثائرون ويفرون من القتال .

وفى اليوم التالى ، نشبت بين الفريقين رحى معركة عنيفة تقاعس فيها بربر اليمنية وفروا من القتال ، ناكثين بذلك وعودهم فى نصرة اليمنية ، فهزم الثوار وكثر فيهم القتل(٢) وقتل حيوة بن ملامس وأفلت عبد الغافر اليحصبى وركب البحر متجهًا إلى المشرق (٣).

= والمعصية وجمع الانصار حوله من اليمنية ، ورأى الأمير عبد الرحمن أن يأخذه بالملاطفة حتى يأمن شره ، فأرسل إليه تمام بن علقمة يدعوه إلى قرطبة للتفاهم ، فسار أبو الصباح إلى قرطبة وعندما عاتبه الأمير عبد الرحمن أغلظ له أبو الصباح القول فما كان من الأمير عبد الرحمن إلا إن أمر بقتله ، انظر : ابن القوطية : المصدر السابق ، نفس الصفحات ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٣ : ٥٤ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ق١ ، ص ١٦٤ .

١ – ابن القوطية : نفس المصدر ، ص ٥٣ .

٢ – ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥٣ : ٥٤ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول . ص ١٦٥ : ١٦٦ .

٣ – مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٩٨ : ٩٩ ، ابن القوطية ، المصدر السابق ، نفس الصفحات .

Levi Provencal, Histoire, Vol, I, p. 111 - 112 .

هذا وقد أشعل اليمنية نار الثورة مرة أخرى متسترين حول محاولة عباسية أخرى ، فقد حاول الخليفة المهدى (١٥٨هـ / ١٦٩م) كما حاول أبوه من قبل إزالة الدولة الأموية فى الأندلس فأرسل شخصًا يدعى عبد الرحمن ابن حبيب الفهرى المعروف بالصقلبى[١] إلى الأندلس لاستمالة بعض رجالها للثورة على الإمارة الأموية والدخول فى طاعة الخلافة العباسية[٢].

فانضم إلى عبد الرحمن بن حبيب هذا رجل يدعى سليمان بن يقظان الكلبى الأعرابى[٣] حاكم مدينة برشلونة[٤] والذى كان على خلاف مع الأمير عبد الرحمن . والحسين بن يحيى الأنصارى[٥] والى سرقسطة[٦] .

---

١ – هو أحد أصهار يوسف الفهرى وسمى بالصقلى " لأنه كان طويل أشقر أزرق أمعر " وهو غير سميه عبد الرحمن بن حبيب المتغلب على إفريقية ، فقد قتل هذا المتغلب على إفريقية منذ ١٤٠هـ ، بعد أن خرج على طاعة بن العباس ، انظر مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٠١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٥ .

٢ – النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٦٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٥ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص ٥٤ ،

٣ – هو سليمان بن يقظان الأعرابى كان حاكمًا على مدينة برشلونة فى الثغر الأعلى وعندما خرج بدر مولى عبد الرحمن الداخل ١٥٠ هـ / ٧٦٧م إلى منطقة الثغر الأعلى ليتفقد أحوال الثغر أخذ كل من اشتبه بولائه لحكومة قرطبة ومنهم سليمان الأعرابى حيث نقله إلى قرطبة وفرضت عليه الإقامة فيها . وبعد المأساة التى حلت باليمنية حرض الشاعر المشهور بن هلال القضاعى سليمان بن الأعرابى ودعاه إلي أخذ ثأر اليمنية ، فخرج ابن الأعرابى من قرطبة وسار إلى سرقسطة متمردًا وقد بدأ سليمان الأعرابى تمرده على الأمير عبد الرحمن الداخل سنة ١٥٧هـ / ٧٧٤م بالتعاون مع الحسين بن يحيى الأنصارى والى سرقسطة فأرسل الداخل إلى سرقسطة جيشًا بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامى ، ولكن هذا الجيش تعرض للهزيمة وأسر القائد ثعلبًا وذلك سنة ١٥٨هـ / ٧٧٥م .

٤ – وهو تقريب مطابق لأصلها اللاتينى " Barcenona " وهى فى القسم الثالث من الأندلس مسورة على ساحل البر واليهود بها يعدلون النصارى كثرة ولها ربض خارج منها ، عن برشلونة ، راجع : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٢ ، البكرى : جغرافيا الأندلس وأوربا ، ص ٩٦ : ٩٩ .

٥ – يقول العذرى أنه كان من نازل سرقسطة وهو من ولد سعد بن عبادة ، وكان كالشريك لسليمان بن يقظان، فخوطب من قرطبة يؤمر باغتيال سليمان على أن يتولى سرقسطة ، ففعل (ووصل) الإمام عبد الرحمن بن معاوية سرقسطة وقد ملكها الحسين بن يحيى فسجل له عليها وأخذ ولده رهينة وذلك سنة خمس وستين ومائة انظر : العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٦ .

٦ – فى شرق الأندلس وهى المدينة البيضاء وهى قاعدة من قواعد الأندلس ، كبيرة القطر ، أهله ممتدة الأطناب واسعة الشوارع حسنة الديار والمساكن متصلة بالجنات ولبساتين ، راجع الحميرى : الروض المعطار ، ص ٩٦ .

وكانت الخطة المتفق عليها كما يذكر أ.د. أحمد مختار العبادى[١] هى أن يعبر شارلمان أو كارل الأكبر بجيوشه جبال البرتات فى شمال أسبانيا ويتجه إلى مدينة سرقسطة فيسلمها له ابن الأعرابى[٢] وفى نفس الوقت يأتى عبد الرحمن بن حبيب الفهرى من المغرب فى أسطول بحرى وجيش من البربر ويهاجم الساحل الشرقى للأندلس وينزل بجيوشه فى منطقة تدمير[٣] "مرسية" وبهذا يطوقون عبد الرحمن ويقضون عليه ثم يعلنون الطاعة لبنى العباس .

---

١ - أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٧ وما بعدها .

٢ - تتفق كل من الروايتين العربية والفرنجية (اللاتينية) كلتاهما صريحة فى أن الدعوة جاءت من سليمان بن يقظان (الأعرابى) وحلفاءه ، والرواية العربية تقول إن سليمان استدعى " شارلمان " ملك الفرنج إلى بلاد المسلمين ، ووعده بتسليم برشلونة أو سرقسطة . وتوافق الرواية اللاتينية على ذلك وتزيد أن سليمان وحلفاءه أعلنوا خضوعهم لملك الفرنج وانضوائهم تحت لوائه . انظر مجهول : أخبار مجموعة ص ١١٢:١١٣ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص ٥ ، ص ٢١ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٢٤ .

Pidal : La Chomnson de Roland - y - el Neotradicion - alismo (Espana clpe, Madrid 1950, p. 180) ; Levi Provencal : Histoie, Vol, I, 118-124 .

٣ - تدمير هو الاسم القديم لكورة مرسية ، وتقع فى جنب شرق أسبانيا وتنسب تدمير إلى ثيودومير حاكم هذه المنطقة أيام الفتح العربى لأسبانيا ، وهو الذى عقد معاهدة مع عبد العزيز بن نصير، وبموجب هذه المعاهدة احتفظ بشىء من الاستقلال ، ولقد خربت هذه المدينة وطمست معالمها على أثر الحرب الأهلية التى احتدمت بين المضرية واليمنية ، فقد أقامت القبائل العربية وخاصة اليمنية والتى شاركت فى فتح المدينة فى تدمير ومع مرور الوقت اندمجوا فى سكان البلاد الأصليين وشاركوا فى زراعة الأرض مستخدمين خبرتهم القديمة فى هذا الميدان ، وفى عهد الأمير عبد الرحمن الداخل تحولت هذه المنطقة إلى كورة عادية قاعدتها أوريولة وفى سنة ٢١٦هـ (٨٣١م) اختطت مدينة مرسية أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط على يد جابر بن مالك بن لبيد عامل تدمير يومئذ ولم تلبث مرسية بعد ذلك أن صارت قاعدة لكورة تدمير ثم سميت الكورة كلها باسمها ، وقد استبد بأمر مرسية وكورتها المولبان العامريان خيران وزهير بعد انفراط عقد الخلافة ، ثم ضمت إلى كورة بلنسية وانفصلت عنها بعد ذلك . وفى أواخر أيام الموحدين استقل بها محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل ، وأصبحت تسمى فى النصوص الإسبانية باسم مملكة مرسية El Rein De Murcia وقد خرجت مرسية من أيدى المسلمين نهائيًا فى جمادى الأولى سنة ٦٦٤ فبراير سنة ١٢٦٦ على يد خايمة الأول ملك أرغون الملقب بالفاتح .

انظر ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٦٣ ، جـ٢ ، ص ٣١٦ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ١ – ص ١٠ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨١ ، ص ١٨٣ ، البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا ، ص =

وقد تبدو هذه الخطة محكمة ولكنها فى الواقع صعبة فى تنفيذها من الناحية الاستراتيجية، لأن نقل الجيوش من مكان إلى مكان في هذه المناطق الوعرة أمر ليس بالسهل تنفيذه(١) .

وفى سنة ١٦١ هـ (٧٧٧م) عبر شارلمان الحدود الشرقية الإسبانية ، ولم يكد شارلمان يصل إلى أسوار سرقسطة ، حتى تراجع منهزمًا أمام هجوم خطير من أهالى المدينة الذين رفضوا تسليم مدينتهم لملك مسيحى وانضموا إلى الحسين بن يحيى الأنصارى ويبدو أن الحسين بن يحيى طمع فى الانفراد بحكم سرقسطة رغم توسلات ابن الأعرابى (٢)، وفى ذلك الوقت بلغته الأنباء من بلاده بأن القبائل السكسونية الجرمانية ، قامت بثورة خطيرة وتركت الديانة المسيحية وارتدت إلى ديانتها الوثنية القديمة ، واضطر شارلمان إلى العودة إلى بلاده ١٦٢هـ (٧٧٨م) وفى أثناء عودة الجيش الفرنجى المحزنة عبر جبال البرانس(٣) هجمت عليه قبائل الباسك (البشكنس) وغيرهم من سكان الجبال ، فكبدوه خسائر فادحة فى الأرواح والعتاد .

وفى ذلك الوقت نزل عبد الرحمن بن حبيب الفهرى على ساحل تدمير ومعه جيشه وأسطوله وأخذ يدعو الناس للدخول فى طاعة العباسيين والدعاء للخليفة العباس المهدى ، ودعا لقتال عبد الرحمن بن معاوية فأجابه كثير من البربر ، وانضموا تحت لوائه واستطاع أن يكون جيشًا كبيرًا وذلك فى سنة ١٦٣ هـ / ٧٧٩م (٤).

= ١٢٧ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١١٦ . تاريخ مدينة مرسية الإسلامية منذ تأسيسها حتى استيلاء المرابطين عليها : عزت قاسم أحمد عبد النبى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب الإسكندرية ١٩٨٤ .

١ - أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١٠٧ .

٢ - لمزيد من التفاصيل انظر العذرى : ترصيع ، الأخبار ص ٢٥ - ص ٢٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٥ - ص ٥٦ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٦٨ - ص ٢٦٩ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ٣، ص ٢٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص ١٣ - ص ١٤ ، عنان : دولة الإسلام الأندلس، ق١ ، ص ١٨٣ - ص ١٨٤ .

٣ - جبال البرانس هى جبال المعدن Sierra de Almadend وتقع شمال قرطبة ، انظر البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا ص ٨٥ .

٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٦٦ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٦٨ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص ٥٤ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٠١ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ١٨٥ : ١٨٦ .

كتب عبد الرحمن بن حبيب إلى سليمان بن يقظان الأعرابى - يدعوه لنصرته فلم يجبه سليمان إلى ذلك .

فخرج عبد الرحمن بن حبيب ومعه حشود من البربر متوجهًا إلى سليمان بن الأعرابى ، وعند مشارف برشلونة وقعت بينهما معركة كان النصر فيها لسليمان بن الأعرابى ، فعاد عبد الرحمن بن حبيب إلى تدمير واستغل الأمير عبد الرحمن بن معاوية هذا الوضع فسارع بجيش كبير وكانت خطة عبد الرحمن فى حروبه كما يذكر أ د. أحمد مختار العبادى أن ينازل أعداءه منفردين كى يسهل القضاء عليهم واحدًا بعد الآخر(١) يقول ابن عذارى(٢) " وفى سنة ١٦٣ هـ ثار عبد الرحمن بن حبيب الفهرى .... فى السنة قبل هذه فى ناحية تدمير ، فغزاه الأمير عبد الرحمن ، فهرب ابن حبيب وتعلق بالوعر ، فجال العسكر فى كورة تدمير ، وتقدم إلى بلنسية بعد أحرق المراكب بساحل البحر " .

توجه عبد الرحمن بن معاوية إلى ساحل تدمير كما سبق أن ذكرنا وكانت سفن الصقلى راسية فيه ، فأمر بإحراقها واضطر عبد الرحمن بن حبيب إلى الهرب إلى مدينة بلنسية(٣) وفى نفس الوقت لجأ الأمير عبد الرحمن إلى سلاح المال ، فأعلن بذلك ألف دينار لمن يأتيه

---

١ - أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٧ .

٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٦ .

٣ - بلنسية Valencia مدينة كبيرة ، تقع فى شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يومًا وتقع على بعد أربعة كيلو مترات من ساحل البحر المتوسط ولها ميناء يسمى جراوه Groa وهى مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس . وبلنسية مشهورة بخصبها وبزراعة الأرض ... وقد فتح العرب بلنسية سنة ٩٥ هـ / ٧١٤م ، وبقيت مع العرب المسلمين إلى أن تعرضت لغزو القائد القشتالى المعروف بالسيد القمبيطور أى المحارب El - cid Campeador الذى كتب حوله الإسبان القصص والملاحم - El Poema del cid وتغنوا بقوته وشجاعته بل قرنوا اسمه بمدينة بلنسية فقالوا بلنسية السيد Valncia del cid باعتبار أنها كانت مقرًا لحكمه حتى وفاته ٤٧٨هـ / ١١٠٢م فأعاد الأمير المرابطى يوسف بن تاشفين تجديدها وتسست بها بعد ذلك إمارة بنى مرذنيش إلى أن سقطت نهائيًا فى يد ملك أراجون خايمى الأول الملقب بالفاتح سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٣٨م . انظر ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦ : ٤٧ ، الإدريسى : نزهة المشتاق ، صفة المغرب ، ص ١٩١ ، الفاسى : تحقيق الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البينة ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، الرباط ، ١٣٨٢هـ / يوليو ١٩٦٥ ، ص ٢٣:٢٤ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ٢٦ .

برأس عبد الرحمن بن حبيب " فاستطاع رجل من البربر يسمى مشكار أن يتقرب من عبد الرحمن بن حبيب ، فأظهر له الأمان فاطمأن إليه وأصبح من ثقاته ، فتمكن منه مشكار وقتله وأرسل رأسه إلى الأمير عبد الرحمن بن معاوية(١) وانهارت بذلك دعوة بن حبيب .

وفى العالم التالى تأهب عبد الرحمن للقضاء على سليمان بن الأعرابى فسار ناحية سرقسطة للقضاء على الثوار ، وقبل أن يصل الأمير عبد الرحمن إلى سرقسطة أوعز بن يحيى الأنصارى إلى أحد أتباعه بقتل الأعرابى فى المسجد الجامع سنة ١٦٤هـ / ٧٨٠م حتى ينفرد بحكم سرقسطة (٢).

أما بن سليمان الأعرابى فقد فر بعد مصرع أبيه إلى أربونة ثم عاد إلى سرقسطة عندما بلغه قدوم الأمير عبد الرحمن إليها وافتتاحها ، وتمكن بعد ذلك من اصطياد قاتل أبيه وقتله ، وانضم إلى جيش الأمير عبد الرحمن وساهم فى حصار حسين بن يحيى . فلما ضاق حسين بهذا الحصار ، أرسل إلى الأمير يطلب الصلح وأرسل ابنه سعيد رهينة فقبل الأمير ذلك وفك الحصار عن سرقسطة وتجه إلى الشمال الشرقى بعد أن ولى حسين بن يحيى واليًا على سرقسطة ولكن سعيدًا تمكن من الفرار وعاد إلى سرقسطة سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م وهنا نكث عهده مع الأمير ، فسير إليه الأمير عبد الرحمن قائده غالب بن تمامة بن علقمة على رأس جيش حاصر المدينة ثم أدركه الأمير فى العام التالى ١٦٦هـ / ٧٨٢م وقد عزم عزمًا صادقًا على افتتاح المدينة ، فشدد عليها الحصار ونصب عليها المنجنيق من كل جانب ، فتراص القوم إليه وأسلموا إليه الحسين فقتله عبد الرحمن وانتهت بذلك ثورة الحسين ابن يحيى (٣).

---

١ – مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١٠ ، ص ١١ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٦٦ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٢٣ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٠٢ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الأول ، ق١ ، ص ١٨٥ : ١٨٦ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ٢٤: ٢٦ .

Levi Provemcal, Histoire, Vol, I, p. 122 : 123 .

٢ – العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٦ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٠٤ – ص ٢٠٥ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول ، ق١ ، ص ١٨٧ .

٣ – مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١٤ ، وما يليها ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٠٥ .

هذا وقد وجه الأمير عبد الرحمن بن معاوية همه بعد ذلك لمقتلة الرماحسى بن عبد العزيز الكنانى والى الجزيرة الخضراء والذى أعلن الثورة على الأمير عبد الرحمن بن معاوية تضامناً مع عبد الرحمن بن حبيب وسليمان بن الأعرابى ، فكان من المتفق عليه أن يثوروا فى مواضعهم فى وقت واحد كما سبق أن ذكرنا [١]، فلم تمض على تولية الرماحسى بضع سنوات حتى خلع الطاعة وحاولا الاستقلال بالولاية والخروج عن السلطة المركزية بقرطبة ولكن الأمير عبد الرحمن لم يكد يسمع أنباء تلك الثورة حتى سير إليه قوة بقيادة عبد الله بن خالد الذى احتل الجزيرة الخضراء ، وفوجىء الرماحسى بخيل الأمير عبد الرحمن تجول فى الجزيرة . ويذكر العذرى أنه كان فى حمام قصره وقت ذلك ، فأعجل من لبس ثيابه وخرج فاراً فى قارب ونجا إلى العدوة المغربية ، ثم لم يلبث أن واصل سيره راحلا إلى المشرق حيث التجأ إلى الخليفة العباسى [٢]، وقد كافأ الأمير عبد الرحمن قائده ابن خالد بأن ولاه الجزيرة الخضراء[٣] ومهما يكن من أمر فالذى نستخلصه من هذه الثورات التى هبت ضد الأمير عبد الرحمن أن المسلمين وضعوا مبدأ خطيراً فى الأندلس وهو مبدأ الاستعانة بالقوة الخارجية ليساعدوهم ضد حكومة قرطبة الأمر الذى فتح الباب أمام الفرنجة للتدخل فى أمور الأندلس وتقوية أمر نصارى الشمال ، وكل هذا أدى فى النهاية إلى انهيار دولة الإسلام فى الأندلس[٤].

---

١ - مما يؤكد أن هذا الاتفاق كان مؤامرة دبرها المهدى العباسى للإطاحة بحكم الأمويين فى الأندلس هو التجاء ابن الرماحسى إلى الخليفة المهدى وقد ذكر صاحب أخبار مجموعة اسم الخليفة أبى جعفر المنصور بدلاً من محمد المهدى ويبدو أنه خلط بين مؤامرة العلاء بم مغيث وبين مؤامرة الرماحسى انظر مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١٢ ، ويذكر ابن عذارى : أن ثورة الرماحسى كانت ١٦٤هـ . أما صاحب أخبار مجموعة والعذرى فيذكران أنها كانت سنة ١٥٥ وأننى اتفق مع تاريخ ابن عذارى ويؤكدها الأساتذة المحدثون أمثال السيد عبد العزيز سالم ، انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٦ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٠١ .

٢ - العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ١١٧ : ١١٨ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٠٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٦ ، عنان : دولة الإسلام ، العصر الأول ، ق١ ، ص ١٨٧ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٠٢ . سالم : قرطبة : حاضرة الخلافة فى الأندلس ، جـ١ ، بيروت ١٩٧١م.

٣ - كمال السيد أبو مصطفى : بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٣م ، ص ١٢٦ .

٤ - عصام عبد الرؤوف : تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٦٩ .

هذا ولم تكن بقايا البربر أقل إزعاجًا للأمير عبد الرحمن من العرب اليمنية والقيسية ، فقد خاب ظنهم أيضًا فى الأمير عبد الرحمن ، وظلوا مادة للفتنة والقلق طيلة حكمه ، ويبدو أن هؤلاء الثوار قد ألفوا مسألة التستر خلف دعوة تهفو إليها قلوب الأنصار ، وكما تبنى اليمانية الدعوة العباسية ، رفع البربر راية العصيان العلوي في الثورة التى أعلنوها ١٥١هـ / ٧٦٨م[١] ، وعمت جميع الهضبة التى تشمل وسط وشمال الأندلس وهى المعروفة باسم الجوف[٢] وقد قامت هذه الثورة بزعامة رجل من قبيلة مكناسة البربرية يدعى شقيا بن الواحد المكناس ، وكان هذا الثائر فى أول أمره معلمًا للصبيان فادعى نسبًا فاطميًا شيعيًا وسمى بعبد الله بن محمد وعرف بالفاطمى[٣] واتخذ من شنت برية[٤] مركزًا لثورته ، فذاعت دعوته بين البربر فى تلك المنطقة[٥] وقد كان البربر دائمًا على قدم الأهبة للثورة ضد العرب . ولما أحس هذا الثائر بقوة جمعه سار فى جموعه متجهًا غربًا واستولى على ماردة وقورية ومدلين[٦] وعلى جميع المنطقة الواقعة حولها بين نهر التاجة ووادى يانة ، فقويت دعوته

---

١ – حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ٨٨ .

٢ – أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٩ .

٣ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٤ .

٤ – سنت برية أو شنتمرية " Santaver " بلدة تقع شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر تاجة وهى من الكور الأندلسية القديمة التى اندثرت ، وكان موقعها يشمل مقاطعة كونكة اليوم وهى تقع شرق وادى الحجارة وكانت تسمى قديمًا " Santefria " ويروى الحميرى أن من أهم حصون شنت برية قلعة أقليش Ucles ، وهى ذات تلال ومرتفعاتها عامرة بالحصون التى بناها الخلفاء لتحصين منطقة الثغر الأدنى ، انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٨ ، ياقوت معجم البلدان ، جـ٧ ، ص ١٨٦ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٠٩ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق ١ ، العصر الأول ، ص١٦٤ .

٥ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، نفس الصفحة .

٦ – هو أحد حصون ماردة المنيعة ويرجع تاريخ حصن مدلين فيما يقرب من عام ٨٠ ق.م حيث أسسها القائد الرومانى القنصل كينتو سيبسيليو ميتيليو Quinto Cecilio Metello وكانت فى البداية معسكرًا حربيًا ثم تحولت إلى مركز عمرانى بحيث أصبحت مستعمرة رومانية . وقد سقط هذا الحصن فى أيدى فرسان القنطرة فى سنة ٦٢٣هـ / ١٢٣٤م ، انظر سحر سالم : التاريخ السياسى لمدينة بيطليموس الإسلامية، الطبعة الأولى ، الإسكندرية سنة ١٩٨٩، ص ٤٥٧ : ٤٥٨ .

وعظم أمره وأفسد فى الأرض[١] فعهد عبد الرحمن إلى والى طليطلة حبيب بن عبد الملك[٢] بقمع ثورة الفاطمى ، فبعث إلى شنت برية جيشاً بقيادة سليمان بن عثمان بن مروان بن ابان بن عثمان بن عفان وأسند إليه مهمة قتال الفاطمى والقبض عليه ، فخرج إليه الفاطمى فى قواته، فهزمه هزيمة شديدة وأسر القائد سليمان بن عثمان وقتله[٣] فزاد هذا النصر من طغيانه وتوالت حملات الأمير عبد الرحمن للقضاء على الثائر ... ولكنه رد كل هذه الحملات على أعقابها ونكل بجند الأمير عبد الرحمن ، فقد استخدم هذا الثائر أسلوبًا حربيًا مألوفًا لدى البربر وهو تجنب المعارك الحاسمة ، والفرار إلى قمم الجبال إذا أحس بالخطر[٤].

ولذا لم يتهيأ للأمير عبد الرحمن الاشتباك معه والنيل منه والإيقا ع به ، فلجأ عبد الرحمن بن معاوية إلي اصطناع طريقة جديدة وأسلوب مبتكر للقضاء عى هذه الثورة ، فعمل على تقريب أحد زعماء البربر وهو هلال المديونى[٥] وعهد إليه بحكم البلاد[٦] بعد أن " كتب له

---

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٤ ، النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، جـ٢٢ ، نشر جاسبار راميرو ، غرناطة ، سنة ١٩١٦ : ١٩١٧ ، ص ١٦٢ : ١٦٣ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٢٣ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٦٠٥ .

Levi Provencal, Histoire, Vol. I, p. 112 : 113 .

عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، ق١ ، ص ١٦٤ : ١٦٥ .

٢ – هو حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقد دخل الأندلس قبل الأمير عبد الرحمن بن معاوية وكانت له مكانة عظيمة فى قلب الأمير عبد الرحمن لم تكن لأحد من أهل بيته وولاه طليطلة وأعمالها وتوفى حبيب هذا فى أيام الأمير عبد الرحمن ، فشهد جنازته وصلى عليه ، انظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٥٩ : ٦٠ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٦٢ ، جـ٢ ، ص ١٠ ، . Teres (Elias) : Dos Fatimias Marwonies de Al - Andalus, p. 65 .

" وكان حبيب من الذين يشاورهم فى رأيه وإدارته عبد الرحمن بن معاوية ويدنى مجالسهم منه ويضمه إلى خاصته من نقباء دولته وسائر أصحابه ومواليه ...

٣ – ابن عذارى : نفس المصدر جـ٢ ، ص ٥٥ ، ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص ١٢٣ .

٤ – يقول ابن عذارى : " فكان الأمير يرسل إلى قتاله بعض الفيالق فيتعلق بالجبال والشواهق " ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٥٤ .

٥ – وهو زعيم البربر فى شرق الأندلس ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٥ .

٦ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٥٤ : ٥٥ .

عهداً على قومه وأقره على موضعه وفوض إليه أمر استخلاصها منه ، وكان لتلك الحيلة أثرها في بث الخلاف إلى صفوف البربر ، فانفض عن الفاطمي كثير من أنصاره (١)، فضعف أمره ولم يلبث أن تآمر عليه اثنان من البربر فقتلاه وأرسلا رأسه إلى عبد الرحمن في قرطبة سنة ١٦٠هـ / ٧٧٦م (٢).

وذكر الدكتور محمود على مكى أن ثورة شقيا البربرى هى أول الثورات البربرية الشيعية فى بلاد الأندلس كما أنها أول محاولة لإقامة دولة شيعية فى المغرب الإسلامى إذ أنها سبقت تكوين دولة الأدارسة العلوية بنحو عشرين سنة ويضيف بأن ثورة شقيا البربرى كشفت عما يمكن للدعوات الشيعية أن تصيبه من النجاح فى أوساط القبائل البربرية (٣).

ولكن إذا كان عبد الرحمن قد قضى أغلب سنى حكمه فى هذا الصراع العنيف محارباً البربر والعرب ، فما هى القوة التى اعتمد عليها فى هذا النضال المرير ؟ .

يقول دكتور حسن أحمد محمود " كان اتجاه عبد الرحمن لا يكاد يشذ عن منطق كل الإمارات المستقلة التى عرفها التاريخ ، من الاتجاه إلى إنشاء جيش قائم يكون أداة الأمير وعدته فى جهوده لتثبيت سلطانه الداخلى والخارجى ، لهذا اتجه عبد الرحمن منذ اللحظة الأولى التى توطد فيها سلطانه إلى إنشاء الجيش القائم الذى لايتكون من العرب والبربر إنما يتألف من الجنود المرتزقة الصقالبة ، الذين يشترون بالمال ويتدربون على الطاعة العمياء للدولة والإخلاص لها " (٤).

ولكن هذا العنصر سيزيد التمزق تمزقاً ويكون معول هدم فى تاريخ الأندلس .

---

١ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول ، ق١ ، ص ١٦٥ .

٣ - مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، ص ١٠١ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، ص ١٢٣ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٦٣ : ١٦٤ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص ٤٩ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول ، ق(١) ، ص ١٦٥ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ١٨ – ص ٢٣ .

Levi Provencal, Hisrtoire, Vol, I, p. 114 .

٢ - محمود على مكى : التشيع فى الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية : صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد المجلد الثانى ، سنة ١٩٥٤ ، العدد ١ ، ٢ ، ص ٩٨ : ٩٩ .

٤ - د. حسن أحمد محمود : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص ٨٩ : ٩٠ .

الفصل الثالث

الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل

ودوره فى حرب العصبيات

توفى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بقرطبة فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ١٧٢م (الثلاثون من سبتمبر سنة ٧٧٨م) وخلفه ابنه هشام الرضا(١) فى حكم الإمارة الأموية ، وكان هشام حين توفى والده مقيمًا فى ماردة مقر ولايته ، فأخذ البيعة له أخوه عبد الله المعروف البلنسى(٢) ولكن على بغض منه لأنه كان يرى نفسه أحق بولاية العهد من أخيه الأصغر(٣) .

---

١ - مولده بقرطبة فى سنة ١٣٩هـ / سنة ٧٥٦م وكانت أمه وهى أم ولد بارعة الحسن تدعى حلل " ويعرف بالرضا لعدله وفضله ويكنى أبا الوليد وقد استوزره أبوه عبد الرحمن " ، انظر ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٢ ، ص ٦٢ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٢ .

٢ - قام بالأمر لأخيه هشام بن عبد الرحمن ، إذ كان غائبًا عند وفاة أبيهما بماردة ، إلى أن ورد قرطبة فبادر بمبايعته وتسليم القصر إليه ، وخرج إلى داره ، وذلك فى غرة جمادى الأول سنة إحدى وسبعين ومائة ثم استوحش منه فهرب إلى أخيهما سليمان أكبر أولاد عبد الرحمن المولود له بالشام وكان منازعًا لهشام وأقام معه فى طليطلة ، راجع ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٦٣ .

٣ - سار عبد الرحم بن معاوية سيرة آبائه بشأن ولاية العهد فقد حافظ الأمويون فى المشرق على الاحتفاظ بالخلافة داخل البيت الأموى وقد تابع الأمير عبد الرحمن نفس التقليد ولم يختر وريثًا بعينه من بين بنيه=

وكانت ولاية هشام نذيراً بثورة محلية جديدة . ذلك أن سليمان أكبر أخوة الأمير هشام لم يقر بإمارته ودعا لنفسه فى طليطلة وما جاورها وانضم إليه أخوه عبد الله البلنسى أيضًا بالرغم ما بذله هشام لاسترضائه ، ولم يلبث أن لحق بأخيه سليمان فى طليطلة وتحالفا على العصيان والثورة[1] وهاجم سليمان قرطبة ولكن الجند ردوه على أعقابه فذهب إلى ماردة ومنها إلى بلنسية وعاث فى البلاد نهبًا وفسادًا ولم يجد الأمير هشام إزاء موقف أخويه العدائى منه إلا محاربتهما وقد انتهى الأمر بأن طلب عبد الله الأمان والعفو ، فعفا عن أخويه

= وكان أشهر أولاده ثلاثة أكبرهم سليمان أسند إليه ولاية طليطلة مركز الثورة فى الثغر الأعلى وكان يتميز بالنجدة وحب الشاميين له نظرًا لأنه ولد بالشام ونشأ نشأته الأولى فى بلاد الشام ثم انتقل إلى الأندلس عام (١٤٧هـ / ٧٦٣م) لذلك فسليمان بحكم ولادته ونشأته كان شاميًا ولهذا التفت حوله القبائل الشامية وصار يمثل الحزب الشامى فى الأندلس ، ويليه هشام وأسند إليه مدينة ماردة ، وهشام أندلسى ولد بقرطبة . وكان يتميز بالتدين والتفاف واجتماع الكلمة عليه . وكان يمثل الحزب الأندلسى من المولدين، إذ كانت أمه جارية إسبانية ، كما أن القبائل اليمنية انحازت إليه ولهذا لم يسلموا من أيدى أخيه سليمان واضطهاده لهم ، فوجدوا هشام نعم النصير ، وكان عبد الرحمن بن معاوية يفضل ابنه هشام على سليمان ، فلما حضرت الوفاة الأمير عبد الرحمن ، وكان ابنه هشام بماردة وسليمان بطليطلة أوصى ابنه الثالث عبد الله البلنسى وقال له : من سبق إليك من أخويك فارم إليه بالخاتم والأمر ، فإن سبق إليك هشام ، فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه ، وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنة ونجدته وحب الشاميين له " فقدم هشام من ماردة قبل سليمان ، فنزل الرصافة ونفذ عبد الله وصية أبيه وسلم على هشام ودفع إليه الخاتم وأدخله القصر فى غرة جمادى الأولى سنة ١٧٢هـ السابع من أكتوبر ٧٨٨م ، انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦١ : ٦٢ ، النويرى : نهاية الأرب جـ٢٢ ، ص ١٧٢ : ١٧٣، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٤٣ : ١٤٤ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ق٢ ، ص ١١ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٧٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٨٣ : ٨٤ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٢٣٤ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ص ٢١٣ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، ق١ ، ص ٢٥٤ .

Levi Provencal, Histoire, Vol. I, p. 141 - 142 .

١ – عنان : المرجع السابق ، القسم الأول ، ق١ ، ص ٢٢٤ .

سليمان وعبد الله على أن يعبر كل منهما بأهله وولده وأمواله إلى المغرب، حيث أقاما بعدوة المغرب[١].

استطاع هشام بن عبد الرحمن التصدى لكل المحاولات التى استهدفت النيل من سلطان الإمارة ، فقد كانت سياسته هو ومن جاء من بعده ، هى تطبيق دقيق لسياسة الأمير عبد الرحمن من حرص على الوحدة القومية للأندلس . فقد واجهوا نفس المشاكل التى واجهت عبد الرحمن الأول ، الدائبين التقلديين العرب والبربر[٢] . فأطلت اليمنية برأسها بعد وفاة الأمير عبد الرحمن بن معاوية حيث اعتقد الثوار فى الشمال أن الفرصة قد سنحت بوفاة الأمير عبد الرحمن لإضرام نار الثورة مرة أخرى ، فخرج بطرطوشة[٣] سعيد بن الحسين ابن يحيى الأنصارى ، وكان قد التجأ إليها منذ مصرع أبيه ، والتف حوله اليمنية ، وأخرجوا عامل الأمير هشام ، يوسف العبسى ، وتمكن بمساعدة ثوار اليمنية من الاستيلاء على طرطوشة

---

١ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٦٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٢ : ٦٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق٢ ، ص ١١ ، ابن العبر : جـ٤ ، ص ٢٧٠ ، النويرى : نهاية الأدب جـ٢٢ ، ص ١٧٣ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٥ ، ص ٨٤ : ٨٦ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢١٤ : ٢١٥، عنان : دولة الإسلام ، ق١ ، ص ٢٢٥ ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة فى عصر الإمارة الاموية .

Dozy, Hestoire, Vol. I, p. 250 .

٢ - حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ٩٤ .

٣- طرطوشة " Tortose " إحدى مدن الثغر الأعلى وتقع فى شرق بلنسية والمسافة بينهما حوالى مائة ميل ، يقول الإدريسى " ومدينة طرطوشة مدينة حصينة على سفح جبل ولها سور حصين وبها أسواق وعمارات وصناع وفعله وإنشاء المراكب الكبار من خشب جبالها وبجبالها يكون خشب الصنوبر الذى لا يوجد له نظير فى الطول والغلظ ومنه تتخذ الصوارى والقرى " ومن أهل طرطوشة الفقيه الزاهد أبو الوليد الطرطوشى الفهرى ، نزل الإسكندرية ، وهو صاحب كتاب الحوادث والبدع ، سكن بغداد وتفقه على أبى بكر الشاسى وسمع فى الحديث وهو مالكى المذهب " ، انظر : الإدريسى : نزهة المشتاق ، المجلد الثانى ، طبعة بيروت ، ص ٥٥٥ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٢٤ : ١٢٥ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ٢ ، ص ٤٢٣ .

وكان يحكم الثغر الأعلى(١) موسى بن فرتون(٢) القومس(٣) وهو ينتمى بالولاء إلى المضرية(٤) كما أنه كان من المؤيدين للأمير الأموى هشام الرضا فجمع حوله المضرية والتقى باليمنية

---

١ - السيد عبد العزيز سالم : المسلمون وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢١٤ .

٢ - ينتمى موسى بن فرتون إلى أصول قوطية مسيحية ، وكانت أسرته تتمتع بنفوذ وامتيازات قديمة منذ أيام الحكم القوطى فى إسبانيا ، فقد كان جده قسى قومس الثغر فى عهد القوط ومن هنا كانوا يتطلعون دائمًا إلى الحفاظ على نفوذهم وحقوقهم وامتيازاتهم القديمة والعمل على تنميتها ودعمها كلما سنحت الفرصة لذلك . وخاصة عند ضعف الحكومة المركزية ويذكر ابن حزم أنه عقب الفتح الإسلامي للأندلس أسرع قسى " جد الأسرة " إلى بلاد - الشام وأسلم على يدى الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك وعلى هذا فقد كان بنو قسى فى جانب المضرية ضد اليمنية عند نشوب النزاعات العصبية فى منطقة الثغر الأعلى ، أما فرتون بن قسى والد موسى الذى عاش كما تذكر الرواية الأسبانية حتى ٧٥٠م / ١٣١هـ ، فلم تفدنا المصادر عنه بشىء أما أبنه موسى هذا فهو الذى كان له دور كبير فى عهد الأمير هشام (١٣٢هـ - ١٨٠هـ / ٧٧٨م - ٧٩٦م) كما سيرد ، وتذكر المصادر الإسلامية والمسيحية أن موسى بن فرتون بن قسى كان يتولى حكم برجة Barja بالثغر الأعلى (الآن من أعمال سرقسطة) وكان متزوجًا من أميرة بشكنيسية تدعى أسونا Assona وبعد موته تزوجها ونقة (أينجو ارتسيا) Inigno Aviat أمير نبرة وبنبلونة المسيحية وعلى هذا كانت توجد علاقة قرابة تربط بنى قسى وبين بنى ابيجورتسيا . (ويعرفون فى المصادر العربية بنى ونقة) وارتبطوا أيضًا فيما بعد بالمصاهرة انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، جـ١٤ ، دار المعارف ، ص ٥٠٢ ، العذرى : ترصيع الأخبار، ص ٢٩ .

Simonet : Historie de Los Mozarabes de Aspena, Madrid, 1903, p. 55 .

ابن حيان : المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، سنة ١٩٣٧م ، ص ١٦ .

٣ - قومس : الجمع قوامسة ، كلمة لاتينية وهى Comes والقومس فى الأصل مرافق الملك ونديمه ، ثم صار فى العصر القوطى بإسبانيا يطلق على ولاة الكورة ومنها اشتق اللفظ الإسبانى Conde وكان أرطباس أول قمامسة الأندلس : ومنصب القومس وضعه الأمير عبد الرحمن بن معاوية وكان قومس الأندلس القومس الأعلى فى البلاد وكان حق تعينه فى يد الأمير الأموى ، أما القمامسة فكان ينتخبهم النصارى فى كل مدينة ... راجع ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٨ ، سالم : المسلمون وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٣ ، هامش (٤) ، ويفسرها البكرى بمعنى حاكم منطقة متمتع باستقلال تام أو محدود أو هى بمعنى الرجل الشريف ، وكان القومس مألوفًا لدى الأندلسيين ، انظر البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ٩٩ ، هامش رقم ١ .

٤ - انظر ابن حزم : المصدر السابق ، ص ٥٠٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٢٤ .

فى معركة انتهت بانتصاره عليهم ومقتل زعيمهم سعيد بن الحسين بن يحيى واستولى موسى بن فرتون على سرقسطة سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م ، غير أن أحد موالى الحسين بن يحيى الأنصارى ويدعى حجدر فجاءه بجمع غفير ودارت بينهما معركة انتهت بمقتل موسى بن فرتون بن قسى (المعروف بموسى الأول)(١) وعلى الرغم من الانتصارات التى أحرزتها المضرية ضد اليمنية إلا أن اليمنية ظلت تناوئ الوجود الأموى ممثلاً فى المضرية فقد انتهز مطروح بن سليمان الأعرابى وكان ثائراً ببرشلونة(٢) فرصة تلك الاضطرابات التى سادت منطقة الثغر الأعلي ، وانشغال الأمير هشام بالحرب مع أخويه سليمان وعبد الله وتقدم إلى سرقسطة واستولى عليها ، كما بسط سلطانة على وشقة(٣) والثغر الأعلى كله واستمر الوضع على هذا النحو من الفوضى والاضطراب إلى أن تم عقد الصلح بين هشام وأخويه ، فتفرغ للقضاء على الفتنة والثورات الداخلية ومنها ثورة مطروح هذه ، فسير إليه الأمير هشام جيشاً

---

١ - النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، غرناطة ١٩١٧م ، ص ١٧٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، طبعة ١٩٨٣ ، ص ٢٧٠ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢١٤ .

Levi Provencal, Histoire, p. 141 .

- كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس ، ص ٤٩ .

٢ - " يقول الإدريسى " تقع من القسم الثالث من الأندلس مسورة على ساحل البحر واليهود بها يعدلون النصارى ، كثرة ولها خارج منها " ويذكر الحميرى أن بين برشلونة وطركونة خمسون ميلاً وهى على البحر ومرساها لا تدخله المراكب إلا عن معرفة ... والدخول إليها والخروج عنها إلى الأندلس على باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة ... وبرشلونة كثيرة الحنطة والعسل والحبوب ... وهى مسورة وكبيرة " انظر الإدريسى : ننزهة المشتاق جـ٢ ، ص ٧٣٤ طبعة بيروت ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٢ ، البكرى: جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص ٩٦ : ٩٩ .

G.F. Seybold (Barshaluna), Ency. of Islam, Newed I. p. 1054 .

٣ - وشقة (Huesco) إحدى مدن الثغر الأعلى وتقع فى شمال شرق الأندلس ، على مسافة خمسين ميلاً شرقى سرقسطة ويصفها الحميرى بأن لها أسواق عامرة وصنائع قائمة وهي مدينة كبيرة أولية قديمة ، رائعة البنيان قد اتقن سورها أتم اتقان ... وقد حاصرهم المسلمون منذ فتح الأندلس حصاراً طويلاً حتى بنو عليها المساكن وغرسوا الغروس " ويضيف العذرى بأنها مدينة قديمة رائعة البنيان كثيرة المساجد وتربتها طيبة " انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٩٤ : ١٩٥ ، العذرى : نصوص من الأندلس ، ص ٥٥ .

بقيادة عبيد الله بن عثمان[١] سنة ١٧٥هـ / ٧٩١م لمحاربته ، فحاصرهم عبيد الله ، حصاراً شديداً حتى ضج أهل سرقسطة لذلك ، وفي الوقت نفسه احتل عبيد الله مدينة طرطوشة ، وانتهى الأمر بمقتل مطروح علي يد اثنين من أعوانه المولدين هما عمروسي وشبريط[٢] وأرسلوا رأسه إلى عبيد الله بن عثمان وهو بطرطوشة مبادرين بدخول سرقسطة[٣] ١٧٥هـ / ٧٩١م دون مقاومة .....

ثورة البربر في تاكرنا[٤] :

وكانت منطقة رندة[٥] المعروفة بإقليم تاكرنا ، مهداً للفتنة والقلاقل المتوالية ، حيث يحتشد فيها أعداداً كبيرة من البربر ، ففي عام ١٧٨هـ / ٧٩٤م عاودت القبائل البربرية المستقرة في

---

١ - كان عبيد اله بن عثمان هو الذى لعب الدور الأول فى تأسيس الإمارة الأموية فى الأندلس وهو نصير الأمير عبد الرحمن بن معاوية يوم المصارة وقد كوفئ على خدماته فى نصرة الدولة الأموية بحكم ولاية الثغر الأعلى فى مدينة طرسونة " Torrazona " فقد أثرها على مدن الثغر الأعلى كله وكانت ترد عليه عُشر مدينة أربونة وبرشلونة ولذلك عرف بصاحب الأرض ، انظر ، الحميرى : نفس المصدر ، ص ١٢٣ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٤٩ ، هامش رقم ١ ، السيد عبد العزيز سالم : المسلمون وآثارهم ، ص ٢١٥ ، هامش رقم ٢ .

٢ - شبري هو جد بني الطويل المولدين ، انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٣ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٦ : ٢٩ ، سالم : المرجع السابق ، ص ٢١٥ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول القسم الأول ص ٢٢٦ ، كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، ص ٤٩ .

٣ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٣ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٦ ، ٢ ، ٢٩ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٣٧١ ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٧٣م ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢ (خاص بالمغرب والأندلس) ، ص ١٧٥ .

Levi Provencal, Histoire, T, I. pp. 141 : 142 .

- عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ٢٢٥ ، سالم : المسلمون وآثارهم ، ص ٢١٥ .

٤ - " مدينة بالأندلس ، على مقربة من استجة ومن مدن تاكرنا مدينة رُندَه ومنطقة تاكرنا منطقة جبلية تقع على نحو مائة كيلو متر إلى غرب مدينة مالقه ، ولفظ تاكرنا بربرى يوجد فى نواح كثيرة من المغرب أشهرها تكرونة فى تونس ، راجع : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢، هامش ٣ ، س ٢٤١ : ٢٤٢ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٦٣ .

٥ - رُندَه : فى التقسيم الإدارى للأندلس مدينة تابعة لإقليم تاكرنا فى كورة استجة وقد ذكرها كل من الرازى وياقوت وأبو الفدا وابن بطوطة والحميرى وأشادوا بقوة تحصينها واسمها معرب Arunda وهو اسمها منذ أيام الرومان والقوط وهى قائمة على حافة جبل طَلَوبَر المعروف بجبل رُندَه Serranfa de Ronda وتحت البلد يوجد الخانق المسمى باسم التاجة El Taj عمقه ١٦٠ متر يجرى فيه وادى نهر اللبن ورُندَه =

تاكرنا الثورة ، وخلعوا طاعة الأمير هشام ، وعاثوا فى تلك المنطقة فساداً فقتلوا وسبوا وقطعوا الطريق على السكان وهددوا أمن المنطقة ، يقوا ابن عذارى[١] " فبعث الإمام هشام إليهم الأجناد فقتل أكثرهم وفر سائرهم إلى طلبيرة[٢] وترجيلة[٣] فى الجنوب الغربى من الأندلس ، حيث لجئوا إلى عصبية لهم من البربر ، أما البعض الآخر ، فقد دخلوا فى سائر القبائل ، وظلت منطقة تاكرنا بعد ذلك قفراء خالية من السكان لفترة تزيد على سبع سنوات[٤].

= مشهورة فى التاريخ الأندلسى لأن جبالها كانت مركز ثورة عمر بن حفصون ، ثم كان لها شأن فى عصر الطوائف الأول ثم صارت جزءًا من مملكة غرناطة وقد سقطت فى أيدى فرناندو وإيزابيلا بعد حصار ٢٠ يومًا فى جمادى الأولى ٨٩٠م / مايو ١٤٨٥هـ . وهى اليوم تابعة لمديرية مالقة ، انظر ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٢٤١ : ٢٤٢ ، وأبو الفدا : تقويم البلدان طبعة أوربا ص ١٦٦ ، ياقوت : معجم البلدان ، مادة رنده ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٩ .

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٤ .

٢ – طلبيرة " Talavera " مركز من أعمال طليطلة أقصى ثغور المسلمين وتقع فى هضبة تتوسط شبه الجزيرة وتعتبر لذلك بابًا من الأبواب التى تتوجه منها الجيوش الإسلامية إلى أرض قشتالة وجليقية ويصفها الإدريسى بقوله " ومدينة طلبيرة على ضفة نهر تاجة وهى مدينة كبيرة وقلعتها أرفع القلاع حصنًا ومدينتها أشرف البلدان حسنًا وهو بلد واسع المساحة شريف له منافع وبه أسواق جميلة الترتيب وديار حسنة التركيب ولها على نهر تاجة ارحاء كثيرة ولها علم واسع ... ومزارعها ذاكية وجهاتها حسنة ... وهى من مدينة طليطلة على سبعين ميلاً .

– انظر الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ٢ ، ص ٥٥١ ، راجع ابن حيان : المقتبس : تحقيق محمود على مكى ، تعليق رقم ٥٤٣ ، ص ٦١٤ : ٦١٥ .

٣ – ترجيلة Trujillo مدينة بالأندلس يصفها الحميرى " بأنها كالحصن المنيع ، لها أسوار وأسواق عامرة ، وحيل ورحل يقطعون أعمارهم فى الغارات على بلاد الروم والأغلب عليهم التلصص والخداع " ويذكر أنها ظلت فى حوزة المسلمين إلى عام ٦٣٠هـ / (١٢٣٢–١٢٣٣م) عندما حاصرها النصارى فخرج إليهم محمد بن يوسف بن هود لمواجهتهم من الخلف ولكنه عجز عن ذلك فرحل إلى إشبيلية ومن هناك اتجه إلى ترحيله غير أنه تلقى خبر سقوطها فى أيدى النصارى ، فعاد إلى إشبيلية وكان تملك الروم لترجيلة فى ربيع الأول من نفس السنة ٦٣٠هـ راجع عن ترحيله الحميرى : الروض المعطار ، ص ٦٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، مادة ترجيلة ، مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، ص ٥٦ ، ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٩٠ ، الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ٢ ، ص ٥٥٠ ، محمد الفاسى : الأعلام الجغرافية ، ص ٢٥ ، سحر سالم : التاريخ السياسى لمدينة بطليموس الإسلامية ، ص ١٨٧.

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢، ص ١٧٧ : ١٧٨ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص ١٤٤ ، سالم ، ص ١٢٥ ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢١٦ .

Levi Provencal, Histoir, Vol. I, p. 142 .

الحكم ابن هشام(١) ودوره فى القضاء على حرب العصبيات :

خلف هشام ولده الأمير الحكم بعهد منه فى حكم بلاد الأندلس وكان أول ما عاناه الأمير الحكم بن هشام حرب عميه سليمان وعبد الله وقد شقى بهما وشقيت بهما البلاد شقاء كبيرًا(٢) ذلك أن الأمير الحكم ما كاد يجلس على عرش أبيه ، حتى عول عماه سليمان وعبد الله على التحرك مرة أخرى وكان يقيمان فى عدوة المغرب كما سبق أن ذكرنا ، يرقبان الفرص، فعبر سليمان إلى الأندلس بجيش من البربر وحاول شق طريقه إلى العاصمة قرطبة فتصدى له الحكم بن هشام واشتبك مع قوات سليمان ومعظمها من البربر على مقربة من مكان يسمى فنجيط وذلك فى شوال سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م ، فانهزم سليمان وولى الأدبار ، ولم تفت هذه الهزيمة فى عضده ، فعاود الكرة والتقى الفريقان مرة ثانية بالقرب من مدينة إستجة(٣) فى صفر سنة ١٨٣هـ / ٧٩٩م فهزم سليمان مرة أخرى بعد قتال عنيف وفر فى أصحابه من البربر متجهًا إلى ماردة(٤) والتى تعتبر من أهم منازل البربر ثم زحف من جديد نحو الجنوب الشرقى للأندلس . ونجح فى الاستيلاء على جيان(٥) وانضمت إليه من أهل هاتين المدينتين جموع هائلة معظمها من البربر ، فلما التقى جيشه مع جيش الأمير الحكم انهزم سليمان للمرة الثالثة وقتل فى الموقعة عدد كبير من أنصاره وتمكن سليمان من الفرار ، فبعث

---

١ - وكنيته أبو العاص ، المعروف بالربضى بويع عقب وفاة أبيه بأيام قلائل فى الثامن من صفر سنة ١٨٠هـ / أبريل ٧٩٦م ، وهو فى السادسة والعشرين من عمره وكان شجاعًا باسلاً ، وأديبًا مفتيًا وخطيبًا مفوهًا، وشاعرًا مجودًا ، تحذر طولاته وتستندر أبياته راجع ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٣ : ٤٤ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٢٥ .

٢ - حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ٣١ .

٣ - إستجة " Ecija " تقع على وادى شنيل إلى الجنوب الغربى من قرطبة على بعد خمسين كيلو مترًا منها وفى منتصف الطريق تقريبًا بين قرطبة وإشبيلية ويذكر الحميرى " بأنها مدينة قديمة لم يزل أهلها فى جاهلية وإسلام على انحراف وخروج عن الطاعة " ، راجع الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٤ ، محمد الفاسى : الأعلام الجغرافية ، ص ٢١ .

٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٠ .

٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٠ .

الحكم الجند فى أثره ، فطاردته وتمكن قائد الأمير الحكم أصبغ بن عبد الله بن وانسوس[١] من القبض عليه فأمره الأمير الحكم بقتله ، فقتله ، وبعث برأسه إلي قرطبة حيث طيف بها (سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م) ثم أمر الحكم بن هشام بدفنه فى روضة القصر على مقربة من قبر والده عبد الرحمن بن معاوية[٢].

أما عبد الله بن عبد الرحمن ، فأسرع هو الآخر بالجواز إلى الأندلس ، عله يسبق أخاه سليمان ، فنزل بالثغر الأعلى ، إذا كان يعلم كراهية سكان هذا الثغر للأمير الجديد[٣] ونزل سرقسطة ، عند بهلول بن مرزوق الثائر على الأمير الحكم فى ناحية الثغر[٤] ولكنه لم يجد من

---

١ - تعتبر أسرة بنى وانسوس من أشهر الأسر البربرية فى الأندلس وهم ينتمون إلى قبيلة مكناسة وقيل من مغيلة ، وجدهم الأول هو وانسوس أبو قرة أحد زعماء البربر ، وكان مقيمًا بإفريقية حين دخلها عبد الرحمن بن معاوية بعد فراره من الشام ، فاستتر ابن معاوية عند وانسوس هذا مدة من الزمن بعيداً عن والى إفريقية عبد الرحمن بن حبيب ، فلما نجح الأمير عبد الرحمن فى دخول الأندلس وتأسيس الإمارة الأموية ، هناك لم ينس ما فعله وانسواس وأسرته فرحب بهما فى الأندلس واستظلا بظله حيث التحقوا بخدمة الأمير عبد الرحمن وقاموا بنصرته فى ثوراته المختلفة وظلت هذه الأسرة فى خدمة الأمويين طوال عصر الإمارة . انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، نشر دار المعارف ، سنة ١٩٤٨ ، ص ٤٦٤ ، مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص ٥١ : ٥٢ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢، ص ١٦٠ : ١٦١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٠ : ٧١ ، عنان دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الأول ق١ ، ص ٢٣٧ .

Levi Provincal, Histoire, Vol. I, p. 59 .

٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، نفس الصفحة ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٢٠ .

٣ - سالم : المرجع السابق ، نفس الصفحة

Levi Provencal, op. cit, p. 152 .

٤ - ثار فى ناحية الثغر الأقصى على أصحاب وشقة المعروفين ببنى سلمة فى سنة اثنين وثمانين ومائة . ودخل بهلول بن مرزوق سرقسطة ' وأظهر الخلعان وخرج على أهل الطاعة بالغارات . فرأى الإمام الحكم تقديم عمروس بن يوسف من طليطلة إلى ثغر سرقسطة لمحاربة بهلول ، إذا كان عالمًا بغوائر ذلك الجانب، فتقدم إليه ، وخاطب أهلها واستمالهم حتى أخرج من المدينة وفر بنفسه إلى موضع يعرف بالغار آخر حيز قلاع أبى الحجاج ودخل عمروس سرقسطة وملكها واتصلت ولايته وقتل بهلول بن مرزوق فى سنة ست وثمانين ومائة ، قتله خلف بن راشد ضغطه إلى الغار المنسوب إليه فقتله فيه : راجع العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٩ .

يؤيده ، فرحل مع ولده لمقابلة شارلمان[١] ملتمساً منه العون وحثه على مهاجمة الأندلس ، فأكرم ملك الفرنج وفادته واستجاب إلى دعوته ، ووجد الفرصة سانحة للتدخل فى شئون الأندلس[٢] ، فسير شارلمان جيشاً بقيادة ولده لوي ، فعبر البرنية واستولى على مدينة جيرونة Gerona بالثغر الأعلى بمساعدة الثوار الخارجين هناك[٣] فبادر الحكم بالسير إلى الشمال لرد هذا الخطر ، وأمام هذا الرد تقهقر الفرنج ، تاركين الأمور لمصيرها ، أما الثوار فقد عادوا إلى الطاعة واسترد الحكم سلطانه على سرقسطة ووشقة وغيرها ، أما عبد الله عن الأمير الحكم ففر إلى بلنسية .

وهناك وجد تأييداً له عند أهالي بلنسية فأقام بها شبه مستقل بعد أن عفا عنه الحكم (٤). "على أن يؤدى الطاعة ولا يطأ له بساطاً فتم ذلك " (٥).

---

١ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٩.

٢ - كانت سياسة التدخل فى شئون إسبانيا المسلمة من أصول السياسة الفرنجية ، وكان الفرنج ينظرون بعين التوجس إلى قيام هذه الإمارة الإسلامية الجديدة ، فيما وراء البرنية ، وتطورها ونموها ويخشون بالأخص أن يضطرم الإسلام بفورة جديدة من الجهاد والغزو ، فينساب تيار الفتح الإسلامى فيما وراء البرنية مرة أخرى وقد حاول (شارلمان) ضربته الأولى فى عهد عبد الرحمن بن معاوية فهزم فى موقعة رونسفال (باب الشنزرى) وفى عهد هشام الرضا عبر المسلمون جبال البرنية وغزوا سبتمانيا ، فتجددت مخاوف الفرنج فبدوا يخططون لتأمين حدودهم الجنوبية وكانوا يلتمسون الفرصة كلما اضطرمت الأندلس بالثورة فقد كان هذا التمزق الذى تموج به البلاد أثره فى أن يحاول الفرنجة غزو الأندلس واقتطاع جزء منها منتهزين فرصة هذه الثورات فى التوسع على حساب الإمارة الإسلامية أما نصارى إسبانيا فى الشمال فكانوا ألا يقلون عن الفرنجة فى أطماعهم فى الأندلس ومخاوفهم فى نفس الوقت ففى كل مرة ينشغل أمراء بنى أمية فى القضاء على تلك الثورات كانت تلك الإمارات تنمو على حساب الإمارة الإسلامية منتهزين الفرصة المناسبة للانقضاض تعضدهم البابوية والفرنجة معاً ، انظر المقرى : نفح الطيب : جـ١ ، ص ٣٣٩ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ق١ ، ص ٢٣٣ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٢٦ .

Levi Provencal, op. cit, p. 176 .

٣ - عنان : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٠ : ٧١ .

٥ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٦٣ .

موقف الأمير الحكم من فقهاء المالكية :

هذا وقد تعرض الأمير الحكم بن هشام لمؤامرة دبرها له فقهاء المالكية واكتشفها الحكم سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٥م (١)، فقد كان الحكم يختلف عن أبيه اختلافًا كبيرًا وكانت سياسته ترمى إلى إقصاء الفقهاء عن التدخل فى شئون الدولة وحصر عملهم فى إقامة الشعائر وتولى شئون القضاء ، ولكن هذه السياسة لم ترقهم وثاروا غضبًا على سياسة الحكم واتهموه بالخروج على أحكام الدين (٢). وكان على رأس هؤلاء الفقهاء يحيى بن يحيى الليث(٣) وعيسى ابن دينار(٤) وطالوت الفقيه(٥) وغيرهم من فقهاء قرطبة . ولكنه استطاع القضاء عليها وهدأت الثورة ولكن إلى حين (٦).

---

١ - يقول ابن عذارى " وفى سنة ١٨٩ صلب الإمام الحكم اثنين وسبعين رجلاً منهم أبو كعب بن عبد البر ويحيى بن مضر ومسرور الخادم . وكان السبب أنهم أرادوا الغدر به وهموا بالخلاف عليه ، وطلبوا رئيسًا يقومون به . فوقع الخبر على محمد بن القاسم ، عم هشام بن حمزة وأطلعوه على أمرهم ودعوه للقيام معهم ، فخذلهم ، وأفشى سرهم وتقرب إلى الحكم بدمائهم ... فلما صح عند الحكم أمرهم بشهادة الأمناء عليهم ، أخذهم وصلبهم جميعًا بمردة واحدة ، ثم اتقن سور قرطبة وحفر خندقها " . ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٧١ .

٢ - ابن عذارى : نفس المصدر ، نفس الجزء والصفحة ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٣٩ ، ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٤ ، المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الأقصى ، ص ٤٣ .

٣ - يحيى بن يحيى الليثى : مصمودى سمع من مالك بن أنس وعاد إلى الأندلس يعلم كثير وأصبح يفتى فيها برأى مالك توفى سنة ٢٣٣ أو ٢٣٤ ، راجع ترجمته فى ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ص ١٧٩ : ١٨١ .

٤ - هو عيسى بن دينار بن واقد الغافقى ، أصله من طليطلة ، سكن قرطبة ويكنى أبا عبد الله . يقول ابن الفرضى " كان محمد بن عمر بن لُبابة : يقول فقيه الأندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلها بن يحيى بن يحيى واتهم عيسى يوم الهيج فهرب فاستخفى وأمنه الحكم بن هشام ، انظر ، ابن الفرضى : المصدر السابق ، ص ٣٣١ . .

٥ - كان طالوت الفقيه من أشد الناس تحريضًا على الأمير الحكم ، فلما أوقع الحكم بأهل قرطبة وأمر بتغريب من بقى منهم كان ممن أمر بتغريبه ، طالوت الفقيه فاختفى لمدة عام ثم عفا عنه الحكم ، انظر المراكش المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

٦ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٣ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٦ ، ص٨٦ ، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول ق١ ، ص ٢٣٧ ، سالم : المسلمون وآثارهم ، ص ٢٢٣ .

ثورات البربر فى عهد الحكم بن هشام :

لم يهدأ للبربر ثائرة فى عهد الحكم بن هشام شأنهم شأن بقية العناصر المتنافرة المتنازعة. ففى عام ١٩٠هـ (٨٠٥ – ٨٠٦م) اندلعت الثورة فى ماردة بقيادة زعيمها أصبغ بن عبد الله بن وانسوس ، وكان سبب قيامه بالثورة بعض الوشاة أوقعوا بينه وبين الأمير الحكم بن هشام، فاضطر الحكم أن يخرج إلى ماردة ولكنه ارتد عنها مسرعًا حين علم بنبأ هياج أهل قرطبة(١) ويذكر ابن عذارى " أن الحملات والغزوات قد ترددت إلى ماردة حوالى سبع سنوات لإخماد ثورة الثائر البربرى ولكنه اضطر أخيرًا إزاء قوة حملات الحكم إلي طلب الأمان " (٢)، فأجابه الأمير الحكم إلى ما طلبه فعادت ماردة إلى بذل الطاعة واشترط الحكم بن هشام على أمية بن وانسوس أن يسكن قرطبة ، ثم سمح له بعد ذلك بتفقد ضياعه وأملاكه بماردة (٣).

ثورة البربر فى مورور (٤):

وفى سنة ٢٠٠هـ (٨١٥ – ٨١٦م) ثار البربر بمنطقة مورور بزعامة رجل منهم لم تذكر المصادر التاريخية اسمه سوى أنه ثائر " خارجى من البربر فبادر عامل مورور من قبل الحكم

---

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٣ .

Levi Provencal. Histoir. Vol. I. P. 163 : 164 .

٢ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٧٢ .

٣ – ابن حيان : المقتبس ، تحقيق : محمود على مكى ، ص ١٨٩ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، نفس الجزء والصفحة ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٦٠ ، ابن سعيد المغرى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٣٦ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٧٦ ، سالم : تاريخ المسلمون فى الأندلس ص ٢٢٥ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول ، القسم ١ ، ص ٢٣٧ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ٣٤ .

٤ – مورور : Moron مدينة أندلسية من أعمال إشبيلية وهى من الجنوب الشرقى من إشبيلية وتبعد عن قرطبة حوالى ستين ميلاً يقول الحميرى " كورة مورور متصلة بأحواز قرمونة من جزيرة الأندلس ، وهى فى الغرب والجوف من كورة شذونة وأحوازها متصلة بأحوازها ، وهى من قرطبة بين القبلة والغرب وقاعدة قلب مورور ودار الولاة بها ... وكانت جباية مورور أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن إحدى وعشرين ألف دينارًا

– انظر الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨٨ ، ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٩٣ .

ابن هشام بأخباره بأمر هذه الثورة ، فاستعد على الفور أحد قواده وأمره بالسير إلى موروور للقضاء على الثائر الخارجي ، وعلى الرغم من قوة هذا الثائر إلا أنه قُتل واحتزت رأسه على أيدى قائد الأمير الحكم بن هشام وأرسلت رأسه إلى قرطبة(١) ويذكر النويرى أنه " لما رأى الحكم بن هشام رأس الثائر البربرى ، أحسن إلى ذلك القائد ، ووصله وأعلى محله "(٢).

ثورات المولدين فى عهد الحكم بن هشام :

على أن أخطر الثـورات التى أقلقت بال الحكم وكـادت أن تطيح بملكه ، هـى تلك الثـورات التى قام بها المولدون فى قرطبة وطليطلة عاصمة القوط القديمة وقاعدة الثغر الأدنى وكان بين أهلها الكثـير من المستـعربين والمولدين وهم المسلمـون الجـدد أو الذين نشـئوا عن الزواج بين العرب وأهل البلاد(٣) وكما سبق أن ذكرنا ، كان سبب ظهور قوة المولدين يرجع إلى اتجاه أمراء بنى أمية إلى تدعيم سلطانهم عن طريق الاعتماد على العرب وقد أسرف خلفاء بنى أمية فى اصطناع العرب ، الأمر الذى أحس معه المولدون بأنهم مضيعون فى دولة هم أصحابها الحقيقيون(٤) وكانت حقوقهم تهدر على مر الأيام ، فى الوقت الذى زادت فيه أعدادهم باطراد الدخول فى الإسلام الذى مضى سريعاً نحو النمو والانتشار فى عصر الإمارة وازدادت أعداد المسلمين الجدد فى الريف وكانت أشد ظهوراً فى المدن الكبرى مثل قرطبة وطليطلة ، ويذكر د.حسن أحمد محمود أن العرب حين دخلوا البلاد كانوا رجالاً فقط ، فلم يصطحبوا معهم نسائهم وعيالهم ، أى أنهم لم ينشئوا جاليات عربية كما كان الأمر فى مصر والشام أو العراق وخراسان ، فاختلط الجنسان فى الأندلس من أول الأمر ونشأ جيل من المولدين يجمعون فضائل الجنسين يطلبون مكاناً فى المجتمع بعد أن انقطع المد العربى (٥).

واعتقد هؤلاء المولدون أنهم هم العرب الذين ورثوا أنساب آبائهم وأصبح هذا الجيل الثالث أو الرابع من المسلمين شديد الأثر فى حياة البلاد ، شعروا بمركب النقص وأنهم مبعدون عن

---

١ – ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٦ ، ص ٢١٨ .

Scott. Morish Empire in Europe, Vol, I, p. 482 .

٢ – النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٩٣ .

٣ – انظر ، ص ٧ ، ٨ ، من البحث هامش رقم (١) .

٤ – حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ٩٦ .

٥ – حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ٩٦ .

أمور الدولة وتقاليدها وقد زادت الهوة بينهم وبين أمراء البيت الأموى اتساعًا فقد منح هؤلاء ثقتهم لأهل الشام بحكم اتفاق المشارب من ناحية وبحكم امتياز الشاميين خاصة فى مسائل السياسة والإدارة(١) من ناحية أخرى .

وأمام هذا الإحساس شعر المولدون بضرورة التخلص من سلطان قرطبة الذى سلبهم حقوقهم السياسية والاجتماعية ففى ١٨١هـ / ٧٩٧م اندلعت ثورتهم فى طليطلة ، هذه المدينة التى لم تعرف الهدوء أبدًا فى ظل بنى أمية ، فقد كانت بلدًا مسيحيًا قل أن يدخل المسلمون ، وإن كان أهلها من النصارى قد استعربوا مع احتفاظهم بحياتهم الخاصة ، واستقلالهم وكان الراغبون فى الخروج على طاعة الدولة الإسلامية من أهل طليطلة يستطيعون دائمًا الاستعانة بأمراء النصرانية فى الشمال (٢) ، على كل حال أعلن المولدون الثورة بطليطلة فى أيام الأمير الحكم بن هشام وشجعهم فى ذلك المستعربون وتولى قيادة أولئك المولدون رجل يدعى عبيدة ابن حميد(٣) وأعلن العصيان والثورة وانضمت حوله جموع أهل طليطلة ، ويرز فيهم خلال تلك الفترة الشاعر غربيب الطليطلى(٤) الذى كان يشعل شعره روح الثورة ، ولم يتردد الحكم

---

١ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، نفس الصفحة ، عن المولدين وموقفهم من الدولة الأموية فى الأندلس ، انظر أيضًا أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٨ .

٢ - حسن محمود : نفس المرجع والصفحة .

٣ - اختلف المؤرخون حول اسم هذا الزعيم المولد ، فابن سعيد المغربى أطلق عليه ابن خمير وابن خلدون يسميه ابن عمير أما ابن عذارى وابن الأثير والنويرى فسمونه عبيدة بن حميد راجع ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ١٠٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٨١ ، ابن سعيد المغربى : المغرب ، جـ١ ، ص ٤٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٧٣ ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٤٥ هامش رقم (١) .

٤ - هو غريب بن عبد الله الطليطلى . " شاعر قديم مشهور الطريقة فى الفضل والخير " عنه انظر : الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس ، نشر كوديرا وريبيرا ، مدريد ١٨٨٤م ، ت رقم ١٢٨١ ، الحميدى (أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى) جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس - الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ت رقم ٣٠٧ ، ابن سعيد المغرب ، المغرب فى حلى المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٣ - المقرى : نفح الطيب : جـ ٤ ، ص ٣٣٢ .

ابن هشام فى التحرك سريعًا ، فأسند إلى عمروس بن يوسف[١] عامله على طلبيرة مهمة إخماد ثورة أهل طليطلة .

فالتقى عمروس بالثوار فى عدة وقائع ولكنه لم يستطع القضاء عليهم فلجأ إلى سلاح الاغتيال ، فاستمال إليه بعض وجهاء المدينة بالمنح والعطايا ، ودفعهم إلى اغتيال عبيدة بن خفير وبعث عمروس برأس عبيدة إلى الحكم بقرطبة[٢].

وبذا هدأت الثورة فى طليطلة ولكن إلى حين ، فلم تمض فترة قصيرة حتى عادت طليطلة إلى الثورة من جديد ، ولم يستطع الحكم إعادة البلاد إلى الهدوء والطاعة ، فلجأ إلى سلاح الحيلة والخديعة ، فعين عمروس بن يوسف واليًا على طليطلة ، وكتب الحكم إلى أهل طليطلة يقول" أنى قد اخترت لكم فلانًا " أى عمروس " وهو منكم " أى من المولدين " لتطمئن قلوبكم إليه وأعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا وموالينا لتعرفوا جميل رأينا فيكم " [٣]. وتظاهر عمروس أمام أهل المدينة ببغضه لبنى أمية حتى استمالهم إليه ووثقوا به [٤]، ثم شرع عمروس فى بناء قلعة حصينة لتكون مقرًا له ولجنده ومنع اختلاطهم بأهل طليطلة وجعل فى وسط القلعة حفرة ولهذه القلعة بابان ثم أخبر الحكم فأرسل ابنه عبد الرحمن وعدد من وزرائه واتفقوا مع الوالى عمروس على حضور مأدبة دعى إليها وجوه أهل طليطلة ، فحضروا لمقابلة

---

١ - هو من بنى عمروس وجده الأكبر عمروس بن يوسف وهو من المولدين واصله من مدينة وشقة ويطلق عليه فى الحوليات اللاتينية اسم Amboroz ، أما الحوليات الإفرنجية فتطلق عليه اسم Amorroz†وكان عمروس بن يوسف هذا فى بداية أمره غلامًا لعيشون الأعرابى والى جرندة " Gerona " ثم التحق بخدمة مطروح بن سليمان الأعرابى الثائر على الأمير عبد الرحمن بن معاوية بسرقسطة فى الثغر الأعلى وسرعان ما أنقلب عمروس على سيده مطروح واشترك فى قتله ، ثم قدم قرطبة وتمتع بمنزلة كبيرة لدى أمراء بنى أمية وخاصة الأمير الحكم بن هشام وجعله واليًا على طلبيرة . انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق : محمود على مكى ، ص ٦٠٨ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٦ - ٢٩ . ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٥ ، راجع أيضًا العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٩ ، عنان : دولة الإسلام ، العصر الأول ، قسم (١) ، ص ٢٣٩ ، سالم : المسلمون وآثارهم ، ص ٢٢٢ .

Simonet, op. cit, pp. 300 - 301 . Levi Provencal, L'Espagne, p. 126 .

٢ - النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٨١ : ١٨٢ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٩ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٤٠ ، ابن خلدون: العبر ، جـ٤ ، ص ٢٧٣ ، عنان : دولة الإسلام : العصر الأول ، ق١ ، ص ٢٣٩ .

٣ - النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٨٥ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ١٢٤ ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة .

٤ - أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٩ .

الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، لكنهم حضروا ليقابلوا الموت ، رتب عمروس دخول زعماء طليطلة من باب والخروج من باب آخر منعًا للزحام ، فأتى المدعوون ، أفواجًا في الموعد المحدد، فكان أن دخل منهم فوج أخذوا إلى ناحية من القصر وضربت أعناقهم وألقيت في الحفرة التي حفرت خصيصًا لهذا الغرض وكان قرع الطبول يحول دون سماع الاستغاثة ، حتى أتى القتل منهم إلى خمسة آلاف وثلاثمائة ولم ينقذ الآخرين إلا اكتشافهم المكيدة ، وهكذا جردت المدينة من زعمائها ، فاستقامت طاعة أهل طليطلة ، بقية أيام الحكم وابنه عبد الرحمن ، وقد عرفت هذه الواقعة ، بواقعة الحفرة وكانت سنة ١٩١هـ / ٨٠٧م (١).

ثورة الربض :

هذا ولم تلبث أن اندلعت الثورة في قرطبة مرة أخرى وذلك سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧م(٢) وعرفت هذه الثورة باسم ثورة الربضيين نسبة إلى الربض(٣) وهو ضاحية من ضواحي قرطبة

---

١ -ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٥ : ٦٧ ، النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٨٥ : ١٨٦ ، ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٩ : ٧٠ ، مجهول : جغرافية الأندلس ، ص ١٣٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٢٦ : ١٢٧ ، العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ، مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧٨ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٢٢ ، يذكر محمد عبد الله عنان في كتابه دولة الإسلام في الأندلس ، أن بعض المصادر تذكر أن من هلك في هذه الواقعة حوالي ٧٠٠ أمثال ، ابن عذاري ، أما بن حيان فيذكر أن الأمير عبد الرحمن هو المدبر لهذه المكيدة وأن من هلك في هذه الواقعة يقدر زهاء خمسة آلاف ، انظر عنان : دولة الإسلام في الأندلس : العصر الأول ، القسم (١) ، ص ٢٤٠ ، هامش رقم (١) ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٥ ، ص ١٢٤ : ١٢٥ .

Dozy : Hist. Vol. I, p. 291 : 294 .

Levi Provencal. Hist, Vol.I, P. 156 : 158 .

٢ - اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هذه الثورة ، فابن الأثير والنويري يذكران أنها حدثت في سنة ١٩٨هـ دون أن يحدد الشهر الذي وقعت فيه الثورة ، أما أبو المحاسن ابن تغري بردي فيذكر أنها كانت في رمضان سنة ١٩٨هـ / مايو ٨١٤م ، ويختلف مع هؤلاء كل من ابن الأبار وابن عذاري ، حيث يذكران أنها حدثت في ١٣ رمضان سنة ٢٠٢هـ / ٨١٧م ، انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ٤ ، ص ١٧٢، النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٧ ، ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : نشر دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٦م ، جـ١ ، ص ١٥٨ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٤ ، ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٥ : ٧٧ ، انظر سالم : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص٧٠ : ٧١ ، كذلك يؤكد كل من ابن حزم وابن سعيد أن ثورة الربض حدثت في ١٣ رمضان ٢٠٢ هـ انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ص ٨٨ ، ابن سعيد المغرب في حلى المغرب جـ١ ، ص ٤٢ .

٣ - الربض : كلمة عامة تعني الضاحية أو الحي والجمع أرباض ، ويقع ربض قرطبة هذا في جنوب المدينة على الضفة الأخرى لنهر الوادي الكبير ، ويسمى ربض شقندة ، معرب من اللاتيني Secunda وكان هذا الربض مسكن للعمال وأهل الأسواق وقد تفجرت هذه الثورة في هذا الربض وانجلت عن هزيمة الثائرين=

يقيم فيها العمال والزراع والصناع وأرباب الحرف المختلفة ، وسبب هذه الثورة كما سبق أن ذكرنا أن معظم فقهاء هذا العصر كانوا من المتأسلمين أو أبنائهم الذين كان شأنهم شأن كل داخل في دين جديد أكثر تعصبًا من المسلمين أنفسهم ، ولم تأت اعتراضات الفقهاء ضد الحكم بسبب طيشه وخفته كما يدعون فحسب ، ولكن وجه إليه الفقهاء اللوم بسبب سلوك حرسه الذي كان يتألف وقتذاك من الزنوج وغيرهم من المرتزقة الأجانب ، وهؤلاء كانوا لا يعرفون العربية ، فانطلق الفقهاء يتحدثون بنقاط ضعف[1] الأمير ثم تجاوز الحد فوجهوا إليه السباب واللعنات[2] يقول ابن الأثير "[3] وصاروا يتعرضون لجنده بالأذى والسب إلى أن بلغ الأمر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان الصلاة يا مخمور الصلاة " ... ولقى هذا التحريض استجابة شديدة من جانب المولدين الذين كانوا يريدون تحسين وضعهم السياسى والاجتماعى ، فما كان من الحكم إلا أن أمر بالقبض على عشرة[4] من زعمائهم الذين

= وطرد أهله من الأندلس ، وهدم بيوته وتحويل جزء منه إلى مدافن عرفت بمقبرة الربض ولم يعمر هذا الموضع بعد أيام المسلمين ، ويقوم فيه اليوم حى من أحياء قرطبة الحالية يعرف باسم حى الروح المقدس Barrei del Espiritu Souto وعلى مدخل هذا الحى ، فى مواجهة القنطرة يقوم الحصن المعروف بحصن قلهرة Castillo la Calahorra وقد أنشئ بعد أيام المسلمين . انظر ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٤ ، هامش رقم (١) ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٠٤ ..

١ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٨ : ٦٩ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

٢ - يقول ابن عذارى " وقد اختلفت الروايات فى سبب قيام الناس وهياجهم ، فمنهم من يقول إن ذلك الهيج كان أصله البطر ، إذ لم تكن ثم ضرورة من إجحاف فى مال ، ولا انتهاك لحرمة ، ولا تعسف فى ملكه ، والحال تدل على ذلك : فإنه لم يكن على الناس وظائف ولا مغارم ، ولا سخر ولا شىء يكون سببًا لخروجهم على السلطان ، بل كان ذلك شرًا وبطرًا وملالاً للعافية ، وطبعًا جافيًا وعقلاً غبيًا وسعيًا فى هلاك أنفسهم - أعذنا الله من الضلال والخذلان وأسباب البوار والخسران " ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٧٥ : ٧٦.

٣ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ١٧٢ .

٤ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص٤٤ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٧٦ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة . كان من هؤلاء العشرة يحيى بن نصر اليحصبى وموسى بن سالم الخولانى وولده " انظر ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٧ - ٦٩ .

تعرضوا له بالتجريح فصلبهم ، فثارت ثائرة أهل قرطبة وحملوا السلاح وكان أشدهم ثورة تحفزًا أهل الربض الجنوبي[١] فأكثروا من التعرض لجند الأمير الحكم وحرسه والاعتداء عليهم[٢] وامتلأ جو قرطبة بالسخط على الأمير الحكم بن هشام وأنكر الناس عليه إطلاقه يد ربيع القومس متولي المعاهدين النصارى وفرضه المغرم على المسلمين[٣] وفي أثناء هذا الجو المتوتر حدث ما أشعل نار الثورة بين سكان الربض في قرطبة ، فقد قتل أحد مماليك الأمير الحكم بن هشام ، غلامًا ، فغلت مراجل الغضب وانفجرت أحقادهم على الأمير[٤] .

يقول ابن الأثير[٥] " أن مملوكًا للحكم سلم سيفًا إلى صقيل ليصقله فماطله فأخذ المملوك السيف ، فلم يزل يضرب الصقيل به إلى أن قتله وذلك في رمضان من هذه السنة « أي ٢٠٢هـ » فكان أول من شهر السلاح على أهل الربض ، واجتمع أهل الأرباض جميعهم بالسلاح " فهبوا أهل الربض مرة واحدة وتجمعوا على المملوك وقتلوه ، وخرجت جماعات كبيرة منهم مسلحة بالبلط والعصي والسكاكين وكل وما وصلت إليه أيديهم من سلاح وفاجأت هذه الجموع قصر الأمير ، ولكن سرعة بديهته هدته إلى فكرة مكنته من النصر ، فقد استدعى بعض قواته وأمرها بأن تذهب إلى حي الربض فتشعل فيه النار بينما تقاتل بعض القوات الأخرى على أبواب القصر ولما رأى الثوار مساكنهم تحترق أسرعوا إليها لينقذوا أولادهم ونساءهم وعلى الجسر هاجمتهم القوات من الأمام والخلف وأثخنوا فيهم القتل مدة ثلاثة أيام قتل خلالها عدد كبير تجاوز العشرة آلاف رجل[٦] وفر من قرطبة أضعاف ذلك[٧] وأمر الحكم الباقين بالخروج من قرطبة وبدأ رحيلهم في سنة ٢٠٢هـ / ٨٠٨م فهاجرت جماعات إلى

---

١ - ابن القوطية : المصدر السابق ، ص ٦٨ : ٦٩ .

٢ - عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص ٢٤٣ .

٣ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الخاص بالأندلس ، نشر مختار اعبادي ، ص ١٥ ، سالم والعبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٦٨ .

٤ - سالم ، العبادي : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

٥ - ابن الأثير : نفس المصدر ، والجزء والصفة ، جـ٥ ، ص ١٧٢ .

٦ - ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٧٦ .

٧ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٦ .

العـدوة بالمغـرب[١] فنزل بعـضـهـم مـدينة فـاس وأطلق على المحلة التى نزلوها اسـم ربض الأندلسيين ، ومنهم نزل بوزفور من أغمـات[٢] بالمغرب الأقصى ، فحاربهم جيرانهم البربر ، فانهزم الأندلسيون[٣] وتفرقوا ببلاد أغمـات ولكن البربر أجلوهم عنـها إلى وليلى[٤] ولجـأت جماعات منهم إلى طليطلة لمخالفة أهلها على الحكم كما سبق القول [٥].

---

١ – ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٤ : ٤٥ ، ابن عذارى : البيـان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٧ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ١٧٢ .

٢ – أغمات مدينتان أحدهما تسمى أغمات وريكة والأخرى أغمات هيلانة وبينهما نحو أميال وبأغمات وريكة يسكن الأعيان وبها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهز للصحراء ، انظر مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٢٠٧ ، قارن البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٥٣ ، ياقوت : معجم البلدان : مادة أغمات ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٦ .

٣ – البكرى : المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

٤ – البكرى : نفس المصدر والصفحة ، سالم العبادى : تاريخ البحرية ، ص ٧٠ .

٥ – من المرجح أن طليطلة عادت إلى الثورة من جديد بعد سنوات من واقعة الحفرة ، وعقب فشل ثورة الربض هاجر إلى طليطلة عدد كبير من أهل ربض قرطبة (٢٠٢هـ / ٨١٨م) واستقروا هناك ، ويروى صاحب الأخبار المنثورة أنهم فروا إلى طليطلة واحتلوها لأجل خلاف أهلها على الأمير الحكم فاستقروا فيها حتى أوقع بعد ذلك بأهلها وبهم فى " الجملة " .

– ابن سماك العاملى : الزهرات المنثورة فى نكت الأخبار المأثورة ، نشر وتحقيق د. محمود على مكى ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، العدد ٢١ ، الزهرة رقم ٧٥ ، ص ٤٣ . وقد أشار ابن سعيد المغربى أيضاً إلى هذه الطائفة التى لحقت بطليطلة وذكر أنهم كاتبوا مهاجر بن الفتيل الذى كان قد لحق بدار الحرب وولوه عليهم : راجع : ابن سعيد المغرب ، جـ١ ، ص ٤٢ .

– كذلك ذكر ابن الخطيب أن أحد أجداده الأولين المعروف بابن وزير كان من بين هؤلاء المهاجرين إلى طليطلة، راجع ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق٢ ، ص ١٥ : ١٦ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٨: ٧٤ ، ابن حزم جمهرة أنساب العرب ، ص ٨٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٠ : ٧١ ، ٧٥ ، ٧٧ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٣٠ : ١٣١ ، العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٣٠ : ١٣٤ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٢٠ : ٢٢١ ، مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧٨ : ٢٧٩ ، عنان : دولة الإسلام ، العصر الأول ، ق١ ، ص ١٤٥ : ٢٤٣ .

Levi Provencal, Histoire, Vol, I, p.

Dozy Histoire, Vol, I, p. 294 : 296 .

كما اتجهت جماعات كبيرة منهم إلى المشرق فى مياه الإسكندرية عدة سفن ورست كما اتجهت جماعات كبيرة منهم إلى المشرق فى عدة سفن ورست فى مياه الإسكندرية ، ثم فروا منها إلى جزيرة أقريطش(١) واستوطنوها (٢).

يقول بن الأبار(٣) ولما انقضت الأيام الثلاث أمر برفع القتل وتأمين الغل على أن يخرجوا متفرقين فى أقصى الكور وأطراف الثغور ولحق جمهورهم بطليطلة لمخالفة أهلها للحكم ولجأ آخرون إلى سواحل بلاد البربر وأصعدت منهم طائفة عظيمة نحو الخمسة عشر ألفًا فى البحر نحو الشرق حتى انتهوا إلى الإسكندرية وذلك فى أول ولاية عبد الله المأمون بن الرشيد، فغازلهم أهلها وذهبوا إلى إذلالهم ، فأبوا الضيم وثاروا بهم فغلبوهم ، وبذلوا السيف فيهم ، وقتلوا كثيرًا منهم وسطوا بهم سطوة منكرة وملكوا الإسكندرية مُدَيدة إلى أن ورد عبد الله بن طاهر أميرًا على مصر من قبل المأمون فصالحهم على التخلى عنها على مال بذله لهم وخيرهم فى النزول بحيث شاءوا من جزائر البحر فاختاروا جزيرة أقريطش من البحر الرومى " .

ولكن يذهب الدكتور سعد زغلول عبد الحميد إلى القول بأن الأندلسيين الذين وفدوا فى سفنهم إلى الإسكندرية فى عام ١٩٢هـ / ٨٠٨م ، كما يذكر بعض المؤرخين المشارقة(٤)

---

١ - إقريطش (كريت) جزيرة فى البحر المتوسط جنوب شرق اليونان Greece وقد رحل جماعة من الأندلسيين بعد طردهم من الإسكندرية على يد والى مصر طاهر بن الحسين إلى جزيرة كريت فحكموها وأسسوا بها إمارة إسلامية عرفت باسم الدولة الكلبية وقد استمر حكم المسلمين لها من سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧م حتى استردها منهم البيزنطيون سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١م . انظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١، ص ٤٤ : ٤٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥ : ١٦ ، ابن حزم القرطبى : جوامع السيرة ، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٣٤٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٧ ، إبراهيم العدوى : إقريطش والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد الثانى ، أكتوبر سنة ١٩٥٠م.

٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٧٧ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٤ : ٤٥ ، الطبرى (محمد بن جرير) تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق دى غويه ، ليدن ، ١٨٨٠ - ١٨٨٣ ، ص ٣٨ ، ص ١٠٩٢ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٤ ، ص ٢١٢ .

٣ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٥ .

٤ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٤ ، ص ١٧٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ١ ، ص ١٥٨ .

ليسوا من ثوار الربض لأن تلك الثورة حدثت سنة ٢٠١ هـ : ٢٠٢ هـ / ٨١٧ : ٨١٨م بينما شارك الأندلسيون فى أحداث الإسكندرية سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م[١] وهذا يعنى فى رأيه أن هؤلاء الأندلسيين كانوا غزاة بحرية وأن الغزو كان صناعتهم[٢] - ويؤيد الدكتور السيد عبد العزيز سالم هذا القول حيث يقول إن الأستاذ ليفى بروفنسال[٣] يحدد تاريخ ثورة الربض بأنه يوافق التاريخ الذى حدده كل من ابن حيان وابن الأبار[٤] وابن عذارى[٥] وابن سعيد[٦] أى فى سنة ٢٠٢هـ / ٨١٨م كذلك الكندى الذى ذكر أثناء سرده لحوادث الإسكندرية فى سنة ١٩٩هـ إلى ٢١١هـ[٧] كما يذكر كل من ابن الأبار وابن سعيد المغربى أن ثوار الربض لحقوا بطليطلة وذلك لمخالفة أهلها للحكم[٨] فغزاهم وعاث فيهم أشد العيث ونقل وجوه أهلها إلى ترجلة [٩].

---

١ - سعد زغلول : الإسكندرية الإسلامية ، مقال فى كتاب محافظة الإسكندرية منذ أقدم العصور ، الإسكندرية ، سنة ١٩٦٣ ، ص ٢٦٧ ومابعدها

Levi Provencal, Histoire, Vol.I,p. 165 .

٢ - يذكر المقريزى نقلاً عن الكندى فى ذكره أحداث ١٩٨ هـ يقول " وفى سنة تسع وتسعين ومائة عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله الخزاعى أمير مصر وبين عبد العزيز الجروى الثائر بتنيس ... وكانت مراكب الأندلسيين قد قفلوا من غزوهم انظر المقريزى (تقى الدين أحمد) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، طبعة بولاق ١٢٧٠هـ ، وطبعة بيروت سنة ١٩٥٦م ، جـ١ ، ص ٣١٢ ، الكندى : (أبو عمر محمد بن يوسف) : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٥٨ .

٣ - سالم ، العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ٧٠ ، ص ٧١ .

٤ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٥ ، عنان : الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، قسم ١ ، ص ٢٤٦ ، هامش رقم ١ .

٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٧ .

٦ - ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٤٢ ، راجع أيضاً : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٨٨ .

٧ - الكندى : (أبو عمر محمد بن يوسف) كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق الأستاذ رضن جست ، بيروت، سنة ١٩٠٨م ، ص ١٥٨ .

٨ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٥ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٤٢ .

٩ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٧٤ : ٧٧ ، ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ١ ، نفس الصفحة ، سالم ، العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٧٢ : ٧٣ .

وهكذا كانت ثورة الربض من أخطر الثورات الاجتماعية التى كادت أن تطيح بالأمير الحكم وعرشه وقد أدرك الحكم خطورتها ولم تأخذه فى إخمادها هوادة ولا رأفة[١] وأصدر عقب إخمادها كتاباً إلى الكور يشرح فيه الواقعة وظروفها[٢] ، هذا وقد مرض الحكم بعد ذلك فاستناب عنه فى أواخر عهده عبد الرحمن أكبر أولاده لتدبير الأمور فاختاره لولاية العهد وأخذت له البيعة[٣] ، ثم توفى الأمير الحكم بن هشام فى السادس والعشرين من ذى الحجة سنة ٢٠٦هـ / ٢٢ مايو سنة ٨٢٢م ، وقد بلغ الثانية والخمسين ، ودفن مع أبائه فى مقبرة القصر المعروفة بالروضة [٤].

---

١ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ٢٤٥ .

- كانت ثورة - أو هيج الربض ، بعيدة الأثر فى سلوك الحكم الربضى بصفة خاصة وسياسة خلفائه من بنى أمية ، حيال أهل قرطبة وشعب الأندلس ، بصفة عامة ، أما الحكم فقد اتعظ بما وقع خلالها فلم يعد إلي الاستبداد والعسف والاستخفاف بالناس والذى كان سبب هذه الفتنة الكبرى ، ثم إن إسرافه فى القتل وإجلاء أهل الربض عن دورهم ثم هدمه وتحويله إلى أرض زرع ، كل ذلك كان بعيد الأثر فى نفسه فمال إلى التكفر والتقى عما اقترف وقد ظل كذلك حتى توفى فى ٢٥ ذى الحجة سنة ٢٠٦ هـ / ٢١ مايو ٨٢٢م. وأما بالنسبة لسياسة خلفائه فقد تعلموا احترام الناس وسلكوا تجاههم سياسة اللين ، فلم يقع هيج الربض بعد ذلك . انظر ابن الأبار : نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٤٧ .

٢ - انظر وثيقة الأمير الحكم بن هشام فى مخطوط ابن حيان : المقتبس ، ص ١٠٣ : ١٠٤ ، نقلها الأستاذ محمد بن عبد الله عنان فى كتابه دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ٢٤٥ : ٢٤٦ .

٣ - ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٦ : ٤٧ .

٤ - ابن الأبار : نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٤٦ ، ص ٤٧ ، ابن عذارى : البيان : جـ١ ، ص ٧٧ ، ويذكر ابن القوطية أن الأمير الحكم أبدى حين مرضه أسفه وندمه لما أوقعه بأهل الربض .

الفصل الرابع

عبد الرحمن الثانى[1]

(٢٠٦ - ٢٣٨هـ / ٨٢٢ - ٨٥٢م)

ودوره فى القضاء على حرب العصبيات

ورث عبد الرحمن ملكًا هادئًا بعض الهدوء ، فقد نفى أبوه الحكم كما سبق القول المشاغبين من مسلمى قرطبة بعد أن قضى على كثير منهم وألقى على المتزمتين من الفقهاء درسًا لا ينسى .

ولم يبق على عبد الرحمن الثانى إلا أن يقضى على الاضطرابات القائمة على حدود دولته مع نصارى الشمال (٢).

---

١ - كنيته أبو المطرف أمه تسمى حلاوة ، مولدة سنة ١٧٦هـ / ٧٩٢م بمدينة طليطلة ، وعنى والده بتربيته وتعليمه ، وعهد إليه بولاية العهد باعتباره أكبر أبنائه ، تولى حكم الأندلس وهو فى الثلاثين من عمره، وعرف بعبد الرحمن الأوسط لأنه ثانى ثلاثة سموا بهذا الاسم تولوا حكم الدولة الأموية فى الأندلس ، كان عبد الرحمن بن الحكم عالمًا متبحرًا فى علوم الشريعة والفلسفة ، كما كان أديبًا ذا همة عالية ، انظر ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٠ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٤٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٨٠ :٨١ ، ص ٩٠ : ٩١ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٣٦ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١١٣ ومابعدها ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٧٥ : ٨٥ .

٢ - عن غزوات الأمير عبد الرحمن الثانى لنصارى الشمال ، انظر ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ .

Levi Provencal, Histoire, t, I,p. 203, 204, 205, 206 , 217 .

- المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

وعلى الرغم ما اتصف به عصر الأمير عبد الرحمن من الهدوء النسبى كما سبق القول . إلا أنه حدثت فى الأندلس عدة ثورات داخلية تغلب عليها الأمير عبد الرحمن الأوسط ، ففى مستهل عهده ، عاد عبد الله البلنسى عم الأمير إلى الثورة من جديد واحتل كورة تدمير ويذكر ابن سعيد المغربى[١] أنه جمع الناس وصلى بمسجدها الجامع ، ولم يتم كلامه حتى ضربته ريح باردة فسقط مفلوجًا ومات سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣م فاحتل الأمير عبد الرحمن كورة تدمير ، وتكفل بأهله وولده [٢]، وبموت عبد الله البلنسى عادت بلنسية إلى حظيرة الحكومة المركزية وتولى أمرها عامل من قبل الأمير عبد الرحمن الثانى (الأوسط) [٣].

الصراع بين اليمنية والمضرية فى تدمير :

لم يقطع السكون الذى كان يسود عصر الأمير عبد الرحمن الثانى (الأوسط) سوى فتنة قامت من جديد فى تدمير سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٣م ، بين المضرية واليمنية دامت سبع سنين فاضطرمت الفتنة من جديد وكان سبب هذه الفتنة أن أحد المضرية انتزع ورقة دالية من جنان يمانى ، فقتله اليمانى[٤] فقامت الحرب بين العصبية المضرية واليمانية وازداد الأمر سوءًا بعد أن تغلب زعيم اليمنية الثائر أبى الشماخ محمد بن إبراهيم على تدمير واضطر الأمير عبد الرحمن أن يتدخل ، فأغزى إلى الفريقين المتقاتلين سنة ٢٠٧هـ / ٨٣٢م[٥] القائد يحيى بن عبد الله بن خلف فالتقى معهم فى موقعه عرفت بموقعة المصارة ، قتل منهم نحو ٣ آلاف ، وفى سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٥م أرسل قائده أمية بن معاوية ابن هشام إلى تدمير فاشتبك مع قائدهم أبى الشماخ فقضى على عدد كبير منهم[٦] وبذلك هدأت الفتنة سنة ٢١٣ هـ /

---

١ – ابن سعيد المغربى ، جـ١ ، ص ٤٧ – ٤٨ .

٢ – ابن سعيد المغربى : نفس الجزء والصفحات ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٦٣ – ٣٦٤ .

٣ – سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم ، ص ٢٣٠ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٨١ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٥ ، ابن سعيد المغربى ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٠ ، المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٤٨ .

٥ – ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ٨١ ، سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، ص ٢٣٠ .

٦ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، نفس الصفحة ، العذرى : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

٨٢٧م[١] وخضع أبو الشماخ وغيره من الزعماء، وطلبوا الأمان وعادوا إلى الطاعة[٢].

ثورات المولدين فى طليطلة فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط :

هذا وقد شغلت عبد الرحمن فى الأعوام التالية ، عدة ثورات محلية حيث كانت الفتنة تشتعل فى نفس مواطنها القديمة فى ماردة وطليطلة ، حيث عناصر الخروج على السلطة من المولدين تحتشد وتعمل بعيدة عن العاصمة تتلقى العون والتأييد من نصارى الشمال[٣] ، ففى سنة ٢١٤ - ٨٢٩م قامت الثورة فى طليطلة فثار بها زعيم يدعى هاشم الضراب[٤] ، وفى طليطلة اجتمع لديه عدد كبير من الثوار ، حتى اشتد بأسه وقوى أمره وعلا ذكره ، ولم يكتف ببسط نفوذه على مدينة طليطلة ، بل أغار على البربر المجاورين لها فى شنت برية[٥] وأوقع بهم[٦] ، فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن حملة للقضاء عليه ، جعل القيادة فيها لأحد قواده

---

١ - عمد الأمير عبد الرحمن الأوسط بعد انتهاء الثورة فى تدمير إلى هدم المدينة حاضرة كورة تدمير والتى اندلعت منها الفتنة وأمر ببناء مدينة مرسية على يد جابر بن مالك لبيد عامل تدمير يومئذ ولم تلبث مرسية بعد ذلك أن صارت قاعدة لكورة تدمير ثم سميت الكورة كلها باسمها ، راجع ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٦٣ ، جـ٢ ، ص ٣١٦ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٥ ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨١ ، ١٨٣ .

٢ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، نفس الصفحة ، العذرى : المصدر السابق ، ص٥ .

٣ - العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٩ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، ق(١) ، ص ٢٥٧ : ٢٥٩ .

٤ - سمى بالضراب لأنه لما أحرق الحكم طليطلة فى واقعة الحفرة وأنزل أهلها منها إلى السهل ، أخذ رهائنهم . فدخل حينئذ هاشم الضراب قرطبة ، وسار يضرب بالمعول فى الحدادين أجيراً ، فعرف بالضراب ، انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٨٣ .

٥ - شنتبرية Santaner التى تقع شمال شرق طليطلة بالقرب من نهر التاجو ومن أهم حصونها قلعة أقليش Ucles التى تقع الآن من مقاطعة كونكا " Cuenca " ويروى الحميرى " أنها مدينة متوسطة القدر حسنة التربة بها مسجد وجامع ومنبر وبها المراكب واردة وصادرة وهى كثيرة الأعناب والتين ، وبينها وبين شلب ثمانية وعشرون ميلاً ، انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢٨ ، ص ١١٤ : ١١٥ .

٦ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٨٣ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٢١٩ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٠ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق١ ، ص ٢٥٨ .

وهو محمد بن رستم[١] عامل الثغر الأدنى ودارت بينه وبين الثوار عدة . وقائع غير حاسمة ، واضطر الأمير عبد الرحمن إلى إرسال المدد إلى عامله ، فزحف إلى الثوار والتقى معهم فى معركة عنيفة استمرت عدة أيام ، دارت فيها الدائرة على هاشم الضراب الذى سقط سريعًا هو وكثير ممن كانوا معه [٢]، ومع ذلك فقد واصلت طليطلة الثورة وكان على الأمير عبد الرحمن بن الحكم أن يخوض معارك لإخضاعها ، فسير عبد الرحمن حملة كبيرة إلى طليطلة جعل القيادة فيها لأخيه أمية بن الحكم سنة ٢١٩هـ / ٨٣٤م فحاصرهم حتى أجهد أهلها ومع ذلك لم يذعن أهلها بالطاعة . فرحل عنها[٣] وأبقى بعض قواته بقيادة ميسرة الفتى فى قلعة رياح[٤] والاستمرار فى مضياقته أهل طليطلة مما دفع سكانها إلى الخروج من مدينتهم

---

١ - ينتسب محمد بن رستم إلى مؤسس الدولة الرستمية فى تاهرت بالمغرب الأوسط وكانت العلاقات بين الدولة الرستمية والأموية فى قرطبة علاقات ودية وفى سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٣م ، قدم على بلاط قرطبة بنو عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم وكان من أبرزهم محمد بن سعيد ابن محمد بن عبد الرحمن بن رستم وقد ولاه الأمير عبد الرحمن الأوسط الوزارة والقيادة ، وفى سنة ٢١٤هـ / ٨٢٩م عهد إليه بحكم الثغر الأدنى (طليطلة) حينما نشبت ثورة هاشم الضراب وقد تمكن محمد بن رستم من القضاء على ثورة هاشم الضراب وقتله ، وظل محمد بن رستم يتولى الوزارة والقيادة للأمير عبد الرحمن الأوسط إلى أن توفى سنة ٢٣٥هـ / ٨٤٩م ، راجع ابن سعيد المغربى : المغرب ، جـ١ ، ص ٤٨ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٤٨ ، ابن حيان : المقتبس : تحقيق محمود على مكى ، تعليق رقم ٨٧ ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

٢ - النويرى : نهاية الإرب ، جـ٢٢ ، ص ١٩٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٨٣ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٠ ، عنان : دولة الإسلام ، ق١ ، ص ٢٥٨ ، حمدى عبد المنعم محمد حسين : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٥٣ : ٥٥ .

Levi provencal : Vol, I, p. 201 .

٣ - عنان : المرجع السابق ، ق١ ، ص ٢٥٨ .

٤ - قلعة رباح Calatrava ، قلعة بالأندلس يقول ؛ الحميرى " أنها من أعمال حيان وهى بين قرطبة وطليطلة " وهى فى التقسيم الإدارى للأندلس مدينة تابعة لطليطلة وحسب قول الحميرى لها حصون حصينة وتقع على نهر يذكره الرازى أنه نهر يانة وهى مسماة على اسم التابعى على بن رباح اللخمى الذى اشترك فى فتح الأندلس يقول الحميرى " وفى سنة ٢٤١هـ أمر الإمام محمد بتحصين مدينة قلعة رباح والزيادة فى مبانيها " وقد سقطت قلعة رباح فى يد ألفونسو السادس مع طليطلة (سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٥م) وقد استعادها أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدى بعد انتصاره فى وقعة الأدك بعد تبادلها والنصارى عدة مرات وقد خرجت عن المسلمين نهائيًا سنة ١١٤٧م ، ثم أصبحت بعد ذلك مركزًا لطائفة مشهورة من =

ومهاجمة قلعة رياح فخرج لهم ميسرة وقتل منهم عدداً كبيراً فارتدوا إلى داخل المدينة وعادوا إلى الاعتصام بأسوارها المنيعة ، ولم يلبث أن توفى ميسرة(١) وتولى أمر القلعة أبا الشماخ اليمنى خلفاً لميسرة الفتى وأبقى الأمير عبد الرحمن معه جيشاً للتضييق على أهل طليطلة ، بينما اتجه الأمير عبد الرحمن إلى مدينة ماردة لإخضاع ثورات البربر فيها(٢) وفى عام ٢٢١هـ / ٨٣٦م خرجت جماعة من أهل طليطلة يتزعمهم رجل يدعى مهاجرين الفتيل إلى قلعة رباح وانضموا إلى جيش الأمير عبد الرحمن واتفقوا جميعاً على حصار طليطلة واستمر الحصار إلى العام التالى (٢٢٢هـ / ٨٣٧م) فجهز الأمير عبد الرحمن جيشاً جعل القيادة منه لأخيه الوليد بن الحكم(٣) يقول ابن عذارى " فوجدهم – أى أهل طليطلة قد بلغ بهم الجهد ثم أطل عليهم الأمير ، فافتتحها قهراً ، ودخلها على حكمه " (٤)، وأقام الوليد بالمدينة عام لينظم أمورها ويصلح أحوالها ، فأعاد تجديد القصر الذى بناه عاملها عمروس بن يوسف أيام الأمير الحكم بن هشام(٥)، وأخيراً خضعت المدينة الثائرة ، بعد عدة أعوام من الفتن والثورات

= الرهبان المرابطين (كالداوية والاستبارية وهى طائفة قلعة رباح La orden de calatava التى تجردت لحرب المسلمين ، راجع : الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٦٣ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، هامش (٣) ، ص ١٧٧ – ١٧٨ ، مؤلف مجهول : جغرافية الأندلس ، ص ٥٠ – ١٤٧ .

١ – النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٩٨ : ١٩٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ص ٨٤ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٣٢ : ٢٣ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ق(١) ، العصر الأول ص ٢٥٨ : ٢٥٩ ،

Levi Provencal, Histoire, Vol, I, p. 201 .

٢ – النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ١٩٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٨٤ ، ابن النويرى : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٣٧ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣١ ، عنان : دولة الإسلام ، ق(١) العصر الأول ، ص ٢٥٩ ، محمد عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

٣ – النويرى : نهاية الإرب ، جـ٢٢ ، ص ١٩٨ – ١٩٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ص ٢٤٥ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣١ ، عنان : دولة الإسلام ، ق١ ، العصر الأول ، ص ٢٥٩ .

Levi Provencal, Histoire, Vol, I, pp. 201- 202 .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٨٤ – ٨٥ .

٥ – النويرى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٩٨ – ١٩٩ ، ابن عذارى : نفس المرجع ، ص ٢٣١ ، عنان : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٥٩ ،

Levi Provencal, Histoire, Vol, I, pp. 201- 202 .

المستمرة كان كما يذكر محمد عبد الله عنان تغذيها روح التمرد والمتأصل فى شعبها ودسائس النصارى والبربر ، وتحريض الفرنج والجلالقة (١).

ثورات مولدى الثغر الأعلى وموقف الأمير عبد الرحمن منهم :

كان موسى بن موسى بن فرتون بن قسى (المعروف بموسى الثانى) من أبرز زعماء المولدين بالثغر الأعلى فى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) وعلى الرغم من قوته وصلابته فإنه كان يرتبط بروابط الولاء للدولة الأموية ، وظل يبذل الطاعة للأمويين خلال النصف الأول من عهد الأمير عبد الرحمن(٢)، حيث كان موسى يتولى بعض مناطق الثغر الأعلى(٣) وخلال تلك الفترة اشترك موسى القسوى وابناؤه فى الدفاع عن منطقة الثغر الأعلى وحمايتها من غارات النصارى الإسبان والفرنجة(٤) ولكن سرعان ما توترت العلاقات بين موسى القسوى وحكومة قرطبة ، وتشير المصادر الإسلامية(٥) أنه فى سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١م اشترك موسى القسوى فى إحدى الصوائف التى وجهها الأمويون إلى بلاد الفرنجة بقيادة عبيد الله بن عبد الله البلنسى صاحب الصوائف(٦) إلى أرض الفرنجة وكان موسى يتولى

---

١ - عنان : نفس المرجع والصفحة ، انظر ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٨٤ ، ٨٧ .

٢ - كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس فى العصر الإسلامى ، ص ٥٢ .

٣ - تولى موسى بن موسى بن فرتون بعض مناطق الثغر الأعلى مثل تطيلة وأرنيط ، أما ابنه لب فقد تولى أعمال برجة إحدى قواعد الثغر الأعلى على مقربة من طرسونة وتطيلة ، انظر : العذرى : ترصيع الأخبار، ص ٣٣ .

٤ - على الرغم من علاقة المصاهرة التى كانت تجمع بين بنى قس وبنى ونقة أمراء نبرة المسيحية إلا أن بنى قسى أبلوا بلاء حسنًا فى الحروب التى خاضها المسلمون ضد نصارى الشمال انظر المقرى : نف الطيب، جـ١ ، ص ٣٤٥ تحقيق إحسان عباس ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٨٥ ، ١٨٦ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٢٨٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٥٨ : ٢٦٧ ،

Afi Tark, El Veine de Zaragoza en el sigloxi de cyisto, Medrid, 1978 , p. 12 .

٥ - النويرى : المصدر السابق ، جـ٢٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٨٦ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٩ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق : محمود على مكى ، ص ٤٠٣ هامش (١) ، المقرى : نفح الطيب ، جـ٦ ، ص ٣٤٥ .

٦ - هو عبيد الله بن عبد الله البلنسى ، لحق بالحكم بن هشام ، وكان من ذوى مشورته وكبار (قواده) وأغنى يوم الهيج (يقصد ثورة الربض) أعظم غناء ثم قاد الصوائق لعبد الرحمن بن عبد الحكم ، وكان يعرف بصاحب الصوائف وهو أحد رجالات بنى أمية ، انظر ابن الأبار : الحلة السيراء، جـ٢، ص ٣٦٤.

قيادة مقدمة الجيش وفى هذه المعركة اجتمعت عليهم الفرنجة من كل جانب وأحاطوا بالمسلمين، ودارت معركة عنيفة بين الجانبين انتهت بانتصار المسلمين وقد أبلى موسى القسوى فى تلك المعركة بلاء حسنًا وكان له أعظم الفضل فى انتصار المسلمين على قوات الفرنجة ولكن كانت هذه المعركة سببًا فى خروج موسى القسوى على طاعة الأمير عبد الرحمن الأوسط وتذكر المصادر[١] (الإسلامية) أنه أثناء عودة الجيش الإسلامى من تلك المعركة تعرض موسى القسوى للإهانة من أحد قواد الأمويين ويدعى خزر بن مؤمن فكان يسعى إلى التقليل من شأن موسى ، فوقع الخلاف بين القائدين فخرج موسى عن طاعة الأمير عبد الرحمن الأوسط . ويضيف العذرى سببًا آخر لخروج موسى القسوى عن طاعة الأمويين وهو أن الأمير عبد الرحمن الأوسط أقدم على عزل موسى القسوى عن تطيلة وأمر بتولية عبد الله بن كليب[٢]، يقول العذرى[٣] " كان موسى بن موسى على طاعة ، حتى ولى الإمام عبد الرحمن بن الحكم عبد الله بن كليب سرقسطة وعامر بن كليب تطيلة فأغار عبد الله بن كليب على أموال ونقة بن ونقة أخو موسى بن موسى لأمه ، وأخرج عبد الجبار بن قسى من داره وهدم عامر بن كليب أرض موسى بن موسى وعقر له خيلاً وأباح ظهور أعوانه ، وانتهب أمواله وقطع ثماره ، فانقبض عند ذلك فى سنة ست وعشرين ومائتين " ومما زاد من توتر العلاقات بين موسى القسوى وحكومة قرطبة الأموية أن المطرف بن عبد الرحمن الأوسط خرج بالصائفة إلى أراضى مملكة نبرة أو بنلونة[٤] المسيحية فى سنة ٢٢٧هـ / ٨٤٢م فتقاعس موسى عن

---

١ - النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٨٠ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٤٩ .

٢ - هو عبد الله بن كليب بن ثعلبة بن عبد الله الجزامى وهو من أسرة عريقة ذات رياسة ولاه الأمير عبد الرحمن الأوسط على سرقسطة ثم عزله عنها ٢٢٧هـ وولاه بعد ذلك طيلة بعد موسى القسوى ، وقد عرف عن عبد الله بن كليب هذا عدائه لأسرة بنى قسى ، انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق : محمود على مكى، ص ٤٠٦ .

٣ - العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٢٩ : ٣٠ .

٤ - تمتد غربًا حتى برغش Burgos وشمالاً حتى خليج بسكونية وجنوبًا حتى نهر ابره ، انظر : البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن ، ص ٧٢ : ٧٣ ، سحر سالم : التاريخ السياسى لمدينة بطليوس الإسلامية ، ص ٦٤١ ، ويذكر الحميرى أن بنبلونة تقع على بعد مائة وخمسة وعشرون ميلاً وهى بين جبال شامخة وشعاب غامضة ، انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٥ : ٥٦ .

الاشتراك فيها ، وأرسل ابنه فرتون - نيابة عنه - على رأس فرقة من الفرسان مما أثار غضب المطرف ولم يضمه إلى جيشه ، وأمره بالعودة من حيث أتى[١] لذلك كله جاهر موسى بالعصيان وبدأ فى معاداة حكومة قرطبة الأموية والتحالف مع أقربائه أصحاب مملكة نبرة[٢].

وأيا كان الأمر فقد عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى الحارث بن بزيغ عامله على سرقسطة مهمة محاربة الثائر موسى القسوى فزحف إليه ابن بزيغ واشتبكت قواته الثائر موسى القسوى عند برجه حيث دار القتال بين الطرفين وانتهى القتال بهزيمة موسى وكان ذلك فى ٢٢٧هـ / ٨٤٢م ، واضطر موسى إلى الانسحاب إلى تطيلة بينما عاد ، بن بزيغ إلى مركز ولايته فى سرقسطة ولكن لم يلبث الحارث بن بزيغ أن عاود الغزو مرة أخرى فى أراضى القسوى [٣] ، فزحف إلى تطيلة حيث حاصر الثائر موسى حصاراً شديداً واضطر موسى إلى طلب الصلح وتنازل لابن بزيغ عن تطيلة ، واتجه ناحية أرنيط ولكن موسى القسوى أرسل إلى حليفه وصهره غرسية بن ونقة - أحد أمراء نبرة - يطلب منه العون والمدد فأعد غرسية بن ونقة جيشاً كثيفاً انضم مع قوات موسى القسوى[٤] وأعدوا كميناً للقائد الحارث بن بزيغ ودارت معركة بين الطرفين عند موضع يسمى بلمة " Palma " على نهر ابره وانتهت الوقعة بهزيمة الحارث بن بزيغ ووقوعه أسيراً [٥].

---

١ - العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٣٠ .

٢ - العذرى : المصدر السابق ، ص ٢٩ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول ، ق١ ، ص ٢٥٩ ، كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس فى العصر الإسلامى ، ص ٥٣ .

Maria J. Voguer, Aragon Musalmana Zaragoza, 1981, p. 66 .

٣ - كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس .

٤ - يذكر ابن حيان أن ونقة ابن ونقة Inigo Lniguz الذى أسس مملكة Navra عقب انتهاء الحكم الإسلامى بها سنة ١٨٣هـ / ٧٩٨م ترك عند وفاته ثلاثة أبناء كانوا يلقبون بألقاب الإمارة فى نبرة أو بنبلونة وهم ونقة بن ونقة وغرسية Garcia ، وفرتون Fortum وهو أخ لموسى بن موسى بن قسى ، إذ أن أباهم ونقة قد تزوج من أرملة موسى بن فرتون بن قسى بعد وفاته ، انظر ... ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود عى مكى ، ص ٤٢٠ : ٤٢١ هامش رقم ٢٨ .

Aguade Bleye : Monual de historia de Espana Madrid, 1947, p. 1 .

Justo Perez de urbel : Origen del reins de pamplona Andalus, xix. 1945, pp. 8-9 .

٥ - العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٣٠ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود على مكى ، ص ٢٩٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص١٠٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٨١ ، ابن الأثير : تالكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٦٩ .

وفى أواخر العام نفسه سنة ٢٢٧هـ / ٨٤٢م عاود الأمير عبد الرحمن الأوسط على رأس حملة للثأر من موسى القسوى وحلفائه أمراء بنبلونة فاتجه فى شهر رجب إلى أراضى بنبلونة فعاثا فيها تخريبًا وتمكن من الاستيلاء على موضع يعرف بصخرة قيس ثم عاد إلى قرطبة ظافرًا (١) .

وفى شعبان سنة ٢٢٨هـ / ٨٤٣م خرج الأمير عبد الرحمن للغزو بنفسه إلى إمارة بنبلونة، فتصدى له الثائر موسى القسوى وحلفائه نصارى بنبلونة ، غير أن موسى القسوى وحلفاءه هزموا هزيمة نكراء(٢) ونجا موسى من الموت بعد أن تمكن من الفرار وعقب ذلك طلب موسى الأمان ، فوافق الأمير عبد الرحمن وولاه أرنيط وأطلق موسى نظير ذلك سراح الحارث بن بزيغ كذلك عقد الأمير عبد الرحمن الأمان لونقة بن ونقة شقيق موسى بن قسى كما أقره على بنبلونة على أن يؤدى كل عام جزية مقدارها سبعمائة دينار (٣) .

ولم يمض شهور على ذلك حتى عاود موسى القسوى العصيان فى سنة ٢٢٩هـ / ٨٤٤م(٤) يقول ابن عذارى : وفى سنة ٢٢٩هـ ، خرج الأمير عبد الرحمن لمحاصرة موسى بن موسى بتطيلة ، فدوخ بلاده ، ثم صالحه . ثم تقدم إلى بنبلونة ، فكانت له بها وقعة عظيمة على المشركين ، فنى فيها أعداء الله ، وكان معهم موسى بن موسى ، فناله ورجاله ما نالهم " .

ولكن سرعان ما نقض موسى بن موسى بن قسى العهد وعاد إلى الثورة وعاث فى أحواز تطيلة وبرجة من أعمال الثغر الأعلى يقول العذرى(٥) " ثم نقض موسى بن موسى وخلع فحورب وحوصر حتى سأل الأمان ، فانعقد له فى سنة ثلاثين ومائتين وتقلب فى سنة اثنين وثلاثين ومائتين وتحرك إلى تطيلة وبلغ بابها ، وكان داخلها عبد الله بن كليب ، فأخرج الإمام عبد الرحمن بن الحكم محمدًا المولد بالصائفة إليه ، واحتل عليه فأذعن وولى مدينة تطيلة سنة

---

١ – ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود على مكى ، ص ٢٩٨ ، كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس ، ص ٥٤ .

٢ – العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٣٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٨٦ .

٣ – العذرى : المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٨٧ ، كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٥٥ ، هامش٤ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٨٧ .

٥ – العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٣٠ .

خمس وثلاثين ومائتين ... ثم ولى سرقسطة سنة ثمان وثلاثين ومائتين يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخرة واستقامت طاعته " وقدم ولده إسماعيل رهينة كدليل على وفائه ، فقبل عبد الرحمن طاعته ، ودخل معه فى هذا الصلح أخوه فرتون إنيجز(١) .

هذا وينكر الأستاذ عبد الله عنان أن هذه الغزوات فى الواقع لم يكن لها نتائج مستقرة سوى إيقاع الرعب فى قلوب نصارى الشمال وحلفائهم من المولدين (٢) .

ثورات البربر فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط :

أما ماردة(٣) فقد أشعل البربر المقيمين فيها نيران الثورة ٢١٣هـ / ٨٢٨م وتزعم الثورة هناك زعيمان من زعمائهم هما محمود بن عبد الجبار بن راحلة وهو من بنى طريف من مصمودة(٤) وسليمان بن مرتين المولد يقول ابن القوطية(٥) " وكان قد تحرك فى أخريات أيام الأمير الحكم ، رحمه الله ، بجانب مورور رجل يقال له قعنب ، تنسب إليه فتنة ، فضرب بين العرب والموالى وبين البربر والبرانس ، حتى قامت فتنة اطفأها الله فى صدر أيام عبد الرحمن بن الحكم ، وفر قعنب إلى جانب ماردة وما والاها فقام فيها أيضًا فتنة بين البربر وبين المولدين ، قتله الله فيها " واستقل هذان الثائران بالمدينة ، وشقا عصا الطاعة على الأمير عبد

---

١ – عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، ص ٢٦٥ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود على مكى ، ص ١٤٦ ، لجنة إحياء التراث ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.

٢ – عبد الله عنان : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٢٦١ .

٣ – كانت ماردة تضم أخلاطًا شتى من السكان منهم المستعربون والمولدون والبربر ، وكانت ماردة بحكم مجاورتها لمملكة أشتوريش المسيحية تتلقى العون والتأييد من هذه المملكة الإسبانية للثورة ضد حكومة قرطبة ، وكان الملك ألفونسو الثانى المعروف بالعفيف Alfonso II el casto (١٧٥ : ٢٢٧هـ / ٧٩١ – ٨٤٢م) يشجع سكان ماردة ومدن غرب الأندلس سواء من البربر أو المولدين أو المستعربين ويستعديهم ضد الإمارة الأموية ، كما كان الملك الكارولنجى لويس التقى (١٩٨ – ٢٢٥هـ / ٨١٤ – ٨٤٠م) يقدم العون والتأييد إلى مستعربى ماردة ، راجع :

Scott. Morish Empire in Europe, Vol, p. 482 .

– عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول ، ق١ ، ص ٢٥٧ .

٤ – مؤلف مجهول : نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموعة المسمى بكتاب مفاخر البربر ، اعتنى بنشرها وتصحيحها ليفى بروفنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤ ، ص ٨٠ .

٥ – ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٣ .

الرحمن الأوسط وقتلا عامل الأمير على المدينة مروان الجليقى ، وعلي أثر ذلك سير الأمير عبد الرحمن بن الحكم جيشًا حاصر مدينة ماردة سنة ٢١٤هـ / ٨٢٩م ولكنه لم يظفر بشيء وتوالت الحملات العسكرية على ماردة حتى تمكنت من إخمادها فى ٢١٩هـ / ٨٣٤م(١) فهرب زعيما الثورة فتحصن سليمان بن مرتين زعيم المولدين فى حصن يدعى شنت أقروج Santa Cruz de la sierra على مقربة من مدينة ترجالة Trujella وفى ٢٢٠هـ / ٨٣٥م نجع الأمير عبد الرحمن بن الحكم فى محاصرة الحصن والتضيق عليه ، قد حاول سليمان بن مرتين الفرار ليلاً ولكنه انزلق بجواده من أعلى صخرة ملساء ، فلقى حتفه (٢).

أما محمود بن عبد الجبار زعيم الثورة البربرى فقد تحصن فى منت شلوط Monsalud على مقربة من مدينة بطليوس فعاث فى تلك الأنحاء قتلاً ونهبًا وتحريبًا تعاونه أخته جميلة(٣) وكانت فارسة بارعة الحسن ، اشتهرت بالشجاعة والنجدة والفاروسية (٤). واستطاع محمود أن يبسط سلطانه على باجة فقاتل أهلها وتمادى فى عيثه وشره ، فبادر الأمير عبد الرحمن الأوسط بإرسال الحملات تباعًا للقضاء على الثائر البربرى ولم يستطع محمود بن عبد الجبار الصمود طويلاً أمام بعوث الأمير عبد الرحمن ففر مع أخته وصحبه إلى جليقية ، ومن هنا كتب إلى ملكها الفونسو الثانى ، فرحب به وأكرم وفادته ، وأنزله بأطراف مملكته ، لكن الندم أدركه بعد ذلك فكتب إلى الأمير عبد الرحمن يطلب العفو والأمان طالبًا العودة ، ووقف ألفونسو على هذه المحاولة ، وخشى أن ينقلب الثائر البربرى عليه ، فسار إليه وأحاطت به الجند من كل ناحية ودافع الزعيم البربرى دفاع الأبطال(٥) ولكنه قتل فى شهر رجب عام ٢٢٦هـ / مايو ٨٤٠م أما أخته جميلة فقد وقعت فى الأسر وأرغمت على التزوج من أحد قواد

---

١ – سالم : تاريخ المسلمون وأثارهم فى الأندلس ، ص ٢٣٢ .

٢ – سالم : وقد سجل الأمير عبد الرحمن الأوسط إخضاعه لثورة ماردة ببنائه قصبتها التى تعرف اليوم لدى العامة بالدير وبها نقش عربى محفوظ ليوم بمتحف القصبة يحمل تاريخ ٢٢٠هـ / ٨٣٥م انظر سالم : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٣ – يسميها ابن القوطية جملة : انظر ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٣ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق١ ، ص ٢٥٧ .

٤ – ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٤٦ ، سحر سالم : التاريخ السياسى لمدينة بطليوس ، جـ١ ، ص ٢٤٣ .

٥ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق١ ، ص ٢٥٧ : ٢٥٨ .

جليقية الذى حملها على اعتناق المسيحية ، وأنجب منها ولداً أصبح فيما بعد أسقف لمدينة شنت ياقب[١] Santiago de Compostela كبرى كنائس إسبانيا النصرانية .

ثورة البربر فى تاكرنا :

وفى سنة ٢١١هـ / ٨٢٦م عاود بربر تاكرنا الثورة بزعامة رجل بربى يدعى طوريل البربرى[٢] يقول ابن عذارى[٣] " فخرج إليه الأمير عبد الرحمن معاوية بن غانم فى حشد فظفر به وقطع عاديته وفى سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٩م عاود أهل تاكرنا الثورة من جديد ولكن أرسل إليهم الأمير عبد الرحمن الأوسط جيشاً قاتلهم فطلبوا العفو والأمان – فعفا عنهم [٤].

ثورة البربر فى الجزيرة الخضراء :

شاركت الجزيرة الخضراء بدورها فى التمرد والثورة ، ففى عام سنة ٢٢٦هـ / ٨٥٠م ثار أحد زعماء البربر ويدعى حبيب البرنسى بجبال الجزيرة الخضراء ، وانضم إليه العديد من الأتباع من أهل الشر والفساد وأخذ يشن الغارات على قرى كورة ريه[٥] (مالقة) وغيرها من

---

١ – ابن حيان : المقتبس ، ص ٦٧٣ : ٦٧٧ ، تعليق ٦٢٩ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٢٧٩ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٤٨ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٦٦ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٣ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٢١٧ ، سحر سالم : التاريخ السياسى لبطليوس ، جض ، ص ٢٤٣ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس فى عصر الإمارة الأموية ، ص ٣٥ : ٣٩ ، . Levi Provencal: Histoire, Vol. I, p. 208 : 210

٢ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٨٢ .

Levi Provencal : Histoire, Vol. I, p. 200 .

٣ – ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

٤ – ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص ٥١ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس فى عصر الإمارة الأموية ، ص ٣٩ : ٤٠ .

٥ – كلمة رية مأخوذة من الكلمة اللاتينية Rego أى الملكية ويذكر ابن سعيد فى كتاب المغرب فى حلى المغرب أن معنى رية عند النصارى (سلفانة) ، وكورة رية هو الإقليم الذى أصبحت مدينة مالقة Malaga عاصمته فى جنوب شرق شبه الجزيرة يقول الحميرى كورة من كور الأندلس فى قبلى قرطبة ، نزلها جند الأردن من العرب . وهى كثيرة الخيرات " وقد استقل بها عمر بن حفصون وبنوه إلى أن دخلت فى طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر ثم فقدت أهميتها بالتدريج إلى أن اختفت فى عصر ملوك الطوائف ، راجع : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٩ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى=

المناطق المجاورة ، فأخرج إليه الأمير عبد الرحمن الأوسط الأجناد ، ففرقوا جموعه وقتلوا عدداً كبيراً من رجاله وهرب الباقون ، ومن بينهم الثائر حبيب البرنسى نفسه ، فكتب الأمير عبد الرحمن إلى عمال الكور بالبحث عنه فلم يظفر به (١).

ثورات المستعَربة :

هذا ولم يكد يقترب عهد عبد الرحمن بن الحكم من نهايته حتى كانت اللغة والأدب والدين وغيرها من نظم العرب الفاتحين – قد أغرت الناس فأقبل كثير من سكان المدن المسيحية إلى التأدب بالآداب العربية ، فاستعربوا وإن لم يكن قد اعتنقوا الإسلام ، ذلك أن مظاهر الحضارة العربية قد بهرت الأسبان وأحسوا بالحاجة إلى ما تشتمل عليه هذه الحضارة من فن وأدب وفلسفة وعلوم ، فأخذ الكثير من المسيحيين الأسبان يقلدون العرب حتى أنهم كونوا طبقة اجتماعية عرفت باسم المستعربين(٢) ، كما اتخذ كثير منهم اللغة العربية لغة لهم وجعلوا يكتبونها بدلاً من لغتهم اللاتينية (٣).

ويبدو مدى إقبال الإسبان على الأخذ بمظاهر الحضارة العربية ، ما أشار إليه المستشرق الإسبانى Simonct أن عامة المسيحيين الإسبان كانوا يتحاشون قراءة مؤلفات الآباء اللاتينية ويبحثون بشغف عن الكتب العربية يدرسونها فى حماسة ، فى حين يجهلون جمال الآداب الكنسية ويجهلون لغتهم وشريعتهم وآدابهم القومية (٤). فضلاً عن ذلك.فقد كانت

= المغرب ، جـ١ ، ص ٤٢٣ ، . Guillin Bobles : Histaria de Malaga Muslmana, Madreid, 1957
هامش ٢ ص ٦٣ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمد على مكى ، تعليق ٤٥ : ، ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ٤٠ ، هامش ٢ .

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٨٩ : ٩٠ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود على مكى ، ص ٧ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٨٨ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣١ ، كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس ، ص ١٢٨ .
Levi Provencal, Historire, Vol. I, p. 200 ، حمدى عبد المنعم : المرجع السابق ، نفس الصفحة ، Cuichard, Al-Andalus, Barcelona, 1976, p. 346 .

٢ – عن النصارى المعاهدين انظر : . Simonet : Histroire de los Mazarabes de Espana

٣ – أحمد إبراهيم الشعراوى : الأمويون أمراء الأندلس الأول : القاهرة ، سنة ١٩٦٤م ، ص ٣٠٩ ، أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٥ : ١٥٨ .

4 - Simonet : Ibid, Vol. I, p. 258 - 272 .

سياسة أمراء الأندلس بصفة عامة تقضى بمنح الحرية لأهل الأندلس لإقامة شعائرهم الدينية[١] وعين كثير منهم فى أرفع المناصب الحربية والسياسية ونتيجة لهذا التسامح ، اتخذ المسيحيون العادات الإسلامية ومارسوا أفكار المسلمين وتقاليدهم فى ملابسهم وطعامهم وشرابهم وحتى فى أسمائهم ، فامتنع بعضهم عن أكل الخنزير [٢]، كما عرف التاريخ الأندلسى عدداً كبيراً من هؤلاء المستعربين أمثال نصر ابن أبى الشمول [٣] ، وابن شبرقة[٤]، وابن سليمان القوطى[٥] وابن فرتون الطبيب ومنهم من مثل حكومة قرطبة لدى الممالك المسيحية فى شمال الأندلس [٦]، كذلك كان لهؤلاء المستعربين دور بارز فى نقل الحضارة الإسلامية إلى إسبانيا النصرانية [٧]، ويبدو تعاون المسيحيين مع المسلمين واضحًا فى أنهم كانوا يحاربون مع المسلمين جنبًا إلى جنب للدفاع عن الوطن المشترك ، ومع هذا يبدو أن هذه

---

١ - سالم : العمارة الدينية بالأندلس " الكنائس " دائرة معارف الشعب ، عدد ٦١ ص ، ١١٨ ، المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٤١ .

٢ - شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا أو إيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، بيروت سنة ١٩٧٩ ، ص ٢٣١ وما بعدها .

٣ - هو أبو الفتح نصر بن أبى الشمول وكان أبوه من نصارى قرمونة ثم اعتنق الإسلام أيام الأمير الحكم الربضى على ما يبدو ، وكان الحكم قد خص عدداً من ذوى الجاه من أهل قرطبة ، فكان نصر المذكور من بينهم وعلت منزلته عند عبد الرحمن بن الحكم حتى أصبح يتصرف باسمه فى أمور الدولة وارتفع نجمه بعد ذلك حينما عهد إليه الأمير بقيادة الجيوش التى دفعت المجوس (الأردمانين) النورمان عن الأندلس عندما نزلوا سواحل البلاد سنة ٢٣٠ هـ / ٨٥٠م ، وكان نصر يمنى طروبًا حظية عبد الرحمن بتولية ابنها عبد الله العهد بدلاً من أخيه الأكبر محمد ومن أجل ذلك حاول هؤلاء أن يسمموا الأمير عبد الرحمن ولقى مصرعه فى هذه المحاولة ، ٢٣٦هـ / ٨٥٠ - ٨٥١م ، راجع ابن حيان المقتبس : تحقيق محمود على مكى : هامش رقم ٤٩ ، ص ٢٥٠ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٤٩ ، ص ٥١ ، ص ١١٤ ، ص ١٢٤ ، ص ٣٣١ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٥٠ .

٤ - هو من أهل بطليوس وكان كثير العلم متصرفًا فى الأدب " ابن الفرض : تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣١٢.

٥ - ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ١ ، نشر مكتبتى الخانجى بالقاهرة والمثنى ببغداد ، سنة ١٩٥٦م ، ص ١٢ .

٦ - أ . س . ترتون : أهل الذمة فى الإسلام ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ، سنة ١٩٤٩م ، ص ٣٧ .

٧ - لطفى عبد البديع : الإسلام فى إسبانيا ، ص ٣٠ .

المعركة بما فيها من تسامح ، وميل معظم المسيحين إلى الاستعراب واعتناق الإسلام قد أغاظت بعض رجال الكنيسة الذين لم يستطيعوا كبح جماح غضبهم وبغضهم للمسلمين ولعل أشهر ما ضايق أولئك المتزمتين ما شغف به العرب من التمتع بمباهج الحياة ورغد العيش ، فقد كان تمتع العرب المسلمين بالحياة الرغدة من أكبر العوامل التى أثارت بغض هؤلاء الزهاد المسيحيين ، وكان يذكى هذا الحقد فى نفوسهم ما يعانونه من خشونة عامة قرطبة وتعريضهم وتحاملهم على القسس وإهانتهم حينما يسيرون فى الشوارع وكانت هذه الحوادث تثير سخط النصارى على الرغم مما بذله أشراف العرب لمنع هؤلاء العامة وخاصة فى أوقات الحماسة كما يذكر التاميرا Altamira ولم يجد هؤلاد طريقة للاحتجاج على الإسلام غير الطعن فيه ، وتقديم حياتهم قربانًا للدين المسيحى (١).

هذا ويضيف دكتور حسن محمود عاملاً آخر فى سبب تلك الثورة هو أنها لم تكن رغبة زيادة ثروة أو مضاعفة جاه إنما كانوا يتأثرون بناحيتين : نفسية صرفة هى إحساس بالقلق الناجم من تناقص أعدادهم بمضى الزمن وانحدارهم التدريجى إلى مستوى الأقلية باطراد الدخول فى الإسلام وما كانوا يشهدونه من ازدياد نفوذ أخوانهم المسلمين فكان هذا الشعور يولد فى نفوسهم الحقد والكراهية ، كما يمكننا أن نضيف إلى هذا عاملاً آخر له اعتبار أقوى وهو الأصابع الأجنبية التى أرادت أن تستغلهم لمضايقة الدولة الإسلامية وإجبارهم على العيش فى جو قلق مضطرب ، كان المستعربون يتلقون التحريض من ناحيتين ، من ناحية البابوية التى كان يفزعها تقدم الإسلام فى شبه الجزيرة ومن ناحية الممالك النصرانية النامية فى الشمال ، هذه الممالك التى كانت تأمل فى التوسع صوب الجنوب وكان يعنيها أن يشيع الانقسام لتحقيق أطماعهم (٢).

على كل حال ظهرت بوادر الفتنة فى هذا العهد ، عندما تطوع جماعة من المتعصبين المسيحين فى قرطبة لمقاومة الميل إلى الاستعراب وتزعم هذه الحركة قسيس زاهد يدعى يولوجيوس Euloguis ولم يطمح هذا القسيس فى مأرب دنيوى كل أمانيه صب اللعنات على الدين الإسلامى ... وقد كان مثل هذا العمل يعاقب مرتكبوه بالقتل وانضم إليه عدد من

---

1 - R. Altmira : Hist. de Espana. Vol, I, p. 230 .

١ – حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ٩٨ : ٩٩ .

الرجال والنساء يشد من أزرهم جميعًا شاب على جانب من الثراء يدعى Alvaro من أهل قرطبة وكان فى أول الأمر شابًا موسرًا من بيت من أغنى بيوت المستعربين فى العاصمة لكنه ترك الدنيا ووهب نفسه للعبادة واحتل مكانة عظيمة فى عالم الرهبنة الإسبانية وإذا به ينضم إلى هؤلاء ويدعو إلى الخروج على حكم المسلمين ويؤلب الناس حتى امتلأت قلوبهم بالحقد على الدولة والرغبة فى التخلص منها (١). وزاد هذه الحركة اشتعالاً ما حدث فى عيد الفطر سنة ٢٣٦هـ / ٨٥٠م حين انبرى أحد القساوسة واسمه Perfectus وسب الرسول ﷺ ولعن الإسلام فأخذ وشنق فقام جمهور من أهل قرطبة وعلى رأسهم الأسقف وأعلنوا أن برفيكتوس قديس ونسبوا إليه عمل المعجزات لينيبوا بذلك فى إشعال الفتنة . ثم حدث بعد ذلك بقليل أن تظاهر راهب يدعى " إسحاق " برغبته فى اعتناق الإسلام وسمح له بالوقوف أمام القاضى ، وأخذ القاضى يشرح له مبادىء الإسلام وأصوله ولم يكد ينتهى القاضى من حديثه حتى انبرى له الراهب وأخذ يصب اللعنات على الإسلام ، فصفعه القاضى وأمر بقتله ، وسرعان ما أصبح هذا الراهب فى نظر جماعته قديسًا ومن ثم بدأ التسابق إلى الانتحار بسب الإسلام والرسول ﷺ وبلغ عدد من قتل بهذه الطريقة أحد عشر شخصًا وظلت الثورة مشتعلة واعتقل الكثيرون ومنهم فتيات مسلمات وقعوا تحت تأثير الثوار ، وتنصروا ، وتمادوا فى سب الرسول ﷺ ومن بين هؤلاء الفتيات فتاة رائعة الحسن تدعى فلورا ، وكانت فلورا ابنة مسلم من زوجة نصرانية ، توفى أبوها وهى صغيرة ، فربتها أمها على مبادئ النصرانية ودخلت النصرانية ولما علم أخوها المسلم شديد التعصب بتنصرها ، حاول أعادتها إلى الإسلام بكل الطرق لكنه لم يستطع ، فأخذها إلى القاضى فأخبر القاضى بأن أخته تنصرت وسبت النبى ﷺ ، واعترفت فلورا وعاقبها القاضى بالضرب . وحاول أن يثنيها عن موقفها ، ولكنها رفضت وأصرت على موقفها ، فأرسلت إلى السجن وانتهى أمرها بالإعدام سنة ٢٣٦هـ / ٨٥١م ونظمت فلورا فيما بعد فى سلك القديسيين (٢).

والحق أن الإسبان أخذوا يتجهون إلى الاستعراب ويقتربون من العرب رويدا وكانوا يقدرون للعرب رفقهم وحسن معاملتهم ورفع مستواهم الفكرى والثقافى ، فحاولوا صد تلك العاصفة بنصح أخوانهم بسخف ما يفعلون وتنكيرهم بسماحة المسلمين وتنبيههم إلى ما فى

---

١ - حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

2 - Simonet : Hist. de Los Mozarabes, Vol. I, p. 413 - 422 .

الكتب المقدسة من الرفق والسلام . وكان هذا هو رأى جمهور المسيحية الذين لم يمسهم التعصب ... وحاول هذا الفريق المعتدل أن يحد من جماح المتعصبين ، فقد يؤدى استمرار الطعن فى الإسلام وما يتلوه من عقاب متوالى إلى اضطهاد حقيقى للمسيحيين ، وإذا كان يولوجيوس وأصحابه لم يستجيبوا إلى هذه الدعوة الصادقة ، فإن سلطات الكنيسة استجابت لرأى هذا الفريق المعتدل من المسيحيين ورأت ألا يسمح لاستمرار روح العصيان من غير ردع.

وبناء على رغبة الأمير عبد الرحمن اجتمع سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥٢م الأساقفة فى مجلس يرأسه ريكافرد Recafaread مطران إشبيلية(١) وأناب عن الأمير أحد كتابه النصارى ويدعى جومث بن أنطوانيان بن خوليان(٢) وأصدر المجلس قراراً يقضى بمنع كل شغب ومعاقبة من يخالف ذلك(٣) ومع ذلك فقد استمرت موجة الاستشهاد فى بقية عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط وفى بداية عهد الأمير محمد ولم تنطفىء نيرانها إلا عندما استشهد يولوجيوس سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩م(٤) هذا وقد أخذت هذه الفتنة بعد ذلك تضعف تدريجياً حتى انتهت من تلقاء نفسها(٥) .

ضعف الإمارة الأموية بعد الأمير عبد الرحمن الأوسط وأثر ذلك على تمزق وحدة الأندلس :

لبلاد الأندلس طبيعة خاصة لا تظهر إلا فى أوقات ضعف النظام السياسى ، فشبه الجزيرة الأندلسية تتكون من هضبة قديمة ، تنقسم إلى عدد من الأقاليم الطبيعية المتباينة فيما بينها تبايناً شديداً ، سواء فى مظاهر السطح أو المناخ أو حتى طبائع السكان وعاداتهم (٦)، كما أن سطح شبه الجزيرة الأندلسية يشتمل على مجموعة كبيرة من السلاسل الجبلية(٧)

---

١ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق١ ، جـ١ ص ٢٧١ ، سالم : المسلمين وآثارهم ، ص ٢٤٢ .

٢ – يسميه ابن القوطية قومس بن أنتيان بن يليانة وقد اعتنق الإسلام فيما بعد ، ص ٩٥ ، عنان : المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

3 - Dozy : Hist, I, p. 3 .

٤ – سالم : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .

Levi Provencal : Histroire de l'Espagne Muslman. t, I, p. 225 - 239 .

٥ – أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٥ – ١٥٨ .

٦ – محمد عبد الحميد عيسى صفر : الفتح الإسلامى للأندلس ، ص ٧٣ .

٧ – عن جبال الأندلس : انظر البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٨٤ – ٨٥ .

تحصر بينها وديان طويلة تمتد من الشرق إلى الغرب [١]، كذلك تخترقها أنهار مستعرضة تجرى غالبها من الشرق إلى الغرب فى وديان تحفها الهضاب والجبال [٢]، فكان لذلك أثره الكبير على مجرى التاريخ ، فمن شأن بلاد هذا سطحها أن تميل إلى الحكم اللامركزى على أن تخضع هذه الأقاليم لحكومة مركزية قادرة فعالة أما إذا ضعفت هذه الحكومة أو تهاونت فتقع الفرقة وتستقل هذه الجزئيات الجغرافية كل بمصيرها[٣] هذا وقد منيت الأندلس فى العصر الإسلامى بانقسامين : الأول بعد وفاة عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) وظلت منقسمة حتى أعاد إليها عبد الرحمن بن محمد[٤] (الناصر) وحدتها القومية وأعاد للحكومة المركزية سلطانها .

ثم انقسمت مرة أخرى بعد هشام المؤيد[٥] وسقوط الخلافة الأموية ولكنها لم تجد أحداً فى مقدرة الناصر أو كفايته لتستعيد وحدتها من جديد وظلت تتنازعها عوامل الفرقة والانقسام حتى تمكنت ممالك إسبانيا المسيحية منها لتقضى على ما بقى من رمق المسلمين هناك[٦].

---

١ – حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ١٠١ .

٢ – حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

٣ – حسن أحمد محمود : نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٤ – يكنى أبا المطرف ، وأمه أم ولد تسمى مزنة ، نشأ يتيمًا فى كفالة جده الأمير عبد الله بعد مقتل والده الأمير محمد من قبل أخيه المطرف ، انظر الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٢ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٧ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الأقصى ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٦ : ١٥٧ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٨ : ٣٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٧ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٥٢ : ٣٦٤ . عن قتل المطرف لأخيه الأمير محمد بن عبد الله ، انظر : ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، ابن خلدون : نفس المصدر ، نفس الجزء والصفحة .

Levi Provencal, Una Cronica Anonima De Abd Al Rohamen 111 Al - Nassir. Madrid, pp. 29 : 30 .

٦ – هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر كنيته أبو الوليد لقبه المؤيد بالله ، أمه صبح البشنسية أم ولد وكان سيدها الحكم يسميها بجعفر وكانت مغنية حظية عنده وتوفيت فى خلافة ابنها هشام . بويع له يوم الاثنين لأربع خلون من صفر سنة ٣٦٦ بعهد من أبيه ، وهو ابن إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر وخلع يوم الأربعاء ولثلاث عشرة ليلة من جمادى الآخر فى سنة ٣٩٩هـ " ابن عذارى " : نفس المصدر، جـ٢ ، ص ٢٥٣ .

– ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٤٨ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٠٣ ، هامش ٢ ، المقرى: المصدر السابق ، جـ١ ، س ٣٩٦ .

٦ – عن نمو الممالك الإسبانية منذ قيامها إلى نهاية القرن العاشر الميلادى ، انظر عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول ، ق (١) وعنان: دولة الإسلام فى الأندلس الكتاب الثانى من ص ٤٦٤ : ٤٧٩ – ٥٨٨ : ٥٩٩ ، من المصادر الأصلية ، راجع ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٢٢ – ١٧٩ – ١٨٠ =

وهكذا عندما توفى الأمير عبد الرحمن الأوسط ٢٣٨هـ / ٨٥٢م توالت المصائب والمحن على الأندلس ، فقد أعقبت الثورة الاتى قام بها المستعربون فى قرطبة ثورات أشد منها خطراً استغرقت من عمر هذه البلاد اثنين وسبعين عامًا وهى المدة التى تعاقب فيها على حكم الأندلس ثلاثة من أمراء البيت الأموى : وهم محمد الأول(١) والمنذر(٢) وعبد الله(٣) فقد

= وأخبار متفرقة فى ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، المقرى : نفح الطيب : أخبار متفرقة ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، جـ٢ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ابن حيان : المقتبس ، طبعة ملشور أنطونية ، الجزء الخامس تحقيق شالميتا ، والجزء المحقق من ، محمود على مكى .

Aschbach : Geschichte der omajaden in Spanien.

- موسوعة الأب Enrique Florez

Espana Sagrada (Madrid 1747 - 1886, 51 Tomos.

Dozy : Histoire des Musulmans d:Espagne.

Dozy : Rochesches sur Histlire et litterature de l' Espagne pendont la moyen oge .

١ - هو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ومولده فى شهر ذى القعدة ٢٠٧هـ / أبريل ٨٢٣م وأمه تدعى بهير - تولى الإمارة عقب وفاة والده فى الرابع من ربيع الأخر ٢٣٨هـ / ٢٤ سبتمبر ٨٥٢م ، وأخذ له البيعة الحاجب ، عيسى بن شهيد وكان يومئذ قد جاوز الثلاثين بقليل ، انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٩٣ : ٩٤ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١١٩ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٦ - ١٠٥ .

٢ - هو المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، كنيته أبو الحكم مولده ٢٢٩هـ / ٨٤٤م وأمه تسمى أثل ولدته لسبعة أشهر ، بويع يوم الأحد لثمان خلون من ربيع الأول سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م ، انظر ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١١٣ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١١٣ ، المقرى : نفح الطيب : جـ١ ، ص ٣٥٢ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١٣ .

٣ - هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، كنيته أبو محمد ، مولده فى النصف من ربيع الآخر سنة ٢٢٩ - ٨٤٤ ، أمه تسمى بهار وقيل عشار ولى بعد أخيه أبى الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن فى صفر ٢٧٥ هـ ، توفى سنة ثلاثمائة وهو ابن اثنين وسبعين سنة فكانت خلافته خمسًا وعشرين سنة وفى أيامه اضطرمت الأندلس بنار الفتنة فتنغص عليه ملكه وأنفق الوفير حيث اضربت عليه نواحى الأندلس بالثوار والمتغلبين فى تلك السنين وقل الخراج ، انظر ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص١٢١، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٢٠ : ١٢١ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١٥ : ١٢٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٤٣ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ... ، جزء خاص من المقتبس فى ولاية عبد الله ، طبعه ملشور انطونية .

تعرضت الدولة فى أيامهم لأخطار خارجية وداخلية كثيرة منها مسيحى الشمال واستقلال الأمراء بولايتهم ، وانتشار روح العصيان والتمرد[١]، ولقد تنوعت عناصر الثورة وأجناسها فمن العرب ثار محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمزانى[٢] وسعيد بن جودى[٣]

---

١ - يعلل المؤرخ لسان الدين بن الخطيب كثرة الثوار فى الأندلس بثلاثة أسباب هى :

(أ) منعة البلاد وحصانة المعاقل وبأس أهلها بمحاربتهم للنصارى فى الشمال .

(ب) علو الهمم وشموخ الأنوف وقلة الاحتمال لثقل الطاعة ، إذا كان منهم الأشراف الذين يأنفون الخضوع والإذعان .

(جـ) الاستناد عن الضيقة والاضطرار إلى ملوك النصارى الذين يحرصون على ضرب المسلمين بعضهم البعض ، انظر : ابن الخطيب أعمال الأعلام ، ص ٤١ .

٢ - وهو من أعيان العرب بكورة البيرة استدعاه أهل حصن نوالش Noalejo شمال غرناطة وذكر ابن حيان (المقتبس - ملشورة أنطونيا ، ص ٣١ ، خبر محمد بن أضحى ضمن الثوار أيام الأمير عبد الله وما كان بينه وبين سعيد بن جودى من عداوة ، ثم ذكر دخوله فى طاعة الأمير عبد الله واشتراكه فى حرب عمر بن حفصون ، وقد وقع محمد بن أضحى أسيرًا فى قبضة ابن حفصون وافتداه العرب بمال كثير وبقى أميرًا على حصن نوالش مستمسكًا بطاعة بنى أمية إلى أن عزله الأمير عبد الرحمن الثالث سنة ٣١٣هـ وعاش فى قرطبة فى كنف بنو مروان قال ابن حيان " وكان ابن أضحى هذا مع رجوليتيه أديبًا بينًا يقوم بين يدى الخلفاء فى المحافل والمقاومة ، فيحسن القول ويطيب الثناء ، وله أخبار معروفة " انظر ابن حيان: المقتبس ، ص ٣١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٤ : ١٣٧ ، ابن الأبار : الحلة السيراء، جـ١ ، ص ١٥٧ ، ص ٢٢٩ ، جـ٢ ، ص ٣٧٨ : ٣٧٩ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ٢ ، ص ١٠٦ .

٣ - كان فارسًا جوادًا شاعرًا ، وكان أميرًا لولاية البيرة فى عهد الأمير عبد الله بن محمد المروانى ، ويذكر ابن الأبار عشر خصال لسعيد بن جودى تفرد بها فى زمانه ، الجود الشجاعة والفروسية والجمال والشعر والخطابة والشد والطعن والضرب والرماية ، وقد قام سعيد بمحاربة أعدائه من المولدين وعلى رأسهم عمر ابن حفصون وكان ابن حفصون يهابه ويعمل حسابه ولكنه قتل سنة ٢٨٤ هـ بأيدى أصحابه وزعموا أن من أقوى أسباب قتله أبياتًا من الشعر قالها فى حق بنى مروان " يا بنى مروان خلو ملك إنما الملك لأبناء العرب . قربوا الورد المحلى بالذهب .... وأسرجوه إن نجمى قد غلب " عن سعيد بن جودى ، انظر : ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب جـ٢ ، ص ١٠٤ : ١٠٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٤ ، ص ١٣٦ : ١٣٧ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٥٤ - ٤٦٠ ، ابن حيان : المقتبس: طبعة ملشورة أنطونيا : ص ٣٠ .

وابن عطاف العقيلي[١] وسوار بن حمدون[٢] وبنو المهاجر التجيبيون[٣] ومحمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ الأسلمي الخزاعي[٤] .

---

١ - هو إسحاق بن إبراهيم بن صخر بن عطاف كان قائدًا من قواد الأمير محمد ، فلما ثارت الفتنة أيام الأمير عبد الله دخل إسحاق حصن منيشة فبناه وحصنه وامتنع به من ابن حفصون وظل قائمًا فيه حتى استنزله الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٢هـ انظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٧٧ : ٣٧٨ ، ويذكر ابن الأبار أن منيشة Mentesa بلدة صغيرة كانت في كورة جيان ولم يعد لها وجود الآن، انظر عن ابن عطاف العقيلي أيضًا ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ١٣٦ ، ابن حيان : المقتبس ، ص ٢٩ ، سالم : المسلمون وآثارهم ، ص ٢٥٧ .

٢ - ثار بناحية البراجلة من كورة البيرة في ست وسبعين ومائتين ، وهي السنة الثانية من ولاية الأمير عبد الله ابن محمد وانضوت إليه بيوتات العرب من البيرة وجيان وريه وغيرها ، عندما تميزت الأحزاب (جعلها دوزى الأعراب دون مبرر) بالعصبية وشبوا نار الفتنة ودخل في حروب مع المولدين والنصارى وانطلق يستولي على حصونهم ويقتل من يظفر به منهم ويغنم أموالهم ، وخاف جعد بن عبد الغافر عامل كورة البيرة للأمير عبد الله أن يؤدى ذلك إلى خروج الكورة كلها من يده فسار إلى حرب سوار وانظم إليه المولدون فانهزم جعد ووقع في أسر سوار ثم أطلق هذا سراحه . انظر ك ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٤٧ : ١٥٤ ، ابن حيان : المقتبس ، ص ٥٥ ومابعدها ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٣ : ١٣٤ . سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٥٨ ،

Levi Provencal : L' Espagne muslmane au Xe siecle, Paris, 1932, p. 347 .

٣ - كان بدء أمرهم أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن إذ اصطنعهم لمواجهة بني قسي الثائرين عليه ، وولاهم مدينة قلعة أيوب Calatayud وكان سرقسطة قد دخلت في تلك الإمارة فتولاها من قبل الأمير عبد الله أحمد بن البير بن ملك القرشي ، فتآمر عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله التجيبي مع ابنه أبي يحيى محمد المعروف بالأنقر للاستيلاء على سرقسطة ، فتظاهر محمد بن عبد الرحمن بأنه هارب من أبيه واستجار بابن البرار ، فأجاره وأدخله المدينة فتمكن منه يومًا وقتله ، وانفرد بحكم سرقسطة ، وأظهر التمسك بطاعة الأمير عبد الله فسجل له على سرقسطة ، وظل يقوم بولايتها حتى توفي سنة ٣١٢هـ ، انظر: ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ١٣٧ : ١٧٨ ، ابن حيان : المقتبس ، ص ٢١ ، العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ٣٢ - ٤١ - ٤٩ ، سالم : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

٤ - ثار بحصن قليوشة من أعمال تدمير ، ثم استسلم لعبد الرحمن بن محمد ، فأقدمه إلى قرطبة ، فتوفى بها سنة ٣١٩هـ وقد أوفى على المائة ، انظر : العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ١٠٣ ، سالم : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

ومنذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم[١] ، على أن أهم هؤلاء الثوار العرب خطراً وأشدهم بأساً هم بنو أبى عبده[٢] وبنو خلدون[٣] وإبراهيم بن حجاج[٤] بأشبلية وقرمونة فقد خلعت إشبلية طاعة الأمويين ، إذ كان زعماؤها لا يرجعون فى شىء إلى صاحب الدعوة المروانية على حد قول ابن الخطيب[٥] . وغدت أشبيلية منافساً خطيراً لقرطبة [٦]، فأرسل الأمير عبد الله جيشاً إلى أشبيلية سنة ٢٨٢هـ / ٩٨٥م بقيادة ابنه المطرف ونشبت بين جيش الإمارة وبين زعماء أشبيلية معركة انتهت بانتصار جيش الإمارة وفى هذه الموقعة أسر إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون ، ولكن تم إطلاق سراحهما بعد استسلام المدينة لجيوش

---

١ - ثار بمدينة بنى السليم المنسوبة إليهم من كورة شذونة تسمى Grazalama تقع بالقرب من قادس وظل مستقلاً بهذه المدينة حتى قتله مملوك له اسمه غلندة Galindo وخلفه فى ولاية ابن سليم أحد أقربائه يسمى وليد بن وليد ، راجع : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٣٥ ، سالم : نفس المرجع ، ص ٢٥٩ .

٢ - بنو أبى عبدة من بيوت الأندلس الكبيرة التى تقاسمت الوظائف الكبرى فى عصر الإمارة ثم الخلافة الأموية فى الأندلس وهم موالى مغيث الرومى مولى الوليد بن عبد الملك ولهذا فقد كانوا معدودين فى البلديين أى أهل البلد ، لأن أصلهم من الأندلس ، انظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، هامش ٣ .

٣ - بنو خلدون ينتسبون إلى العرب اليمانية فى حضرموت وإليهم ينتسب المؤرخ والفيلسوف ابن خلدون وكان زعيمهم يومئذ كريب بن عثمان بن خلدون وأخوه خالد : راجع ابن خلدون : العبر ، جـ٧ ، ص ٣٨٠ ، ص ٣٨١ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٨٦ ، عنان : نفس المرجع ، ص ٣٣١ .

٤ - بنو حجاج من الأسر العربية فى أشبيلية وهم لخميون ينتسبون عن طريق الأمومة إلى القوط وكان إبراهيم بن حجاج يقلد أمراء بنى أمية فى أحاطة نفسه بهالة من العظمة والمجد واستقدام الشعراء والأدباء وتشجيع رجال الأدب ، راجع فى نسب بنو حجاج ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٨ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص١٢٥ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٥ : ٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٤ ، ص ٢١٣ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ٦٣ - ٦٤ ، ص ٣٣١ .

٥ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص٣٩ ، القسم الثانى الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ ، راجع تفاصيل ثورة بنى حجاج ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٥ ، جـ٧ ، ص ٢٨٠ : ٣٨١ ، ابن الأبار : الحلة السيراء، جـ٢ ، ص ٣٨٦ .

٦ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٣٦ .

الأمير عبد الله ، ودخل كل من كريب بن خلدون وإبراهيم بن حجاج فى طاعة الأمير عبد الله ، وتم الاتفاق على إشراك كل من الزعيمين فى حكم إشبيلية (١).

ولقد تمكن إبراهيم بن حجاج من الانفراد بحكم إشبيلية سنة ٢٨٢هـ سنة ٨٩٥م بعد أن دبر مقتل كريب بن خلدون(٢) وأصبح سيد أشبيلية بلا منازع ولم يلبث أن خلع طاعة الأمويين، وتحالف مع الثائر المولد عمر بن حفصون(٣) ، بسبب عدم تلبية الأمير عبد الله لرغبة إبراهيم بن حجاج فى الإفراج عن ولده عبد الرحمن المعتقل فى قرطبة(٤) ، ولما أفرج عنه عاد إلى الدخول فى طاعة الأمير عبد الله من جديد والاستمرار فى دفع الإتاوة ، فهدأت الثورة فى إشبيلية واستطاع الأمير عبد الله أن يقضى على عناصر الفتنة بها واستقرت أوضاعها ولكن إلى حين ، فقد ظلوا يناوئون حكومة قرطبة إلى أن جاء الأمير عبد الرحمن الناصر فقضى عليها كما سنرى .

ثورة أهل طليطلة ودور البربر فيها :

شغل الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط منذ اليوم الأول من توليه إمارة الأندلس فى الرابع من ربيع الثانى سنة ٢٣٨هـ (الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ٨٥٢م) بمواجهة ثورة أهل طليطلة التى ما فتئت تفيض بعوامل الثورة وكان بها عندئذ سعيد بن الأمير محمد ، والعامل عليها حارث بن بزيغ ، فانتهز أهل طليطلة الفرصة وأعلنوا الثورة ، قاد الثورة هذه المرة مسوفة بن مطرف ، وهو أحد زعماء الخوارج الذين فروا من قرطبة وأقام بجبل الأخوين الواقع بالهضبة القريبة من مدينة طليطلة حيث انضم إليه الكثير من المارقين وأهل الشر واضطرمت الثورة داخل المدينة وذلك فى ربيع الثانى سنة ٢٣٨هـ (الثالث من أكتوبر سنة

---

١ - ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور أنطونية ، ص ١١١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٢٤: ١٢٥ .

٢ - ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٨٤ ، ابن عذارى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٢٥ : ١٢٦ .

٣ - هو عمر بن حفص المعروف بحفصون بن عمر بن جعفر بن شيم بن دميان بن فرغلاش ابن أنفونش وهو من مسالمة الذمة وهو من كورة تاكرنا من عمل رندة ، أسلم جده جعفر المعروف بالأسلمى وكان لجعفر هذا من الولد الذكور عمر وعبد الرحمن ، فولد عمر بن جعفر حفص المعروف أيضاً بحفصون ، انظر : الونشريشى : المعيار المغرب ، جـ١ ، نشر وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية ، سنة ١٩٨١ ، ص ١٠٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٠٦ .

٤ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٢٩ .

٨٥٢م) وقد عجز جند الأمير محمد من إخماد تلك الثورة وانتهى الأمر بهزيمة جند الأمير واستطاع الأمير سعيد بن محمد أن يفرض الحصار على المدينة ، بينما وقع عاملها حارث بن بزيغ أسيراً فى أيدى الثوار ، ورفضوا إطلاق سراحه حتى أطلقت حكومة قرطبة رهائنهم المعتقلة هناك (١).

وفى العام التالى سنة ٢٣٩هـ / ٨٥٣م أرسل الأمير محمد بن عب الرحمن أخيه الحكم بن عبد الرحمن على رأس جيش كبير فتوجه إلى قلعة رياح ، فأصلح أحوالها وأمن أهلها ، وكان أهل طليطلة قد خربوا أسوارها وقتلوا عدداً من أهلها (٢)، وفى نفس العام أرسل الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى حصن شندلة Jandula(٣) قائديه قاسم بن العباس وتمام بن أبى أبى العطاف صاحب الخيل فلما وصلا إلى حصن أنوشر أو أنوجر(٤) خرجت عليهم كمائن أهل طليطلة ودارت بين الفريقين معركة عنيفة هزم فيها جند الأمير وعلى أثر هذه الهزيمة ، غادرت أهل جيان مدينتهم إلى الجبال القريبة خوفاً على أنفسهم وابتنى الأمير محمد لهذا السبب حصناً على مقربة من جيان يسمى أبدة(٥) العرب حيث ضم فيه العرب المقيمين على الطاعة (٦).

---

١ - " وفى سنة ولايته - يقصد الأمير محمد - ثار عليه أهل طليطلة وحبسوا العامل عندهم حتى أطلقت رهائنهم من قرطبة وحينئذ أطلقوه " ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٩٤ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود على مكى ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٤ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق١ ، ص ٢٩١ : ٢٩٢ ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديد حول ثورات طليطلة ، ص ٥٩ .
Levi Provencal, Histoire, I, p. 291 .

٢ - ابن حيان : المقتبس ، ص ٢٩٣ : ٢٩٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٩٤ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٩٣ .

٣ - يقع على نهر يحمل نفس الاسم Jandula إحدى أفرع نهر الوادى الكبير ويذكر ابن حيان وابن عذارى باسم سندلة ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٩٤ .

٤ - أنوجر أو أنوشر مدينة تقع على نهر الوادى الكبير فى شمال-شرق جيان ، راجع الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٩٦ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٥٩١ ، تعليق رقم ٤٨٦ .

٥ - أبذة Ubada مدينة صغيرة من بنيان الأمير عبد الرحمن بن الحكم وهى تقع بالقرب من نهر الوادى الكبير وقد قام الأمير محمد بن عبد الرحمن بتحصينها والزيادة فيها وظلت أبذة فى حوزة المسلمين إلى أن سقطت فى أيدى فرناندو الثالث ملك قشتالة سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١ ، الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٢٠٣ ، ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٤ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٣٧ .

٦ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٩٥ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس .

وأراد الأمير محمد بن عبد الرحمن أن يلقن ثوار طليطلة درسًا عميق الأثر ، فاتجه صوب طليطلة فى المحرم سنة ٢٤٠هـ (يونية ٨٥٤م على رأس جيش كبير وكانت أول حملة يقودها بنفسه كما يذكر ابن عذارى فى كتابه البيان (١)، فلما علم أهل طليطلة بتحركات جيوش الأمير محمد صوب مدينتهم ، بادروا بالاستعانة بأردنيو (أردن) ملك ليون ، وكذلك بملك نافار ، وأمدهم أردنيو ملك ليون بقوة على رأسها الكونت غاتون أو عشتون ، فلما تسمع المسلمون بما حدث سارعوا من كل صوب بالانضمام إلى الأمير ، فسار بجيوشه حتى بلغ وادى سليط (٢)، تاركًا بقية الجيش الكبير مستترًا بالتلال التى تظلل الوادى ، فلما رأى أهل طليطلة قلة الجيش ، خرجوا لقتاله يؤازرهم حلفائهم النصارى ، فالتقى الفريقان ، وتظاهر الأمير محمد بالانسحاب فلاحقه أهل طليطلة ،وعندئذ خرجت كمائن الأمير محمد وأطبقت على الثوار وقتل منهم عددًا كبيرًا تقدره الرواية الإسلامية بنحد عشر ألفًا وقيل عشرين ألفًا وأسر منهم عددًا كبيرًا أكثرهم من القساوسة وكانت موقعة هائلة مزقت فيهم جموع أهل طليطلة (٣).

وعلى الرغم من هذه الهزيمة القاسية ، فإن ثورة أهل طليطلة لم تخمد نارها وواصلوا الثورة وذلك فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ففى سنة ٢٥٩هـ / ٨٣٧م ، ثار أهل طليطلة ولم يتردد البربر فى المشاركة فى أحداث هذه الثورة ، واضطر الأمير محمد أمام هذه

---

١ - ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ٩٤ ، ص ٩٥ .

٢ - وادى سليط نهر صغير وهو أحد فروع نهر تاجة ويخترق هذا النهر سهلاً يقع جنوب غرب طليطلة ، انظر عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق١ ، العصر الأول ، ص ٢٩٢ ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٦٣ هامش (٨٧) ،

Levi Provencal, Histoire, Vol. I, p. 203 .

٣ - عن هذه الموقعة ، راجع ابن حيان : المقتبس ، ص ٢٩٦ : ٢٩٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ٢٠٦ .

Dozy : Histoire, V. I, p. 355 .

- المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٣٢٨ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام ، ق٢ ، ص ٢٢ ، مؤلف مجهول : نكر جغرافية الأندلس ، ص ١٤٧ ، عنان : دولة الإسلام ، ق١ ، ص ٢٩٢ : ٢٩٣ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٥ ، حمدى عبد المنعم : أواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٦٢ : ٦٤ .

الثورة أن يتحرك على رأس حملة جديدة إلى طليطلة لاسترجاعها فحاصرها فى شعبان من نفس العام ، وقاتل أهل قتالاً شديداً حتى إذا ما اشتد عليهم الحصار ، استأمنوه ، فعقد لهم الأمان ، وأخذ رهائنهم وخيرهم فيمن يوليه عليهم من زعمائهم(١) فاختلفت أهواؤهم ، فطلب بعضهم تولية طربيشة بن ماسوية بينما(٢) أتفق البعض الآخر على تولية مطرف عبد الرحمن بن حبيب المولد(٣) وأخيراً اتفق على تقسين طليطلة وأقاليمها إلى قسمين فولى كل منهما قسماً ثم تنازع الواليان وأراد كل منهما الانفراد بحكم طليطلة إلا أن الداعين لتولية طربيشة نجحوا فى فرض زعامته على المدينة وانتهز مطرف بن عبد الرحمن فرصة خروجه مع أهل طليطلة ومعهم طربيشة إلي حصن سكتان(٤) وكان هذا الحصن يضم حامية من البربر بلغ عددها حوالى سبعمائة وكانوا قد أعلنوا تأييدهم لموسى بن ذى النون(٥) الثائر فى شنت برية

---

١ - ابن ذعارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٠ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس فى عصر الإمارة الأموية ، ص ٤٢ .

٢ - طربيشة Tarpeza يسمى بن ماسنوة أو ماسوية ، انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٠١ ، ابن حيان المقتبس : تحقيق محمود مكى ، ص ٣٣٠ .

٣ - هو مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب أحد زعماء طليطلة من المولدين وقد ذكره ابن حيان فى حوادث عام ٢٩٠هـ / ٩٠٢م اسم مطرف بن عبد الرحمن حيث ذكر أنه كان يقتسم مشيخة طليطلة مع زعيم آخر يدعى يحيى بن قطام ويذكر ابن حيان أيضاً أن هذين الزعيمين هما اللذان استدعيا لب بن محمد بن لب ابن موسى بن موسى القسوى إلى دخوله طليطلة ، ويرى الدكتور محمود مكى أن ابن حيان لا ينص على أن مطرق بن عبد الرحمن بن حبيب المذكور هو نفسه الذى كان معاصراً للأمير محمد بن عبد الرحمن ويرى الدكتور مكى أن هذا التوافق فى الاسم والنزعة إلى الاستقلال يجعلنا نرجح أنهما شخصاً واحداً انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٥٤ ، ص ٦١٢ .

٤ - يقع هذا الحصن شمال غرب مدينة طلبيرة وقد تحول فيما بعد إلى مدينة أهله بالسكان يقول ابن عذارى " وفى سنة ٢٣٩ ، أتم القائد أحمد بن عبد بن إلياس مدينة سكتان وشحنها بالرجال واتخذ فيها الأطعمة والأسلحة ، فأخرج الناصر إليها أحمد بن محلى قائداً فى طروب من الحشم متجهم إليه " ابن ذعارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢١٠ ، انظر أيضاً عن أخبار حصن سكتان ، ابن حيان : المقتبس (الجزء الخامس : نشر شالمتايا ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة ، ص ٧٣ ، هاشم ٩ ، ١٠ .

Levi Provencal :Histoire, Vol, 11, p. 64 n. 1 .

٥ - عن موسى بن ذى النون ، انظر ، ص .... من البحث .

وكثيراً ما كان هؤلاء البربر يغيرون على مدينة طليطلة ويلحقون الأذى بأهلها ، لذلك صمم أهل طليطلة على الخروج إليهم ليضعوا حداً لخطر هؤلاء البربر عليهم[١] وعلى الرغم من أن حصن سكتان لم يكن يضم سوى سبعمائة من البربر وكان أهل طليطلة فى عشرة آلاف ، إلا أن أهل طليطلة انهزموا أمام البربر الذين قتلوا منهم عدداً كبيراً[٢] وانتهى الأمر بقتل طربيشة وانفراد مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب بحكم طليطلة[٣] .

وكانت جماعة من بربر ترجيلة قد لاذوا بطليطلة وحرضوا أهلها على الثورة ، فلما اشتبكت قوات الأمير المنذر مع أهل طليطلة وحلفائهم من البربر ، انهزم الثوار هزيمة نكراء وسقط منهم عدة آلاف من القتلى ، يقول ابن عذارى [٤] " وفيها يقصد (٢٧٣هـ) كانت الوقعة على أهل طليطلة ، وكانوا قد جيشوا البربر المقيمين من ترجيلة فقتل منهم ألوف " .

بنو موسى بن ذى النون[٥] بكورة شنتبرية :

منذ وقت مبكر من تاريخ المسلمين فى الأندلس ، استقرت جماعات مختلفة من البربر فى كورة شنتبرية ولذلك فلا عجب أن تكون هذه الكورة مركزاً هاماً للعناصر البربرية [٦].

---

١ – حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٧٤ .

٢ – ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٣٣٠ ، النويرى ك نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص ٢٠٨ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٥ ، ص ٣٧٠ .

٣ – ابن حيان : المصدر السابق ، نفس الصفحة ، النويرى : نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٠١ ، حمدى عبد المنعم ، نفس المرجع ، ص ٧٥ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١١٦ .

٥ – ينتسب بنو ذى نون إلى ذنون بن سليمان الهوارى من قبيلة هوارة البربرية ، وكان زعيماً لشنت برية من أعمال قونقة أمر به الأمير محمد بن عبد الرحمن فى إحدى غزواته إلى الثغر ، وقد مرض له خصى من أكابر فتيانه فتركه عند ذى النون حتى يشفى ، فاعتنى به ذو النون حتى برئ من علته ، وصحبه بنفسه إلي الأمير بقرطبة ، فكافأه الأمير بأن أقره على ناحيته واستقام ذو النون على الطاعة حتى توفى وخلفه ولده موسى ولكنه نبذ الطاعة وانتظم فى سلك الخوارج . انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكى، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

٦ – محمد إبراهيم أبا الخيل : الأندلس فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ص ٢٧٣ .

ويعد بنو ذى النون من أشهر الأسر البربرية التى سكنت الأندلس فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى[١].

وبدأ موسى بن ذى النون تمرده على الدولة الأموية على أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن[٢] فقام بالاستيلاء على ويذة وقتل صاحبها عامر بن وهب [٣]، كما انضم إليه بربر حصن سكتان وذلك عام ٢٥٩هـ / ٨٣٧م [٤].

هذا وقد انتهز موسى بن ذى النون فرصة انتشار الفتنة فى الأندلس فى أواخر أيام الأمير المنذر ، فغزا طليطلة بجيش كبير عدته عشرون ألفًا وكان أمير طليطلة وقتئذ لب بن طريشة فتواطأ مع موسى بن ذى النون على الإيقاع بأهل طليطلة فاشتعلت المعركة في شوال ٢٧٤ هـ / فبراير ٨٨٨م بين الطرفين وفى أثناء المعركة ، انسحب لب بن طريشة بأصحابه متظاهراً بالهزيمة فانهزم عسكر طليطلة ووضع فيهم موسى بن ذى النون السيف[٥] وحكم بنو ذى النون طليطلة بضعة أعوام ، ثم غلبهم عليها محمد بن لب بن موسى بن قسى زعيم الثغر الأعلى [٦]. وكان بنو قسى قد فقدوا زعامتهم يومئذ فى الثغر الأعلى بخروج سرقسطة من

---

١ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ق١ ، العصر الأول ، ص ٣٠٧ .

٢ - ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق ملشور أنطونية ، ص ١٧ ، ١٨ ، تحقيق محمود مكى ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

٣ - ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٦٥ .

٤ - ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٣٣٠ .

٥ - ابن حيان تحقيق فلشور أنطونية ، ص ١٨ .

٦ - هو محمد بن لب بن موسى بن فرتون القسوى ، أنجبه أبوه من جارية تدعى عجب البلاطية كان قد أهداها إليه الأمير عبد الرحمن الأوسط حينما كان بقرطبة رهينة لأبيه وفى سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧١م اشترك محمد بن لب مع أخوته وأهله من بنى قسى فى الثغر الأعلى ، فاستولى على سرقسطة ، وانتزى بها ومنع الأمير محمد بن عبد الرحمن من دخولها حينما غزاها سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢م وقد اضطر محمد بن لب إلى التخلى عن سرقسطة للأمويين فقد ابتاعها منه القائد هاشم بن عبد العزيز أثناء الصائفة التى قادها إلى الثغر الأعلى سنة ٢٧١هـ / ٨٨٤م ، فقد أدرك محمد بن لب أنه أصبح من الصعب عليه الاستمرار فى التصدى للحملات الأموية المتتابعة على سرقسطة ، ونتيجة لتضييق الحصار عليه من جانب القائد الأموى هاشم بن عبد العزيز وبنى المهاجر التجيبيين أصحاب دروقة وقلعة أيوب علاوة على معاداة ألفونسو الثالث ملك جليقية .

أيديهم ، ووقوعها في يد أبي يحيى التجيبي ، فتحولوا إلى الثغر الأوسط واستولوا على طليطلة ٢٨٣هـ / ٨٩٧م ، وبعث محمد بن لب ولده لبا إلى أحواز جيان فهاجم حصن قسطلون واستولى عليه (١). ولكن لم يلبث محمد بن لب أن قتل بعد ذلك بعامين حسبما قدمنا في الهامش ، تحت أسوار سرقسطة وهو يحاول انتزاعها من التجبين ولم يستطع ولده لب أن يستمر في حكم طليطلة فأبعد عنها وخرجت طليطلة عن طاعة بني قسي ولكن إلى حين ، ففي ٢٩٠هـ / ٩٠٣م استدعى مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب ويحى بن قطام شيخا طليطلة لب بن محمد بن لب بن موسى القسوى الذى خلف أباه على الثغر الأعلى إلى دخول طليطلة مرة أخرى ، فبعث إليهم أخاه المطرف فتولى حكمها ، ثم خرج عليه محمد بن إسماعيل بن موسى من أبناء عمومته ، فحكم طليطلة منذ ذلك الحين إلى أن قتله أهلها في عام (٢٩٣هـ / ٩٠٦م) وولوا عليهم لب بن طربيشة الحليف السابق لموسى بن ذى النون(٢)، واستمر في حكمها حتى انتزعها منه عبد الرحمن الناصر في أوائل حكمه (٣).

وتوفي موسى بن ذى النون في المحرم ٢٩٥هـ / ٩٠٧م (٤).

استمر بنو ذى النون أبناء موسى وهم الفتح ويحيى ومطرف بعد وفاة أبيهم ، في حكم المناطق الواقعة في شرق طليطلة فأقاما فيها الحصون والمعاقل والمنازل والقرى ، فعمرت ، وكثرت فيها المرافق مثل أقليش Uclis وولمة (٥). وويذة ثم قلعة رباح وغيرها إلى نهاية عهد الأمير عبد الله وأوائل عهد الناصر وكان المطرف بن ذى النون أشهرهم وأنجبهم وقد استمر

---

١ - ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكي ، تعليق رقم ٣٣١ ، ص ٥٣٥ : ٥٣٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٣ ، عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول ق١ ، ص ٣٤٠ .

٢ - انظر هامش رقم ( ) ، ص من البحث .

٣ - ابن حيان : المقتبس : تحقيق ملشورة أنطونيا : ص ١٨ ، ١١٨ ، ١٤٠ ، عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، نفس الصفحة .

٤ - على الرغم من استمرار موسى بن ذى النون في التمرد والعصيان حتى وفاته فإن الإمارة الأموية لم ترسل الجيوش لإخضاعه ، فقد رأى الأمير عبد الله بن محمد أن بني ذى النون لا يشكلون أية أخطار على الدولة مادام النزاع مشتعلاً بينهم وبين أهل طليطلة من جهة وبينهم وبين بني قسي من جهة أخرى : راجع حمدى عبد المنعم : ثورات البربر في الأندلس ، ص ٥٩ .

٥ - حصن ولمة هو أحد الحصون القريبة من شنتبرية وهي حصن من أكبر الحصون قوة واستعداداً .

معتصماً بويذة حتى استنزله الناصر منها (١)، ثم ولاه عليها واستقام بها شأنه (٢)، وحضر مع الخليفة الناصر واقعة الخندق(٣) (Algandaga) سنة ٢٣٧هـ / ٩٢٩م فأكرمه الناصر ومنحه حكم مدينة الفرج من الثغر الأوسط ٢٣٧هـ / ٩٤٠م ولم يزل واليًا عليها إلى أن توفى سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٥م (٤) .

أما الفتح بن موسى بن ذى النون ، فقد صار حاكمًا على إقليش ، ثم أخذ يمد نفوذه إلى المناطق المجاورة ، فتوجه إلى جيان محاولاً انتزاع حصن نيمية من عبيد الله ابن الشالية(٥) ولكن ابن الشالية نجح فى إلحاق الهزيمة بالفتح وقواته وفى أثناء غاراته المستمرة على جيرانه غدر به أحد أصحابه وهو رجل بربرى يعرف بالأقرع ، فطعنه طعنة قاتلة توفى على أثرها سنة ٣٠٣هـ / ٩١٦م (٦).

أما يحيى بن موسى بن ذى النون " فكان كما يقول ابن حيان " أكثرهم شراً وأشرسهم نفسًا وأجرأهم على السلطان والهجهم بالمعصية وأثقلهم وطأة على الرعية وأدومهم على قطع السبل وإشاعة الفساد فى الأرض وسفك الدماء " (٧) واتخذ من حصن ولة وهو أحد الحصون القريبة من شنتبرية مقراً له ، وقد تحالف يحيى بن ذى النون مع محمد بن عبد الله البكرى الرايحى المعروف بابن أندليس الثائر بحصن ملقون حيث مدا نفوذها حتى منطقة وادى أنة

---

١ – ابن حيان : المقتبس ، نشر ملشور أنطونية ، ص ١٩ .

٢ – ابن حيان : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

٣ – سميت هذه الوقعة بالخندق لنشوبها على خنادق سمورة ، التى حفرها أعداء المسلمين من النصارى ، انظر عن وقعة الخندق ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٦ : ٣٧ ، المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، طبعة مصر ١٣٠٦هـ ، جـ١ ، ص ٧٨ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٥٦ : ١٥٧ ، الحميرى: الروض المعطار ، ص ٩٨ : ٩٩ ، مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٠٩ ، العبادى : الصقالبة فى إسبانيا ، ص ١٢ : ١٣ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٨٩ .

٤ – ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشورة أنطونية ، ص ١٩ ، سالم : تاريخ المسلمين ، ص ٢٥٦ ، أبا الخليل : الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، ص ٢٨٢ : ٢٨٣ .

٥ – عبيد الله بن الشالية ، ص

٦ – ابن حيان : نفس المصدر ، ص ١٠ ، ١٨ ، ١٩ .

٧ – ابن حيان : نفس المصدر ، ص ١٧ .

جنوب قلعة رباح ولكنه عاد يحمد بن ذى النون وغدر بحليفه ابن انذليس حليفه فقتله وأرسل رأسه إلى الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) فقام الأمير عبد الرحمن برفع رأسه على باب السدة [١].

ثورة خليل وسعيد ابنا مهلب [٢] :

في الوقت الذى اضطربت فيه الأمور فى كورة البيرة من أعمال غرناطة ، تمرد خليل وسعيد ابنا مهلب ، يقول ابن عذارى [٣]: وثار ابنا مهلب من وجوه قبائل البربر بكورة إلبيرة ؛ وهما خليل وسعيد ، ثارا ثورة نظرائهما بجهتهما ، " فاستولى خليل على حصن قرنيرة Cor-dela أما سعيد فتمكن بدوره من الاستيلاء على حصن أشبرغيرة Espanaguera[٤] وعلى الرغم من ثورتهما على الأمير عبد الله فقد دانا له بالطاعة فولاهما ما بأيدهما ، وقد كان لهما الفضل في محاربة عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة ، فلما مات خليل قام أخوه سعيد بأمر الحصن إلى أن توفى أيضًا تاركًا أولاد له . فلما كانت أيام الأمير عبد الرحمن ابن محمد (الناصر) استنزل أولاد سعيد بن مهلب فيمن استنزل من الثوار فقام بهدم حصونهم وتم ذلك فى ٣٠٩هـ / ٩٢١م [٥]. يقول ابن عذارى[٦] " واستنزل بنو مهلب من حصونهم المعروفة بقرذيرة وإشبرغيرة وغيرهما ، وهدم جيمعها " .

---

١ – هو الباب الرئيسي لقصر الخلافة وترجع شهرة هذا الباب إلى أنه كان مخصصًا لشنق أو صلب الخارجين عن طاعة الدولة ، انظر ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١٦ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق : عبد الرحمن الحجى ، ص ١٤٢ : ١٤٣ ، المقتبس ، طبعة شالمتيا ص ٥٤ ، العذرى : ترصيع الأخبار ، سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ١ ، ص ١٩١ : ١٩٢ ، أبا الخيل : الأندلس فى القرن الثالث الهجرى ، ص ٢٨٠ : ٢٨١ .

٢ – ينتسب بنو المهلب إلى قبيلة كتامة البرنسية عنهم انظر ابن حزم : جمهور أنساب العرب ، ص ٥٠١ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٥٦ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ٨٤ .

٣ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٧ .

٤ – هما حصنان يقعان على مقربة من غرناطة .

Levi Provencal, Histoire, Vol. I, p. 319 .

٥ – ابن حيان : المقتبس ، طبعة ملشور أنطونية ، ص ٣١ : ٣٢ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، نفس الصفحة ، سالم : المرجع السابق ، نفس الصفحة ، حمدى عبد المنعم : نفس المرجع والصفحة ، أبا الخيل: نفس المرجع والصفحة .

٦ – ابن عذارى : المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٨١ .

ثورة زعال بن يعيش بن فرانك بن لب بن خالد النفزاوى(١):

ثورة زعال بن يعيش بن فرانك بن لب بن خالد النفراوى ، ثار على الأمير عبد الله فى حصنه المنيع أم جعفر بالقرب من ماردة(٢) مكان زعال مستقلاً فى هذا الحصن استقلالاً جزئيًا ، يظهر لطاعة للإمارة الأموية فى قرطبة(٣) . ولقد لعب زعال بن يعيش دورًا هامًا فى ثورة ابن القط(٤) وظل زعال بن يعيش يسيطر على حصن أم جعفر قرابة عشرين عامًا ، فلما توفى خلفه ابن عم له اسمه عبد الله بن عيسى بن قوطى ، فمكث حاكمًا على الحصن مدة خمسة أعوام لكنه استنزل أيام الأمير عبد الرحمن بن محمد (٥).

---

١ - ينسب إلى قبيلة نفرة البربرية ، انظر مجهول : مفاخر البربر ، ص ٧٦ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠٠ ، ابن حيان : المقتبس ، نشر ملشور أنطونية ، ص ٢٣ .

٢ - حصن بالأندلس من أعمال ماردة : ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٢٥٠ .

٣ - ابن حيان : المقتبس ، تحقق ملشور أنطونية ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٥٧، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر ، ص ٧١ .

٤ - هو أبو القاسم أحمد بن معاوية بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية وكان قد انتزى على أيام الأمير عبد الله ودعا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وادعى أنه المهدى ، فالتفت حوله جموع غفيرة من البربر وكتب إلى ألفونسو الثالث ملك أشتورش وجليقية رسالة يدعوه إلى الإسلام وينذره بالويل إذ أبى ، وكان ألفونسو يومئذ على مقربة من سمورة ، فسار إلى لقاء المهدى وقواته ودارت معركة بن الطرفين هزم فيها النصارى أولاً ولكن حدث أن أنسحب زعماء البربر ومنهم زعال بين يعيش وفيهم قوائم خشبية من تفوقه وغدره ومحمد ابن القط ، ثم نشبت بينه وبين النصارى موقعة ثانية قاتل فيها له حتى قتل ومزقت قواته وكان ذلك فى رجب سنة ٩٠١م راجع تفاصيل حركة ابن القط فى ابن حيان : المقتبس ، ص ١١٣ ، ١٢٣ ، ص ١٣٤ ، ص ١٣٦ ، ص ١٣٨ ، ص ١٣٩ .

- ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٦٩ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٦٢٤ – ص ٦٢٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٤٠ ، ص ١٤٤ ، عنان : دولة الإسلام أن الأندلس ، العصر الأول ق١ ، ص ٣٤٥ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر ، ص ٧٢ ، ص ٧٥ .

Dozy : Histoire, Vol, II, p. 132 - 134 .

٥ - ابن حيان : المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٩ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٥٧ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر ، ص ٧٢ – ص ٧٨ ، أبا الخيل : الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، ص ٢٨٨ – ص ٢٨٩ .

ثورة عمر بن مضم الهترولى المعروف بالملاحى [١] :

كان جندياً لعامل كورة جيان[٢] ولكنه غدر بسيده ووثب عليه وقتله واستولى على قصبة جيان ، وسرعان ما تحالف الملاحى مع سعيد بن هزيل[٣] الثائر بحصن المنتلون[٤] من أعمال جيان فلما عاث الملاحى فساداً وانتشر شره سير إليه الأمير عبد الله بن محمد قائده أحمد بن محمد بن أبى عبده الذى لجأ إلى حيلة ماكرة للوقيعة بين عمر الهترولى وخليفة سعيد بن هزيل فأخبره بعزم الهترولى على الغدر به واقترح أحمد بن أبى عبده على سعيد بن هزيل أن ينسحب بجنوده عند نشوب القتال بين جند الإمارة وبين جند الهترولى ، فاستجاب ابن هزيل لطلب ابن أبى عبده ، فلما التقى الجيشان انسحب ابن هزيل بجيوشه مما أدى إلى هزيمة الهترولى وارتداده إلى القصبة فلما اشتد الحصار طلب الأمان ، فأمنه القائد أحمد بن أبى عبده وقدم به إلى قرطبة وذلك فى عام ٢٩٠هـ / ٩٠٢م [٥].

ثورة محمد بن عبد الكريم بن إلياس :

ينتسب محمد بن عبد الكرم بن إلياس إلى قبيلة مغلية البربرية البترية[٦] وكان والده عبد الكريم بن إلياس من موالى الدولة الأموية إذا كانت أحد جنود الأمير المنذرين محمد بن

---

١ - ينتسب إلى بربر قرية الملاحة من كورة حيان ولذا عرف بالملاحى ، انظر : ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور أنطونية ، ص ٢٥ ، سالم : تاريخ المسلمين واثارهم ، ص ٢٥٦ .

٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٦ .

٣ - ثار سعيد بن هزيل بحصن المنتلون Monteleon فبنى الحصن وعمره فبعث إليه الأمير عبد الله القائد عبد الملك بن عبد الله بن أمية ، فأذعن بالطاعة ثم مكث عنده وتحالف مع بن حفصون وقد استنزله الأمير عبد الرحمن بن محمد وأقام على حصن المنتلون عاملاً من قبلة هو أحمد بن عبد الوهاب ، فثار عليه أهل الحصن وطلبوا عودة أميرهم سعيد بن هزيل ، فأقره الناصر على الحصن فهدأت أحوال أهل الحصن ، راجع : ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور أنطونية ، ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٥ .

٤ - حصن من أعمال جيان يقول البكرى " وبنواحى المنتلون يكون البرباريس العجيب " البرباريس نوع من النبات ورد عند القزوينى ، انظر البكرى : جغرافية الأندلس ، ص ١٢٦ .

٥ - بن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٦ ، ابن حيان : المقتبس ، نشر ملشور أنطونيا ، ص ١٣٩ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٥٦ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس ، ص ٨٢ ، ص ٨٣ .

٦ - العذرى : ترصيع الأخبار ، مدريد ، ص ١١٣ .

عبد الرحمن ، فلما توفى الأمير المنذر عام ٢٧٥هـ / ٨٨٨م ببشتر[١] وهو يحاصر عمر بن حفصون[٢] انسحب عبد الكريم ابن إلياس إلى كورة شذونة ، فلما انسحب العرب من قلعة ورد[٣] . دخلها إلياس ، بقومه وأعلن تمسكه بطاعة الأمويين[٤] ، وبعد وفاة عبد الركريم بن إلياس ، تولى ابنه محمد حكم القلعة ولكنه لم يلبث أن ثار على حكومة قرطبة منتهزًا فرصة سوء الأحوال الداخلية . ولكن الأمير عبد الله بن محمد دعاه إلى الطاعة مقابل أن يكون حاكمًا مستقلاً ذاتيًا بتلك القلعة مقابل الولاء والطاعة لحكومة قرطبة[٥] وعندما تولى عبد الرحمن بن محمد الإمارة أقر محمد بن إلياس على قلعته ولكن فى سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م ، استنزل عبد الرحمن الناصر زعماء الثورة فى كورة شذونة وكان من بينهم محمد بن الكريم بن إلياس ، يقول بن عذارى[٦] أنه " امتنع بقلعة ورد من كورة شذونة وسعى وتمادى حتى استنزله الناصر فيمن استنزله من الثوار ومات بقرطبة " .

---

١ - " ببشتر بالضم ثم الفتح وسكون السين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان وبالإسبانية Bobostrs ببشتر حصن منيع بالأندلس من أعمال كورة رية (مالقة) وبينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً ويقول الحميرى أنه كثير الديارات والكنايس والدواميس : انظر : الحميرى : الروضى المعطار ، ص ٣٧ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ص ٣٣٣ ، الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٥٣٧ ، ص ٥٧ طبعة بيروت .
Aguads, Bleye : Manual De Historie De Espana, Madrid, p. 417 .

٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١١٤ .

٣ - قلعة ورد هى إحدى القلاع الحصينة فى كورة شذونة يقول بن سعيد " ولهذه القلعة عمل جليل كثيرة الخير والجباية " .

٤ - العذرى : المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور أنطونية ، ص ٢٤ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٣٦ .

٥ - ابن حيان : المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ١٣٩ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى عصر الإمارة ، ص ٨٢ .

٦ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ١٣٦ .

الفصل الخامس

عبد الرحمن بن محمد وتوحيد الأندلس

كانت أحوال الأندلس فى السنوات السابقة على ظهور الخلافة[1] تعانى من الأوضاع التى أشرنا إليها وهى لا تكاد تختلف كثيراً عن أحوالها فى السنوات القليلة التى سبقت ظهور الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)[2]. فقد عانت الأندلس من نفس الداء ، الفرقة بين عناصر سكانها والتناحر الداخلى الذى يهدد أمنها ووحدتها ويعوق تطور الحياة الإسلامية فيها ، فتصبح البلاد فريسة سهلة للقوى المعادية فى شمال شبه الجزيرة أو عبر جبال البرانس[3].

هذا وقد قدر للبلاد أن تتخلص من الفتنة التى نزلت بها أواخر عصر الولاة وذلك بظهور عبد الرحمن بن معاوية ، الذى أعاد للأندلس الوحدة والتماسك ، وقامت الإمارة الأموية ، وقدر للأندلس أيضاً أن يتخلص من الفتنة والتمزق التى ألمت بالبلاد أواخر عصر الإمارة وذلك بظهور عبد الرحمن الثالث[4] وقيام الخلافة الأموية[5].

---

١ - عصر الخلافة فى تاريخ الأندلس هو عصر النضوج الأندلسى الكامل فى جميع النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية ، تمثلت فيه كل الجهود التى بذلت فى هذه البلاد منذ الفتح العربى حتى قيام الخلافة ، راجع : حسن محمود : تاريخ المغرب الإسلامى ، ص ١٣٨ .

٢ - راجع ص   من الكتاب .

٣ - حسن محمود : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٤ - عبد الرحمن بن محمد ٣٠٠هـ / ٩١٢م عن نسب عبد الرحمن ونشأته ، راجع : الحميدى : الجذوة ، ص ١٢ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٧ ، المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الأقصى ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٦، ١٥٧ .

٥ - عن قيام الخلافة الأموية فى الأندلس ، انظر بن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٧ ، ص١٩٨ ، ١٩٩ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٣٥ ، ابن خردانبة : أبو القاسم عبد الله بن أحمد =

هذا وقد أثبتت الأحداث أن عبد الرحمن بن محمد (الناصر) كان جديراً بحمل هذا العبء[١] يقول ابن عذارى[٢] : " وولى الأندلس جمرة تحتدم ، ونار تضطرم شقاقًا ونفاقًا فأخمد نيرانها وسكن زلازلها ، وغزا غزوات كثيرة " فقد استطاع أن يعيد إلى الأندلس استقرارها ووحدتها الداخلية[٣] فكان أول أعماله إنفاذ الكتب إلى الكورة يدعوهم إلى التماسك ونبذ الخلاف[٤] ، فاستجاب بعضهم ولم يستجيب االبعض الآخر . فكان على عبد الرحمن أن يتبع سياسة تتلاءم مع الأوضاع النفسية للثوار ، فقد كان يعلم أن أكثر الثوار من قبائل وعصبيات قديمة ذهب عنها سلطانها وولى وأنها فى حاجة إلى شخصية أكبر منها شأنًا وأوفر قوة هذه السياسة تسمى بسياسة الاستئمان وهى مزيج من الدهاء والمعرفة بطبائع البشر ومزيج من القوة ، للاستعداد ، فقد كان يخرج إلي الثوار يحاصرهم ثم يعرض عليهم الأمان والسماحة والعيش الكريم وكان يفى بما يعد فيحمل الثوار إلى قرطبة ويوفر لهم الأموال والمعيشة الكريمة ويعفو عنهم فلم يفكروا فى الخروج عليه بعد ذلك .

هذا وقد أحرزت هذه السياسة نجاحًا كبيرًا واستطاع عبد الرحمن أن يستصفى أغلب الصوار وأن يجعلهم الأتباع . إلا أن هذه السياسة لم تنجح فى بعض الأحيان لم تنجح فى القضاء على فتنة ابن حفغصون وثورة أهل طليطلة وبنى حجاج فى إشبيلية واضطر أن يخوض غمار الحرب فاشتبكت قواته مع هؤلاء الثوار فى معارك عنيفة[٥] انتهت لصالح عبد الرحمن وجيوشه .

= المسالك والممالك ، طبعة ليدن ، ١٨٦٧م ، ص ٩ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١٩ ، ابن الفقيه : (أبو بكر أحمد بن محمد إسحاق الهمذانى) مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٨٨٥ ، ص ٨٣ ، العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٨ ، الماوردى (أبو الحسن على بن محمد البغدادى بن حبيب الأحكام السلطانية) ، ١٩٢٨ ، ص ٧ .

١ – ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٩ .

M.Lafuente, Historia General de Espana; I, L, pp. 217 - 230 .

٢ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٧ .

٣ – ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٥٧ ، ص ٢٠٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام .

٤ – مدونة من عصر الناصر ، ص ٣ ، Levi Provencal, Cronica Ononima

٥ – حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ١٤١ .

وهكذا أعد عبد الرحمن عدته لاستنزال هؤلاء الثوار فنجح فى استخلاص قلعة رباح[١] التى ثار بها الفتح بين موسى بذى النون[٢] ، بعد معركة بين قوات الأمير عبد الرحمن وبين الثائر ابن ذى النون ، وأتباعه وذلك فى شهر ربيع الآخر ٣٠٠هـ / ٩١٢م[٣] وفى نفس تلك السنة، استولت جيوش الأمير عبد الرحمن بقيادة بدر الحاجب[٤] على قلعة إستجة[٥] Ectja.

يقول الحميرى[٦] " وكان أهل استجة قد خلعوا طاعة الأمير محمد وخالفوا ، فافتحها عبد الرحمن بن محمد على يد بدر الحاجب ٣٠٠ - فهدم سورها ووضع بالأرض قواعدها ، وألحق أعاليها بأسفلهاوهدم قنطرة نهرها " [٧] .

وكانت هذه القلعة من أمنع قلاع الثائر عمر بن حفصون حيث قامت جيوش عبد الرحمن ابن محمد (الناصر) بالاستيلاء عليها فألحقوا أعاليها بأسفلها[٨] ثم سار الأمير إلى الجنوب الشرقى ومعه جند كورة بالبيرة وزعماؤها وكان ابن حفصون قد انتزع حصونهم فالتجأوا إلى الأمير وألقوا بطاعتهم إليه[٩] ثم اتجه الأمير عبد الرحمن بعد ذلك إلى كورة حيان[١٠] وكانت

---

١ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٩ .

٢ - " صار الفتح بن موسى حاكمًا على مدينة أقليش Ucles وشيد حصنها وامتنع بها ، وأخذ يمد نفوذه إلى المناطق المجاورة فتحرك إلى كورة حيان أن ينتزع نيمية ابن عبيد الله بن الشالية " راجع ابن حيان : المقتبس ، نشر ملشورة أنوطنيا ، ص ١٩٠ ، ١١ .

٣ - مدونة من عصر الناصر ، ص ٣٣ Levi Provencal. Cronica. Amonima ، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٤ .

٤ - كان بدر وصيفًا للأمير عبد الله ، فأعتقه وصرفه فى الخطط الشريفة ثم تولى الوزارة والحجابة والقيادة والخيل والبُرد ، وكان ينفرد بالولايات فكتبت السجلات فى داره وفى عهد عبد الرحمن بن محمد (الناصر) تولى بدر منصب الحجابة : راجع ابن حيان: المقتبس ، نشر ملشور أنطونيا ، ص ٤ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٤٧ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٩ .

٦ - الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٤ .

٧ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥٩ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٩ .

٨ - ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٥٨ ، تحقيق شالمتا وآخرون ، مدريه ، سنة ١٩٧٩م.

٩ - الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦١ .

١٠ - مارتش : Martos من عمل حيان راجع ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٦١ ، عنان : الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية ، ص .

الثورة على أشدها فاحتل حصن مارتش(١) من عمل حيان ، يقول ابن عذارى : ورده الخبر بمضايقة عمر بن حفصون لأهل حاضرة ريّة وأنه أطمع نفسه عند تخاذلهم بانتهاز الفرصة فوجه لتلافي ذلك سعيد بن عبد الوارث في قطيع من الجند وأمر يغذ السير ويطوى المرحل ، حتى يحتل مدينة مالقة ويقطع بابن حفصون عما كان رامه منها وأطمع فيها ، فتوصل القائد إلى الموضع وضبطه وحمى تلك الجهة عن ابن حفصون وخربه " .

أما الأمير عبد الرحمن فقد اتجه بعد استيلائه على حصن مارتشن إلى حصن المنتلون(٢) من أعمال جيان أيضًا ، حيث الثائر المولد سعيد بن هزيل ، فقامت جيوش الأمير عبد الرحمن بمحاصرة الحصن وذلك في سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م(٣) وأمام حصار جيوش عبد الرحمن للثائر سعيد بن هزيل ، اضطر إلى الإذعان للطاعة وطلب الأمان ، فأجابه الأمير عبد الرحمن ومنحه الأمان ، كذلك استولت جيوش الأمير عبد الرحمن علي حصن شمنتان(٤) وبه عبد الله بن الشالية ، فاستسلم الثائر دون مقاومة طلب الأمان من جميع معاقله وحصونه(٥) وسار الأمير في ذلك يفتح الحصون والمعاقل والثوار يتساقطون بين يديه فطهر المنطقة من العصيان " واستعمل في الحصون ثقات من رجاله " (٦).

وفي العام التالي ٣٠١هـ / ٩١٣م تابع الأمير عبد الرحمن غزواته لاستنزال الثوار فخرج غازيًا إلى كورة رية والجزيرة الخضراء فكان أول مقصده حصن طرش فامتنع عليه فأبقى من يحاصره وانتقل إلى حصون رية ليتأكد من طاعتها (٧)، ثم تقدم إلى مالقة فنظر في معالمها وأحوالها (٨).

---

١ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص

٢ - وفيها افتتح سبعين حصنًا من أمهات الحصون راجع : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦١ .
Levi Provencal, E. Crarcia, Una Cronica, pp. 38 - 39 .

٣ - ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٦٠ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، نفس الصفحة ، ابن خلدون: العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٩ .

٤ - شُمنتان : جبل له قرى وحصون وهو من أعمال حيان وكان قد استولى عليه الثائر عبيد الله بن الشاليه في أيام الأمير عبد الله بن محمد المرواني " وقد استعمل أميره واشتهر ذكره ومدح وقُصد ، انظر : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ٢ ، ص ٦٩ .

٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦١ .

٦ - ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

٧ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦٤ ، ص ١٦٥ .

٨ - ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

تقدم الأمير عبد الرحمن بعد ذلك إلى قلعة ببشتر[١] من كورة رية حيث الثائر عمر بن حفصون وكان قد اشتد أمره واتسعت رقعة مملكته كما سبق أن ذكرنا وانضم إليه عدد كبير من الخارجين علي طاعة الأمير[٢] كما اطاعته أكثر البلاد المتوسطة بين رية والجزيرة الخضراء والبيرة[٣] .

تابع الأمير عبد الرحمن سيره إلى كورة رية والجزيرة الخضراء ، فاتجه أولاً إلي حصن لورة المجاور للجزيرة الخضراء ، فاستولى عليه الجيش الأموى بعد أن فر أصحاب منه ثم واصل الأمير عبد الرحمن زحفه إلى الجزيرة الخضراء فدخلها فى ٤ ذى القعدة ٣٠٠هـ / ٩١٣م فأقام بها أيامًا للنظر فى مصالحها وشد بحرها وكان فى ساحلها لابن حفصون وأصحابه عدة من المراكب البحرية للميرة والتجارة فأخذها الأمير وأحرقها فقطع اتصال ابن حفصون بالبحر[٤] هذا وقد تم الهزائم على الثائر ابن حفصون ونجح جيش الإمارة فى الاستيلاء على ثلاثين حصنًا من أمنع حصون عمر ابن حفصون[٥] وفى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م وقع حادث داخلى هام ، هو جنوح عمر بن حفصون إلى الطاعة فبعث إلى الناصر يخطب وده ويلتمس الصلح[٦] مستشفقًا بما كان فى إيواء الأمير محمد والد عبد الرحمن وحمايته ، حينما فر من أبيه الأمير عبد الله ، وقام بالوساطة في ذلك يحيى بن إسحاق طبيب عبد الرحمن وكان صديقًا لعمر بن حفصون وعاونه الحاجب بدر لدى الناصر ، فاستجاب الناصر لعقد الصلح مع عمر ، مع الحذر من غدره ومكره[٧] فسار يحيى بن إسحاق إلى ببشتر فالتقى بابن حفصون وجعفر بن مقسم أسقف ببشتر وعبد الرحمن ابن صبغ بن نبيل

---

١ – العميرى : الروض المعطار ، ص ٣٧ .

٢ – ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٤ ، ١٣٩ .

٣ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، نشر شلميتا ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، ابن خلدون : العبر ، ق١ ، جـ٤ ، بيروت عام ١٩٦٨ ، ص ٣٠٣ ، عنان : دولة الإسلام ، العصر الأول ، ق٢ ، ص ٣٠٣ .

Aguads Bleye, Manual De Historia De Espano, Madrid, 1947, pp. 425 - 426 .

٥ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٠ ، ص ١٩٥ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٩ .

٦ – ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٢ .

٧ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٨٠ .

وودناس بن عطاف من أكابر رجال بن حفصون النصارى وكانوا راغبين فى التعلق بحبل الطاعة ، مشيرين على ابن حفصون بالصلح ، رغم كره ابنائه وحاشيته لذلك[١].

لكن رغبة ابن حفصون قد أكدت ذلك واستلم عهد الإمارة من الأمير عبد الرحمن وقد وقع أسفله بخط يده .

وهكذا أمْنَ ابن حفصون فى ببشتر ودخلت فى طاعته مائة واثنين وستون حصنًا كان يسيطر عليها فاغتبط وسكنت نفسه ، وأهدى للأمير عبد الرحمن هدية عظيمة تعبيرًا عن ولائه فتقبلها وحسن موقعها لديه ، وكافأ ابن حفصون موقعها فاستحكمت طاعته طوال حياته حتي هلك ٣٠٥هـ / ٩١٧م[٢].

توفى عمر بن حفصون فى ٣٠٥هـ / ٩١٧م وهو فى الثانية والسبعين من عمره بعد مرض طويل[٣] وكان لمهلك بن حفصون أكبر الأثر فى ضعف الثورة وانحلالها ، فعد هلاكه من أسباب الأقبال ، وتباشير الصنع وانقطاع علق المكروه [٤]. هذا وقد اعتبرت المصادر الإسبانية ابن حفصون بطلاً قوميًا حاول تحرير المولدين من بطش العرب[٥] يقول دوزى لم يكن من حظه أن يحرر بلاده أو أن يوجد أسرة ، ولكنه سيظل ماثلاً فى الأذهان فى صورة البطل الحق الذى لم تخرج أسبانيا مثله [٦]، ويعلق المؤرخ محمد عبد الله عنان بقوله أن هذه الآراء مبالغة وأغراقًا وأنها ليست إلا ثمرة نزعة من التعصب الدينى والجنسى ، الذى يطبع النقد الأول فى كثير من المواطن ، وأن ابن حفصون بالرغم من صلابته وقوة عزمة وبراعة خططه ، لم يكن سوى قاطع طريق وثائر من طراز قوى عنيف [٧].

---

١ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ١١٢ ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ .

٢ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ١١٥ ، ص ١١٦ ، ص ١٣٢ .

٣ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، نفس الصفحات ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٧١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٤ ، ص ٣٥ .

٤ – ابن عذارى : الصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، ابن حيان : المقتبس : نفس الجزء ، ص ١٣٨م.

5 - F.J. Simonet : Historia De Los Mozasabes De Espana, Madrid, 1897, p. 516 .

6 - Dozy : Histoireds Muslmanes D, Espana VII, p. 106 .

٧ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٨٣ .

كانت ثورة ابن حفصون من أشد الثورات التى عرفتها الأندلس ، فقد ناهضته حكومة قرطبة زمنًا طويلاً ولم تنته هذه الثورة بوفاة ابن حفصون ٣٠٥هـ / ٩١٧م بل حمل أبناؤه من بعده لواء الثورة ضد الحكومة الأموية ، فقد ترك ابن حفصون أربعة أبناءهم سليمان وعبد الرحمن وجعفر وحفص وابنته هى " أرختا " وكان له ولد آخر هو أيوب اتهمه أبوه عندما اعتلت صحته ، بمحاولة الفتك به وقتله [١].

تولى أبناء عمر بن حفصون ، رئاسة القواعد التى كانت يسيطر عليها والدهم ، فقام جعفر بعهد من أبيه وقاد لواء الثورة من جديد ، وألب النصارى فى الحصون على الدفاع عنها ، وقد كان لهذا الشاب خطره الجسيم ، فقد ورث شجاعة والده ، واعتصم بمعقلة ، فمد في عمر الثورة عشر سنوات أخرى [٢]. أما سليمان فقد استقل " بأبذه " Ubeda " شمال شرقى جيان وحذا حذوه أخوه عبد الرحمن فاستقل فى حصن " طرش " وبقى حفص فى ظل أخيه جعفر فى ببشتر .

وفى سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩م بادر عبد الرحمن باحتلال حصن طرش[٣] واستسلم الحصن لقوات الأمير عبد الرحمن ، أما جعفر بن عمر حفصون فقد رأى الأمير عبد الرحمن أن يهادنه أول الأمير فاقره على أعماله .

وفى سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م قُتل جعفر فى ببشتر واتهم فى ذلك أخوه سليمان وقيل أن نفرًا من النصارى قد اغتالوه[٤] بسبب تودده لجند المسلمين[٥] وبوفاة جعفر بن عمر حفصون ضعف أمر الثورة الحفصونية وأخذت معاقل بنى حفصون تسقط واحدة فى أثر الأخرى

---

١ – ابن حزم نقط العروس ، ص ٧٩ ، نشر كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ديسمبر سنة ١٩٥١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٢ .

٢ – سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس ، رسالة دكتوراة ، ص ٥٣ ، أحمد بدر : تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، ص ٨ .

٣ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٧٤ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٤ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٨٠ .

٥ – ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٥ . Dozy : Hist, Vol . II, p. 106

وقامت قوات عبد الرحمن بتدمير تلك الحصون والقلاع تدميراً تاماً(١) واستسلم جميع العصاة المعتصمين فيها ٣١٦هـ / ٩٢٨م(٢) .

وهكذا أسدل الستار على أخطر ثورة عرفتها الأندلس تلك الثورة التى استمرت خمسين عاماً وكادت تعصف بالإمارة الأموية فى عهد أربعة أمراء وكانت سبباً من أسباب تمزق الوحدة الأندلسية بين عنصر المولدين وغيره من العناصر الأخرى(٣).

إشبيلية ومحاولة الاستقلال :

فقد كان يحكمها بنو حجاج وهم من الأسر العربية التى استقرت بالمدينة ، وكان إبراهيم بن حجاج اللخمى قد استقل بكورة إشبيلية وقرمونة وخرج على الأمير عبد الله كما سبق أن ذكرنا ولما عاد إلى الطاعة ولا الأمير عبد الله على إشبيلية وبعد وفاة إبراهيم بن حجاج سنة ٢٩٨هـ / ٩١٠م ولى مكانه ابنه عبد الرحمن حتى توفى سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م(٤) وكانت وفاته سبباً فى القضاء على ولاية بنى حجاج (٥).

فقد اجتمع أهل إشبيلية بعد وفاة أميرهم على ولاية أحمد بن مسلمة من بنى حجاج فأغضب هذا شقيقه محمد صاحب قرمونه الذى طمع فى إشبيلية لنفسه بعد شقيقه ، فنقم على بن مسلمة وتوجه إلي قرطبة مجدداً طاعته للأمير عبد الرحمن وطلب منه ولاية إشبيلية فى نفس الوقت الذى أعلن فيه ابن مسلمة عصيانه مرة أخرى مما أغرى الأمير عبد الرحمن بوعد محمد بولاية إشبيلية ووجه إليها بصحبه وزيره قاسم بن وليد الكلبى (٦). فحاصرت قواتهم إشبيلية وضربا عليها حصاراً قوياً ، فرأى ابن مسلمة أنه لاقدرة له على

---

1 - Carlos - Sarthou Garreras : Castillos D, Espena, p. 22, Madrid, 1952 .

٢ - عنان : دولة الإسلام ، ص٣٨٥ ، Dozy. Spanish Islam, pp. 393 - 394 .

- راجع تفاصيل المعارك الأخيرة بين عبد الرحمن وأبناء ابن حفصون فى الأوراق الخاصة بمصر الناصر ، ص ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

٣ - سعد عثمان : المجتمع الإسلامى ، ص ٥٤ .

٤ - ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٢٥ - ١٣٠ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٤٠.

٥ - إبراهيم بيضون : الدولج العربية فى إسبانيا ، ص ٣٠٢ .

٦ - ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٧٠ ، ٧١ .

الاستمرار تحت الحصار فطلب الأمان فأجابه الأمير[١] وحمل أحمد بن مسلمة ومعه أهله وأتباعه[٢].

لم تنته ثورة بنى حجاج باستسلام ابن مسلمة ، فقد ترقب محمد بن إبراهيم وعد الأمير عبد الرحمن له بولاية إشبيلية ، ولكنه رأى بدر الحاجب قد ترك عليها سعيد بن المنذر واليًا فخرج إلى قرمونة عاصيًا وعازمًا على رفع لواء الثورة من جديد ، ورأى الأمير عبد الرحمن أن يوفد إلى محمد بن حجاج رسولاً يحذره من الاسترسال فى العصيان . فأدرك ابن حجاج أنه لا طاقة له بالثورة والعصيان فأعلن طاعته حيث سار إلي قرطبة بعد أن أبقى نائبًا عنه فى حكم قرمونة وقد أحسن الأمير عبد الرحمن وفادته وقدم له ولرجاله الهدايا الثمينة وأجذل لهم العطاء[٣] .

أما حبيب بن سوادة الثائر فى قرمونة أيضًا فقد أرسل إليه الأمير عبد الرحمن جيشًا بقيادة بدر بن أحمد الحاجب فقام بمحاصرة الثوار هناك ثم دخل قرمونة عنوة فقبض على حبيب وولده وأرسلوا إلى قرطبة (٣٠٥هـ / ٩١٧م)[٤] .

وبهذا انتهت ثورة العرب فى إشبيلية وقرمونة ، فسارت الإمارة خطوة فى سبيل استعادة الأندلس لوحدتها السياسية والاجتماعية .

عانت الإمارة الأموية فى إخضاع طليطلة مصاعب جمة فمنذ ولاية الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل وحتى ولاية الأمير عبد الله (١٣٨هـ - ٣٠٠هـ) لم تهدأ طليطلة وظلت موئلاً لثورات المولدين والبربر وكان المولدون هم عناصر سكانها الغالب ، ومن ثم فإن ولائهم للحكومة الإسلامية لم يكن قويًا وكان من الطبيعى أن تستقل طليطلة فى فترة الحرب الأهلية، أيام الأمير عبد الله وحتى أول إمارة الأمير عبد الرحمن ابن محمد (الناصر) [٥].

١- ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٦٢ ، ص ١٦٣ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١٣٦، عن استسلام إشبيلية ورجوعها إلى الطاعة انظر ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٧٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٢ .

٢ - ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

٣ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٣٠ ، ص ١٣١ ،

٤ - ابن عذارى: المصدر السابق، نفس الجزء، ص ١٧١. Levi Provencal Cronica Anonima, p. 55-56.

٥ - راجع ابن حيان :المقتبس ، جـ٥ ، ص٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٤٠ .

فموقعها على المنحدرات الصخرية العالية الممتدة حتى ضفاف نهر التاجة ، الذى يحيط بها من الشرق والغرب والجنوب وأسوارها الضخمة وقلاعها الحصينة ، كل ذلك جعلها من أمتع مدن العصور الوسطى(١) .

رأى الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) وجوب إخضاع طليطلة لمعرفته بسابق عصيانها ، فخرج فى بداية إمارته فى عام ٣٠٨هـ / ٩٢٠م للغزو فى الحملة المعروفة بمويش ، فنزل طليطلة فخرج لاستقباله صاحبها لب ابن طربيشة معلنًا رغبته فى المشاركة فى تلك الغزوة(٢) لم يكن خضوع طليطلة نهائيًا(٣) فقد عادت المدينة إلى الثورة من جديد ورأى الخليفة عبد الرحمن بن محمد (الناصر) فى هذه المرة أن يبدأ معهم سياسة التفاهم والملاينة ، فأسرل إليهم وفدًا من وجوه أهل قرطبة فأتوا طليطلة يدعون أهلها إلى نبذ الخلاف والمعصية وبذل الطاعة للحكومة الأموية ولكن أخفق الوفد فى تحقيق الهدف فعزم الناصر على غزو طليطلة وإخضاعها عنوة (٤).

ومن أواخر ربيع الثانى سنة ٣١٨هـ / مايو ٩٣٠م سير الناصر إلى طليطلة القائد الوزير سعيد بن المنذر القرشى فى جيش كثيف وأمره بحصار طليطلة حتى يحقق الوحدة(٥) الأندلسية ، وفى الثانى من جمادى الأولى (٣١٨هـ/يونيو ٩٣٠م) خرج الخليفة الناصر من قرطبة بصحبة ولى عهده الأمير الحكم بن عبد الرحمن قاصدًا طليطلة فاستولى وهو فى طريقه

١- البكرى : كتاب جغرافية الأندلس وأوربا " من كتاب المسالك والممالك " تحقيق عبد لرحمن الحجى ، الطبقة الأولي ، بيروت سنة ١٩٦٨م ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٨، الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٣٣ .

٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٨٦ ، ابن حيان : المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٦١ ، ص ١٦٢ .

٣ - يذكر ابن عذارى أن لب بن الطربيشة كان يظهر طاعة تحتها معصية ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٦ .

٤ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ ، ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق شالمتيا ، ص ٢٨٠ .

٥ - ابن حيان : المقتبس ، طبعة شالميتا ، ص ٢٧١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ . Levi Provencal, Histoire, Vol. II, p. 28

على عدة حصون[١] ومضى الناصر بعد ذلك بجيوشه حتى وصل جبل جرنكش[٢] فى جمادى الأولي سنة ٣١٨هـ/ يونيو ٩٣٠م ونظر فى أقرب الجهات التى يمكن أن يحاصر طليطلة منها، فنزل بمحلة المقبرة على باب المدينة " وأقام بهذه المحلة سبعة وثلاثين يومًا يوالى فيها نكايتهم وقطع ثمراتهم وتخريب قراهم وانتساف نعمهم وتحطيم زروعهم[٣] ثم أمر الناصر ببناء مدينة جبل جرنكش أطلق عليها اسم مدينة الفتح وعهد إلى قائده سعيد بن المنذر بالأشراف على بنياها وأمر بنقل الأسواق إليها لتكثر مرافق أهل العسكر بها ثم عاد الخليفة إلي قرطبة[٤] .

استمر حصار طليطلة أكثر من عامين، وظن أهلها أن استعانتهم براميرو الثانى Barmi-ro II (٩١٢م - ٩٣٢م) (٣٠٠هـ - ٣٢٠هـ) ملك ليون قد تنقذ الموقف ، ويساعدهم فى رفع الحصار لكن الجيش المحاصر هزم جموعه ، ورد هجومه [٥].

وصل عبد الرحمن الناصر إلى طليطلة ونزل بمحلته على جبل جرنكش فى الخامس والعشرين من رجب سنة ٣٢٠هـ / الثانى من أغسطس ٩٣٢م لاستنزال العصاة بها وتوطيد طاعته عليها ، فسارع ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث زعيم الثورة فى طليطلة للقاء الخليفة الناصر ، معترفًا بسوء صنيعة فعفا عنه الناصر وأكرمه ثم أمن أهل طليطلة ، ورفع عنهم الحصار ، فسارعوا إلي الدخول فى طاعته [٦]، " فشعروا بالأمن بعد الخوف والسعة أثر الضيق والانبساط بعد طول الانقباض "[٧] دخل الناصر طليطلة فرأى من حصانتها وامتناع

١- من أهمها حصن موردة على بعد إحدى وثلاثين كيلو مترًا إلى الجنوب الشرقى من طليطلة ، Levi Provencal, Historie, Vol. II, p. 28 N.L.

- يقول بن حيان أن أهل طليطلة قد اتخذوه (شجًا على المسلمين ومستركنًا للمفسدين) ابن حيان : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ٢٨٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

٢ - يقع هذا الحصون على مقربة من طليطلة ، ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، ٢٠٣ .

٣ - ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٤ - ابن حيان : المقتبس ، نفس الجزء ، ص ٢٨٣ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، والجزء ، ص ٢٠٢ .

٥ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ٤٠١ .

٦ - ابن حيان : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ٣١٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، نفس المصدر جـ٢ ، ص ٣٠٧ .

٧ - ابن حيان : نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

قائدها ، وانتظام الجبال فى داخلها وامتناعها من كل جهات بوثاقة أسوارها وأكتناف واديها لقصبتها ووعورة مسالكها ، وطيب هوائها وجوهرها وكثرة البشر بها ما أكثر له من شكر الله على ما منحه فيها وسهل له منها(١) فشكر الله الذى هيأ له التغلب على كل هذه الصعاب ، وكان سروره فى هذا اليوم عظيماً كسروره يوم استيلائه علي حصن ببشتر(٢) .

وهكذا فقدت الثورة فى الأندلس بسقوط طليطلة أمنع حصونها(٣) وأخذت مدن الأندلس الواحدة بعد الأخرى تفتح أبوابها للأمير عبد الرحمن فسلمت مدينة شنت برية التى استقل بها يحيى بن موسى ابن ذى النون وكان شديد البأس على جيرانه غادر بأصحابه ، فأرسل إليه الخليفة عبد الرحمن الناصر الوزير عبد الحميد بن يسيل(٤) فقبض عليه وأرسله إلي قرطبه مع ولده وذلك عام ٣٢١هـ / ٩٣٣م فصفح عنه الناصر وأجزل له العطاء(٥) ومنذ ذلك الحين ظل يحيى بن ذى النون مخلصاً للناصر واشترك معه فى غزو سرقسطة ٣٢٥ هـ /

١- ابن حيان : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، نفس الجزء ، نفس الصفحة ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص ٨٩ ،. سعد عثمان ، المجتمع الإسلامى فى الأندلس ، ص ٦٧ .

٢ - حسن خليفة : تاريخ العرب فى إفريقيا والأندلس ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٢٧ .

٣ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٤٠١ .

٤ - ينتسب بنو يسيل إلى الروضى مولى هشام بن عبدالملك وأول من دخل الأندلس من هذه الأسرة عبد السلام بن يسيل وولديه عبد الواحد ويحيى وكان ذلك فى أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) وتولى عبد الحميد بن يسيل الكتابة فى أيام الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٣هـ / ٩٠٦م) وفى ٣١١هـ / ٩٢٣ أرسل النصار إلبى الثغر الأعلى ، وفى ٣١٣هـ / ٩٢٥م سير الناصر بجيش كثيف إلى كورة جيان لاستنزال الثوار من أهل الخلافة والمعصية كما قام باستنزال الثوار من بنى ذى النون ، كما اشترك فى قتال الثائر عمر بن حفصون واتجه بأمر الناصر إلى طليطلة ثم جليقية حيث قضى على عوامل الفتنة ، كذلك اشترك مع القائد أحمد بن إلياس فى غزو ليون ، عن عبد الحميد بن بسيل ، راجع ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٧١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ص ٣٠٥ ، ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ١١١ ، ١٢٣ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٥٤ ، ٣٥٤ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ٣٨٥ ، ٣٩٠ .

٥ - ابن حيان : المقتبس ، نشر ملشور إنطونيا ، ص ١٩ ، جـ٥ ، نشر شالميتا ، ص ٣٢٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٨٩ ، ص ١٩١ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول القسم الثانى ، ص ٤٠٠ ، . Dozy : Hist, V.II, pp. 144 , 145

٩٣٧م[١] ، أما مطرف بن موسى بن ذى النون فقد استقل بمدينة وبذة فحصنها وكان أقل إخوته خطرًا وأحسنهم ملاطفة للخليفة يحضر معه غزواته ، وقد بقى سالمًا حتى وفاته ٣٣٣هـ / ٩٤٥م ، يؤكد ذلك قول ابن حيان [٢] : " فاسجل (أى المطرف) الناصر على بلدة ورفع من حالة مخضرة معه أكثر مغازية .

ظل المطرف على ولائه للأمير عبد الرحمن بن محمد حتى وقع أسيرًا فى يد شانجة غرسية الأول صاحب بنبلونة وذلك سنة ٣١١هـ / ٩٢٣م ولكنه تمكن من الفرار وانضم إلي جيوش الناصر[٣] فى غزوة الخندق . فازدادت منزلته لدى الناصر فاسجل له على مدينة الفرج من الثغر الأوسط وذلك سنة ٣٢٨هـ / ٩٤٠م وظل واليًا عليها إلى أن توفى سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٥م[٤].

مدن غرب الأندلس ورجوعها إلى الطاعة :

أما بطليوس وأحوازها فقد كانت منذ أربعين عامًلا معقلاً من معاقل ثورات المولدين وكان بنو مروان الجليقى ما يزالون يسيطرون على تلك المنطقة وكانوا من أخطر الخوارج وأشدهم مراسا يمالئون الأمراء النصارى ويحالفونهم على حكومة قرطبة[٥] معتمدين على ما خلفه لهم أبائهم من حكمها وعلى ما أعطاه الأمراء الأمويين فى عهد الإمارة من حق لهؤلاء الأباء فى حكم كورهم حين عجزت الإمارة عن السيطرة على تلك النواحى ، لبعدها ، وكان على الأمير عبد الرحمن ، أن يؤمن دولته في الناحية . وفى ربيع ٣١٧هـ / أبريل ٩٢٩م خرج الأمير عبد الرحمن الناصر متجهًا إلى الغرب .

---

١ - ابن حيان : المصدر السابق ، ص ١٩ .

٢ - ابن حيان : نفس المصدر ، والجزء ، والصفحة .

٣ - ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، تحقيق ساليتا ، ص ١٨٦ ، ص ١٨٧ .

٤ - ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، نفس المصدر ، تحقيق ملشور أنطونيا ، ص ١٩ ، سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس ، ص ٢٥٦ ، أبا الخيل : الأندلس فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى ، ص ٢٨٢ ، ص ٢٨٣ ، حمدى عبد المنعم : ثورات البربر فى الأندلس فى عصر الإمارة الأموية، ص ٦٥ ، ٦٦ .

٥ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثنى ، ص ٣٨٩ .

ومعه ولده الحكم والمنذر وعدة من الوزراء واستخلف على القصر ولده عبد العزيز[١] وبعث الناصر ينذر المخالفين لطاعته وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عبد الله بن مروان الجليقى ، وواصل الناصر بجيشه إلى بطليوس فى أواخر ربيع الآخر من نفس السنة وحاصر المدينة لمدة عشرين يومًا ثم أبقى عليها قائده أحمد بن إسحاق وانتقل إلى جهة ماردة فأصلح أحوالها وعين عليها واليًا من قبله [٢] ، ثم اتجه مرة أخرى إلى بطليوس وعاود حصارها يقول ابن عذارى[٣] " فضربت عساكر عليها من غير الجهة التى كانت اضطربت فيها أولاً ، وتولى من نكايتهم وأليم محاصرتهم ، ما أذاقهم به وبال عصيانهم (وعاقبة غيهم) وضلالهم . ثم رتب عليهم أحمد بن إسحاق قائدًا فى جيش كثيف ورجال متقنين وعدد كامل وأمره بالتشدد فى حصارهم والاستيلاء فى مضايقتهم وانتقل ناهضًا إلى مدينة باجة " خرج الخليفة عبد الرحمن الثالث إلى باجة للقضاء على خلفاء بنى مروان الجليقى فى الجنوب وذلك لأن القضاء عليهم أمر ضرورى لئلا يهددوا قواته المحاصرة لبطليوس[٤] وكان ممتنعًا بها الثائر عبد الرحمن بن سعيد بن مالك فطوقها وحاصرها حصارًا شديدًا حتى أحس أهلها الجوع والعطش ودعاه الخليفة إلى الطاعة " ولكنه أبى واستمر فى العصيان فنصب عليه المجانيق وقتل من رجاله عددًا كبيرًا وعندئذ اضطر صاحبها إلى الإذعان فمنحهم عبد الرحمن الأمان ، وأمن صاحبها، وخرجوا إليه تائبين مستسلمين فبعثهم إلى قرطبة . وكان افتتاح باجة فى منتصف جمادى الآخر سنة ٣١٧هـ ونظر الناصر فى إصلاح المدينة وولى عليها عاملاً من قبله ، وهو عبد الله بن عمرو ابن مسلمة وزوده بحامية لما فيه[٥] وأمره ببناء قصبة ينفرد بها ويسكنها[٦] .

---

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٠٠ .

٢ – ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

٣ – ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٤ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٣٩٠ .

٥ – عنان : المرجع السابق جـ١ ،ق٢ ، ص ٣٩٠ ، سعد عثمان المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ص ٦٢ .

٦ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٢٤٨ .

اتجه عبد الرحمن بعد ذلك إلى مدينة أكشونية على مقربة من ساحل المحيط الجنوبي ، وبها الثائر خلف بن بكر وافتتح فى الطريق إليها حصن الرقاع ، وأصاب فيه لخلف ابن بكر صاحب أكشونية أمولاً وعدة وسلاحًا فنقلها لجنوده وحشمه و فبادر الثائر خلف ابن بكر معتذراً وملتزمًا للطاعة وأظهر أهل الناحية رغبة فى استبقائه واليًا عليهم ، والتزم بدفع الجباية، فقبل الناصر إنابته وأوسعه وجدد له الولاية على كورة أكشوبنة ٣١٧هـ [١].

وفى ٣١٨هـ / ٩٣٠م كان افتتاح مدينة بطليوس العاصمة وكان صاحبها ابن الجليقى قد احتمل الحصار مدة طويلة حتى فنى الكثير من رجاله ورأى من الخليفة عزمًا لا يفتريه وجداً لا طاقة له به ، واشتد بأهليها الضيق فاضطر الجليقى إلى الرذعان وطلب الأمان ، فأجابه الناصر إليه وأسكنه هو وأهله وأكابر رجاله بحصرة قرطبة ووسعه من سماحة الخليفة ما وسع أمثاله[٢] وعين لبطليوس واليًا جديداً هو عثمان بن عبد الله[٣] وكان خضوع بطليوس فى سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م وهكذا أمنت الكور الغربية فى ظل الناصر وعادت إلى التماسك والوحدة .

مدن شرق الأندلس وعودتها إلى الطاعة :

لم يغفل الأمير عبد الرحمن (الناصر) مدن شرق الأندلس ففى سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م غزا الأمير عبد الرحمن بنبلونة من البلاد البشكنس فمر فى طريقه بكورتى تدمير وبلنسية ، باديًا بمن هنالك من أهل الخلاف والمعصية[٤] فنازل مدينة لورقة من أعمال تدمير بعد أن فقد واليها عبد الرحمن بن عبد الله بن وضاح عن الالتحاق بمعسكر الأمير وكان ممن خوطب بذلك [٥].

ولما وصل الأمير عبد الرحمن (الناصر) إلى مدينة لورقة عجز الثائر ابن وضاح عن الدفاع عن مدينته فأعلن الخضوع والطاعة واستأمن على الخروج من لورقة والرحيل إلى قرطبة فأجيب إلى ذلك وانعقد أمانة وخرج بأهله وحاله فنزل قرطبة واستوطنها [٦].

---

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

٢ – ابن حيان : المقتبس و جـ٥ ، ص ٢٧١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢٠٢ .

٣ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٣٨٩ .

٤ – سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس ، ص ٥٨ .

٥ – العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ١٢ .

٦ – العذرى : المصدر السابق ، ص ١٢ ، ١٣ .

تقدم الأمير عبد الرحمن إلى مدينة مرسية ، فحاصرها فاستنزل يعقوب بن خالد التوزرى وعامر ابن أبى جوش[١] وكان عامر بن أبى جوشين قد تغلب على شاطبة والجزيرة من كورة بلنسية وقد ولاه الأمير عبد الرحمن على ما بيده[٢] وقد عبر عن ولائه فى أن خرج مع الأمير عبد الرحمن مشاركًا فى غزوة بلبلونة لكنه عاد وأعلن عصيانه مرة أخرى ، فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن (الناصر) قائديه أحمد بن إسحاق ودرى بن عبد الرحمن[٣] لحصاره والتضييق عليه فأعلن ابن الجوشين الطاعة وطلب الأمان وترك شاطبة واستقر إلى جانب الأمير فى قرطبة[٤] .

أما محمد بن عبد الرحمن الخزاعى فقد ثار بقليوشة من كورة تدمير فى آخر أيام الأمير عبد الله ، ثم أقره الأمير عبد الرحمن عليها فى أول ولاية وانتظر أن يكون الخزاعى من أول المشاركين فى غزوة بنبلونة لكنه تقاعس عن الخروج ، وأعلن عصيانه [٥]، خرج الأمير عبد الرحمن لغزوته صار بقليوشة فحاصرها ، لكن الخزاعى ظل صامدًا .

فترك الأمير لحصاره القائد سعيد بن المنذر[٦] فاضطر الخزاعى إلى طلب الأمان فأمن ، لكنه عاد ونكث فعاد ابن المنذر إلى تشديد الحصار عليه فاستأمن ثانية ، وتخلى عن حصونه ماعدا حصن لقنت[٧] وكان الأمير يراقب تحركاته ويضايقه دائمًا حتى أعلن الطاعة ٣١٦هـ

---

١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٨٦ .

٢ – ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٠ ، العذرى : المصدر السابق ، ص ١٤ .

٣ – نرى بن عبد الرحمن هو صاحب الشرطة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر .

٤ – يقول العذرى : " ثم هلك عامر بن أبى الجوشن وقد أوفد على المائة بقرطبة وكان من الشجعان الأبطال المنكورين ، راجع : العذرى نصوص عن الأندلس ، ص ١٥ .

٥ – سعد عثمان : المجتمع الإسلامى ، ص ٥٩ .

٦ – بسام العسلى : عبد الرحمن الناصر ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٦٧ ، سعد عثمان : المجتمع الأندلس ، ص ٥٩ .

٧ – فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت لقنت مدينة من مدائن كورة تدمير وقد وصفها الإدريسى ونقل الحميرى نص كلامه بأنها مدينة صغيرة عامرة ، وبها سوق ومسجد وجامع ومنبر ويتجهز منها بالحلفا إلى جميع بلاد البحر ، وبها فواكه وبقل كثير وتين وأعناب . ولها قصبة منيعة جداً " وقد اضمحل أمر لقنت خلال النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى وتنافس عليها الطامعون فى عرض صاحبها أبو جميل زيان بن مردنيش على خامية الأول المعروف بالفاتح ملك أرغون بيعها إياه مع ميورقة فى مقابل ٥٠٠٠ بيزانت من الذهب (البيزانت نحو دينار) ولكن هذا رفض العرض لأن لقنت إقليما كانت من =

وسار إلى قرطبة وتوسع له الأمير فى الأرزاق والقطائع[١] ، وهكذا أخمدت الثورة فى سائر تلك النواحي بعد أن لبثت زهاء نصف قرن تستنفد قوى الأندلس ومواردها وتفتت فى عضدها وتعوقها عن الكفاح ضد عدوها الحقيقي المتربص بها ، ونعنى إسبانيا النصرانية[٢] .

الناصر وضم سرقسطة :

كانت سرقسطة أيام الدولة الإسلامية عاصمة الثغر الأعلى[٣] وكانت خلال القرنين الثاني والثالث الهجرى قاعدة لثورات المولدين على الإمارة الأموية كما سبق أن ذكرنا وبعد سقوط أسرة بنى قسى المولدين وانتهاء حكمهم وذلك من أوائل القرن الرابع الهجرى صارت سرقسطة مركزًا لسلطان بنى تُجيب[٤] من العرب ويجاورهم بنى الطويل المولدين[٥] .

= النواحي التى اتفق ملوك النصارى على أن تكون من نصيب ملك قشتالة . وقد استولى عليها فرناندو الثالث ملك قشتالة سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م بعد حصار قصر ولقنت اليوم عاصمة مديرية بحرية تحمل نفس الاسم تقع جنوبى مدينة بلنسية وشرقى مديرتى البسيط ومرسية وهى من أكبر موانى الأندلس العميرى: الروض المعطار ، ص ١٧٠ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

١ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٩٧ .

٢ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٩١ .

٣ - استعمل الأندلسيون اصطلاح " الثغور " للدلالة على حدودهم المجاورة لإسبانيا النصرانية ، فكانت فى الأندلس ثلاثة ثغور الأدنى وعاصمته طليطلة ثم قورية (العجى: تاريخ الأندلس ، ص ٣٨) ثم الثغر الأعلى وهو المنطقة الشمالية للأندلس حتى جبال البرتات وكانت سرقسطة قاعدة هذا الثغر الأعلى يمثل إقليمًا منها ، فهو المركز المواجه لإسبانيا المسيحية ، راجع (ابن سماك العاملى ، الزهرات المنشورة ، تحقيق محمود مكى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد ، مجلد ٢١ سنة ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، ص ٥٦ ، هامش رقم ١ ، أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ، ص ٢٠٦ .

٤ - هم أبناء عبد الرحمن بن عبد العزيز التيجى ، الذى اتصل بالأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨هـ/٢٧٣هـ) فولاه دورقة إحدى مدن الثغر الأعلى سنة ٢٦١هـ ووكل إليه محاسبة أسرة بنى قسى المولدة فى سرقسطة الثائر على الأمير وقد أبدى هؤلاء التجيبيون براعة فى حكم الثغر الأعلى حتى سنة ٤٣٠هـ . راجع ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ، ص ٧٩ ، العذرى : نوص عن الأندلس ، ص ٤١ ، ٤٨، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٣٠ .

٥ - بنو الطويل (أبو بنو شريط) نسبة إلى محمد بن عبد الملك الطويل بن عبد الله بن شريط ، الذى امتاز بطوله الفائق . وكان بنو شريط من أكبر أسرة فى منطقة الثغر الأعلى ، وبرز منهم محمد بن عبد الملك بن شريط المعروف بالطويل لطول قائمه وكان حفيد الشريط - ابن عم عمروس بن يوسف - وكان شريط=

وعندما تولى عبد الرحمن الثالث الإمارة الأموية ترك لهاتين الأسرتين مهمة حكم منطقة الثغر الأعلى غير مبال بما يحدث بينهما من صراع ، وكان يقف موقف المنتظر لما يسفر عنه الصراع ليولى كل متغلب على موضعه .

وقد اتبع الأمير عبد الرحمن هذه السياسة لبعد سرقسطة عنه ثم انشغاله بما يجاور قرطبة من ثورات كثورة طليطلة وثورة آل حفصون ، ومع هذا فقد ظل على اتصال دائم بسرقسطة يختبر أهلها وذلك بدعوتهم للمشاركة فى غزواته ضد نصارى إسبانيا ، وكان التجيبيون يسارعون لمساعدة الأمير ولم يترددوا فى ذلك (١).

وفى سنة ٣١٩هـ / ٩٢١م غير الخليفة الناصر سياسته السابقة مع سرقسطة وما يجاورها من مناطق الثغر الأعلى ، لأنه أصبح فى مركز قوى لا يخشى معه أى تهديد خارجى أو داخلى(٢) وأصبحت سرقسطة همه الوحيد فهى آخر معقل من معاقل الثورة فى الأندلس(٣) فى نفس الوقت كادت الثورة أن تستمر فى الثغرة الأعلي ذلك أن بنى هاشم التجيبين كانت تحدوهم أطماع كثيرة .

وكانوا يخشون عواقب السياسة التى يتبعها الناصر فى إخضاع الولاية المحلية وسحق سلطان الأسر القديمة ، وكان وجودهم فى الشمال بين الممالك النصرانية يفسح لهم مجال

= وعمروس غلامين ليعشون الأعرابى ثم التحق بخدمة مطروح الأعرابى كما سبق الذكر . وقد بدأ اسم شريط يشتهر فى عهد الحكم الأول حيث أظهر الولاء والإخلاص للأمويين وتولى حكم وشقة وكان عونًا لابن عمروس فى منطقة الثغر الأعلى ، راجع العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ٦٥ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم ٢ ، ص ٣٤٢ ، كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس فى العصر الإسلامى ، ص ٨٢ ، هامش ١٥ ، عن بنو الطرم راجع ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠٠ ، السامرائى : الثغر الأعلى ، دراسة فى أحوال السياة ، بغداد سنة ١٩٧٦م

Levi Provencal, Histoire, T-I, p. 393 .

١ – سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس ، ص ٦٨ .

٢ – العذرى : المصدر السابق ، ص ٤٢ ، يقول العذرى " وغزى محمد بن عبد الرحمن التجيبى " مع أمير المومنين عبد الرحمن صائفة سنة ثمانية وثلاثة مائة إلى جليقة وألية والقلاع وبنبلونة وغز معه اثنى عشرة وثلاثمائة " راجع العذرى ، نفس المصدر والصفحة .

٣ – سعد عثمان : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

التآمر والخروج ، فحينما توفى هاشم بن يحيى التجيبى الذى خلف والده فى حكم الثغر بمصادقة من الناصر وذلك فى ٣١٨هـ / ٩٢٠م طلب ولده محمد بن هاشم التجيبى إلى الناصر أن يقره على ولاية سرقسطة ، فلم يجب إلى ذلك ، فسار محمد إلي قرطبة مؤكداً لولايته ، فصدر الأمر بتوليته فى رجب ٣١٩هـ / ٩٢١م(١) والتزم بدفع الجباية ودام هذا الولاء نحو ثلاث سنوات وفى سنة ٣٢٢هـ / ٩٢٤م(٢) أبدى التجيبيون التمرد والعصيان وتخلفوا عن مشاركة الخليفة فى غزوته إلي نصارى الشمال فسار الناصر لقتالهم ولكن حصون سرقسطة المنيعة حالت دون اقتحامها ورأى التجيبيون الفرصة سانحة لتنفيذ مشاريعهم وطموحاتهم وكان راميرو ملك ليون بالرغم من ارتباطه بعهد السلم مع الناصر يرقب الفرصة لنكث العهد واستئناف الحرب ضد المسلمين فلما استغاث به محمد بن هاشم رأى الفرصة سانحة ، فنكث العهد وعقد حلف مه محمد بن هاشم التجبى وقريبه مطرف بن منذر التجبى صاحب قلعة أيوب(٣) ، وتعهد محمد لراميرو أن يعترف بطاعته ، نظير معاونته إياه فى الخروج على عبد الرحمن الناصر ومحاربته (٤)، مما دعا الخليفة إلى غزوة بنفسه سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٩م ، فأخضع جميع المعاقل والحصون التى يسيطر عليها التيجبيون قرطبة وأقام على حصارها القائد أحمد بن إسحاق القرشى ثم أردفه بالوزير عبد الحميد بن بسيل ليقوم بالتضييق على سرقسطة وابن هاشم وليدعم القوى السلطانية الرابطة علي مقربة منها ، وذلك ريثما يستطيع السير بنفسه إلي الشمال . ثم اتبعه بجيش آخر ، بعثه إلى الثغر أيضاً بقيادة الوزير سعيد بن المنذر العرش (٥)، ليقوم بالمعاونة فى التضييق على سرقسطة .

---

١ – العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ٤٤ .

٢ – العذرى : المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص٣٣٤ ، ص ٣٣٥ .

٣ – يصفها الحميرى بقوله " وهى مدينة رائعة البقة حصنة شديدة المنعة ، كثيرة الأشجار والثمار كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار وبها يصنع الغفار المذهب وهى تنسب إلى مؤسسها أيوب بن حبيب اللخمى والى الأندلس سنة ٩٧هـ ، وتقع شمال شرقى طليطلة وجنوب غربى سرقسطة ، وعلى مسافة ٥٠ ميلاً شرقى مدينة سالم منحرفة قليلاً إلى الشمال : محمد الناس : تحقيق الأعلام الجغرافى الأندلسية ، مجلة البينة العدد الثالث ، الرباط ، يوليو سنة ١٩٦٢ م ، الحميرى : الروضى المعطار ، ص ١٦٣ ، الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٨٩ .

٤ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، ق٢ ، ص ٤٠٥ – ٤٠٦ .

٥ – ابن حيان : المقتبس ، ص ٣٦٠ ، ٣٦١ .

وفى ٣٢٥هـ / ٩٣٧م خرج الناصر من قرطبة إلى مقاتلة أعدائه فى جيش ضخم وقد عقد العزم على فتح سرقسطة وإعادتها إلى الطاعة ، فاشتد فى حصارها حتى ضاقت حالها واضطرب أهلها [١]، فثاب الثائر وعاد إلى الساعة فعفا عنه الخليفة بعد طول عصيان وعقد له الأمان[٢] ودخل الخليفة سرقسطة فأمر بهدم سورها ، وأصلح أحوالها ، ثم عاد إلى قرطبة ومعه محمد بن هاشم فأنزله أكرم منزلة ، وعندما وثق فى طاعة أهل سرقسطة ، صرف إليها محمد بن هاشم واليًا من جديد[٣] .

وصارت سرقسطة ولاية تابعة للخليفة ، حتى سقطت الخلافة وبذلك انهارت ثورة التجبين فى الشمال ، وكانت من أخطر الثورات التى واجهها الناصر ، لأنها كانت مركزًا لتجميع القوى المعادية لخلافة قرطبة [٤].

وبانتهاء ثورة سرقسطة انتهت تلك الثورات العرمة التى اجتاحت الأندلس فى مطلع القرن الرابع الهجرى وكان للخليفة عبد الرحمن الناصر الدور الأساسى فى توحيد الأندلس والقضاء على تفرقها وتمزقها وصهر عناصر السكان المتعددة من جديد فى بوتقة واحدة ، بعد أن طغت الثورات السياسية على كل نواحى الأندلس وكانت ثورتهم منعطفًا خطيرًا نحو الفرقة والتمزق.

---

١ - العذرى : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

٢ - ابن حيان : المقتبس ، جـ٥ ، ص ٤٠٣ " أورد لنا ابن حيان حوادث فتح سرقسطة ، وعهد الأمان الذى أصدره الناصر لمحمد بن هاشم وقد أورد لنا أيضًا أسماء الشهود الذين وقعوا هذا الأمان من الأمراء والوزراء وأصحاب الخطط والموالى والفقهاء وغيرهم ، راجع : المقتبس : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحات ومابعدها ، راجع العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ٤٥ .

٣ - ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، العذرى : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

٤ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٣٦٢ .

الفصل السادس

الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر (المستنصر)

(٣٠٠هـ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١م - ٩٧٦ م)

اشتهر القرن الرابع الهجرى بحكم ثلاثة رجال هم « عبد الرحمن الناصر ، الحكم المستنصر والثالث لم يكن من البيت الأموى الحاكم ولكن كان كبير الحجاب وهو المنصور ابن أبى عامر(١).

---

١ - هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافرى ، أمير الأندلس فى دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله والغالب عليه ، أصله من الجزيرة الخضراء ولسلفه بها قدر ونباهة ، وقدم قرطبة شابًا فطلب بها العلم والأدب وسمع الحديث . وكان أبوه - أبو حنفى عبد الله - قد سمع الحديث أيضًا وكان عبد الله والد محمد المنصور من أهل الدين والزهد فى الدنيا والقعود عن السلطان ، وقد أدى الفريضة ، ومات منصرفًا من حجة بمدينة طرابلس المغرب .

- وكانت للمنصور همة ترمى به المرامى ، ويحدث نفسه بإدراك معالى الأمور فتم له مراده ، وكان أحد أعاجيب الدنيا فى ترميه والظفر بتمينة ، راجع ابن الأبار : الحلة السيراد ، جـ١ ، ص ٢٦٨ ومابعدها ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٦ وما بعدها ، ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام الشنتريني) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، المجلد الأول ، القسم الرابع ، القاهرة ١٩٤٥م ، ص ٢٤٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ص ٧٤ ، القاهرة ، سنة ١٩٥٦م.

تولى الخلافة بعد وفاة أبيه (٣٥٠هـ / ٦٩١م)(١) الخليفة الحكم المستنصر وقد جرى والده الخليفة عبد الرحمن الناصر على تدريبه على شئون الحكم ومسؤلياته قبل فاته(٢) .... ونال الحكم الثانى المستنصر شهرة تفوق شهرته فى عالم السياسة ، ذلك أن الحكم كان عالمًا محبًا للعلم مشجعًا للعلماء (٣). هذا وقد درج المؤرخون عند تناولهم لعهد الحكم المستنصر على العناية بناحية معينة من حياته وهى حبه للعلم وتشجيعه للحركة العلمية وإعطاء هذا الجانب الجزء الأكبر من وقته وجهده وكلهم فى هذا المعرض يلومون الحكم المستنصر على هذا الاتجاه وينسبون إلى هذا الاتجاه العلمى الانصراف عن شئون الحكم ويحملون الحكم مسئولية الأحداث التى وقعت بعد وفاته .

والحقيقة أن انصراف الخليفة الحكم إلى العلم لم يكن لمجرد حب فيه فقط وإنما كان عصر استقرار عظيم جنى ثماره فقد ترك له والده الخليفة عبد الرحمن الناصر بناء موطد الأركان ، فى الوقت الذى بدأت الخلافة تستقر هيبتها فى نفوس الناس .

هذا وقد أثبتت الحوادث أن الخليفة الحكم كان إداريًا كفء وكان مقدرًا لظروف بلاده والأخطار التى تحدق بها ولا ننسى أن الحكم تدرب على ولاية العهد فترة طويلة ولى الخلافة فى الأربعين من عمره وقد شارك أباه ظروف النجاح كلها (٤).

---

١ – الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٣ ، الضبى : بغية الملتمس : ص ١٨ هذا وقد أخذت له البيعة من أخوته وكبار رجال الدولة والوزراء وأكابر الفتيان والصقالبة وأكابر الجند ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٨٢ – ص ٣٨٧ ، وأزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض : تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٤٠م ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٨٦ .

٢ – لم يكن الخليفة الحكم المستنصر حين ولايته ، محدثًا شئون الحكم ، بل لقد مارسها فى حياة أبيه ، وكثيرًا ما ندبه أبوه لمباشرة المام الخطيرة ، فكان عند جلوسه أميرًا مكتمل النضج والخبرة . راجع عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، القسم الثالث ، ص ٤٨٣ .

٣ – يقول ابن سعيد كان " أى الحكم " حسن السيرة ، جامعًا للعلوم ، محبًا لها ، مكرمًا لأهلها ، وجمع من الكتب فى أنواعها ما لم يجمعه أحد من ملوك الأندلس قبله ، وذلك بإرساله فيها إلى الأقطار واسترائه لها. بأعلى الأثمان وقيل أن عدد الكتب التى اجتمعت فى خزائنه أربعة وأربعون ألف مجلد ، فى كل فهرست مها عشرون ورقة ، ووجه لأبى الفرج الأصفهانى ألف دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الأغانى ، وباسمه طرز أبو على القالى كتاب الأمالى وعليه وعليه وفد فلمحد وفادته ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٨٦ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٨٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

٤ – حسن محمود : تاريخ الغرب الإسلامى .

لما بويع الحكم بالخلافة سار على نهج أبيه ونفذ سياسته وقام بمسئوليته كاملة وباشر مهام الملك أحسن مباشرة(١)، حتى ليذكر بعض المؤرخين " أنه لم يعدم من الناصر إلا شخصه"(٢).

ولكن ثمة تطور آخر طرأ على الحياة السياسية فى عصر الحكم المستنصر ذلك أن الحكم اعتمد فى إدارة شئون دولته إلى الوزراء والقادة ورجال الدولة وكان الحاجب المصحفى(٣) مفوضًا فى شئون الدولة كلها ، وبدأت تظهر فى الأندلس طبقة من كبار الموظفين فاتسع نفوذهم على عكس ما كان عليه الحال أيام الخليفة الناصر الذى جمع كل السلطة فى يده ، فكان الناصر شديد المركزية فى حكمه ، والواضح أن ظهور مثل هؤلاء الموظفين الكبار يكون دائمًا على حساب السلطة المركزية . وكان ذلك بداية الوهن الذى بدأ يتسرب إلى سلطان الخلافة الأموية فى الأندلس .

ثم تطور آخر كان له أسوأ الأثر فى زوال الخلافة الأموية فى الأندلس . ذلك أن الخليفة الحكم شعر فى أواخر عهده ، بأعراض المرض والضعف(٤) تدب إليه ، فعقد العزم على تأمين ولاية العهد لولده الطفل هشام وتم ذلك فى شهر جمادى الثانية سنة ٣٦٥هـ / ٥ فبراير سنة ٩٧٦م حيث جلس الحكم بقصر قرطبة ، وأعلن عزمه فى تقليد ولده هشام عهد الخلافة يقول

---

١ - يقول نقلاً عن ابن خلدون " ولأول وفاة الناصر طمع الجلالقة فى الثغور فغزا الحكم المستنصر بنفسه ، واقتحم بلد فرناندو بن غند شلب fernande Gonzalo فنازل شنت اشتبيت san Esteban وفتحها عنوة واستباحها ، وقفل ، فبادروا إلى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ... " المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٤٤ ، ابن عذارى ك البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٣٦.

٢ - المقرى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

٣ - هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسبلة القيسى الملقب بالمصحفى . من الشعراء الأندلسيين المجيدين فى أكثر فنون الشعر ولى جزيرة ميورقة أيام الناصر ، ثم استوزره المستنصر وغدا من أعظم رجال بلاطه وحاجبه وبعد وفاة المستنصر استولى ابن أبى عامر على السلطة ، اعتقل المنصور جعفر الذى استعطفه دون جدوى ، كما صادر المنصور كافة أملاكه وأمواله ، ثم قتله ٣٧٢هـ / ٩٨٢م ، راجع ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، ص ٣٠ هامش رقم (١) ، راجع المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٩٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .

٤ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، الكتاب الثانى (القسم الثالث) .

ابن عذارى[1] (وفيها " أى ٣٦٥هـ" كان الإعلان ببيعة أبى الوليد هشام ابن الحكم ، وأن تؤخذ له من الخاصة والعامة بقرطبة وسائر كور الأندلس وما إلى طاعته من بلاد الغرب . وذكره فى الخطبة لى المنابر فى الجمعة والأعياد ، وذلك مستهل جمادى الأخرى) وأخذت البيعة بالفعل من الحاضرين ، وأخرجت كتبها لسائر الخاصة والعامة . (وتولى أخذها على الناس وفق مراتبهم) ، ويذكر عبد الله عنان أن ابن حيان نعى على الخليفة الحكم هذه السياسة فى اختيار ولده الطفل لولاية العهد فيقول على ما وصف به الحكم من رجاحة العقل " كان ممن استهواهم حب الولد ، والإفراط فيه ، وخالف الحزم فى توريثه الملك بعده ، فى سن الصبا دون مشيخة الأخوة وفتيان العشيرة ، ومن يكون للإمامة بلا محاباة ، فرط هوى ، ووهلة انتقدها الناس على الحكم ، وعدها الحانية على دولته ، وقد كان يعيبها على ولد العباس قبله ، فأتاها هو مختار ولا مرد لأمر الله "[2].

أصيب الخليفة الحكم بعد ذلك بقليل بشلل اقعده عن الخروج والحركة ، وتولى تدبير الشئون خلال مرضه وزيره جعفر بن عثمان المصحفى ، ثم توفى بعد ذلك بأشهر قلائل ، فى اليوم الثانى من صفر ٣٦٦هـ / ٣٠ سبتمبر ٩٧٦م[3].

تركت وفاة الحكم بن عبد الرحمن أثرًا عميقًا فى الحياة الأندلسية فى ذلك الوقت - فقد كان ابنه وولى عهد هشام ما زال طفلاً لم تزد سنة على عشرة أعوام وأشهر .

وانقسم رجال الدولة إلى فريقين - فريق العسكريين من الصقالبة الذين رأوا فى هشام طفلاً لا يمكن أن يعطى البلاد حاجتها من الوحدة القومية ولا يمكن أن يفرض طاعته عبر الحدود وكان يعز عليهم وهم جند الدولة الذين خاضوا غمار حروب كثيرة أن يروا أمرهم يوكل إلى طفل يدير أمره مدنيون من رجال الحكم [4] . فاستقر رأيهم على أن لا تكون البيعة

---

١ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٤٩ .

٢ - راجع عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، الكتاب الثانى (القسم الثالث) ص٥١٠ ، راجع ابن حيان : المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢١١ وما بعدها ، ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ٤٠ .

٣ - الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢١ ، الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٦ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٩٦ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج-١ ، ص ٢٠٠ ، ابن عذارى : البيان المغربل ، جـ٢ ، ص٢٥٣ .

٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٦٠ .

لهشام[١] إنما تنقل الخلافة إلى المغيرة بن عبد الرحمن عم هشام فهو فى نظرهم أصلح من يتولى الملك فى هذه الظروف[٢].

أما فريق المدنيين وعلى رأسهم الوزير المصحفى فقد رأوا التمسك ببيعة هشام ليس تمسكًا منهم بشرعية التولية إنما حرصًا منهم علىَ الحكم .

واختصم الحزبان وأصبحت البلاد على شفا حرب أهلية طاحنة تعيد البلاد إلى الحرب الأهلية المخيفة ونتائجها المدمرة التى سبقت ظهور عبد الرحمن الناصر ، لولا أن كتب النصر لجماعات المدنيين ودبرت مؤامرة اغتيل فيها المغيرة[٣] واستقرت الأمور للخليفة الطفل هشام .

هشام الثانى المؤيد وبداية الوهن (سقوط الخلافة) ٣٦٦هـ - ٣٩٩هـ :

وهكذا خلف هشام والده الحكم بن عبد الرحمن (الناصر) ولقب بالمؤيد[٤] وقدر لهذا الخليفة الذى كانت خمايله تبشر بالذكاء وحسن الرأى أن يقضى مدة خلافته مسلوب السلطة والسلطان .

ذلك أن انشغال الحكم بالكتب وتجليدها وتركه السلطة الإدارية إلى حجابه ووزرائه ، أتاح الفرصة لكبار رجال الدولة ونساء القصر كذلك إلى التدرج فى النفوذ والسلطان كما سبق أن ذكرنا فحين توفى (الحكم بن عبد الرحمن) كانت زوجته السيدة صبح « أم الخليفة هشام » هى صاحبة النفوذ الفعلى فى الدولة وكان من صنائعها شاب قدر له بعد حين أن يكون أبعد منها نفوذًا أو سلطانًا ذلك هو محمد بن أبى عامر " الذى عرف باسم المنصور " [٥].

---

١ - حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى .

٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٩ ، ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأولى ، ص ٤٠ ، ٤١ .

٣ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٦١ ، ابن بسام : الذخيرة ، نفس المصدر ، القسم الرابع ، المجلد الأول .

٤ - ابن عذارى : جـ٢ ، ص ٢٥٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٤٣ .

٥ - عن نفوذ المنصور ابن أبى عامر وسلطانه ، راجع : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٠٠ وما بعدها ، ابن عذارى ك البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٣ - ٣٠١ ، ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ٤٠ - ٤٧ ، ص ٥٣ - ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ص١٨٤.

وهكذا تمت البيعة لهشام واتخذ الخليفة هشام المؤيد جعفر المصحفى حاجبًا له ، كما عين محمد بن أبى عامر فى خطة الوزارة[١] وجعله معاونًا للمصحفى فى تدبير دولته[٢] وبذلك أشرك ابن أبى عامر فى تولى السلطة المباشرة مع المصحفى ولم يعترض أحد من رجال القصر والدولة على ذلك الاختيار ، سوى الحاجب جعفر ، فقد كان يرى فى هذا التعيين انتقاصًا لسلطته ونكرانًا لجميله بعد أن حمل أعباء السلطة كلها دهرًا وكان يرى فى ابن أبى عامر بالأخص منافسًا يخشى بأسه ، ويرتاب فى نياته وأطماعه ، ومن ذلك اليوم يضطرم بين الرجلين صراع عنيف صامت لم يكن ثم شك فى نتيجته وكان ابن أبى عامر هو الأقوى بلا ريب ، سواء بمواهبه وقوة نفسه أو بموازرة السيدة صبح والدة هشام المؤيد ، التى رأت فيه الرجل القوى الذى يستطيع أن يحمى ولدها الفتى وأن يوطد الأمن والسلام فى المملكة وكان ابن أبى عامر فى الواضح هو السيد المطلق خاصة بعد أن تولى ابن أبى عامر الوصايا على الخليفة الطفل هشام[٣] وكانت صبح تفوض إليه كل سلطة وكل أمر ، فكان يدير الشئون كلها بمهارة[٤] وكان الخليفة هشام المؤيد بالله ميالاً بطبيعته وسنه إلى اللهو والدعة ولم يكن له شىء من تلك الخلال الرفيعة التى تهيئ الأمير للاضطلاع بمهام الملك ، فكان يلزم القصر والحدائق ويقضى كل أوقاته فى اللهو واللعب بين الخصيان وآلات الطرب ، وكان ابن أبى عامر وصبح يشجعان هذه الميول السيئة فى نفس الأمير [٥].

يقول دوزى : أنهما كانا يريانها ملائمة لمقاصدهما [٦].

---

١ – ابن عذارى : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٤ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٩٩ .

٢ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ .

٣ – ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص٥٨ ، ويذكر ابن بسام أن الحكم تخطى ثلاثة رجال هم إخوته عبد العزيز والأصبغ والمغيرة ، وكلهم أقوياء وذكروا أن السبب فى ذلك أن رجلاً يتكلم فى الحدثان قال " لا يزال ملك بنى أمية بالأندلس فى إقبال ودوام ما ثوراته الأبناء عن الآباء فإذا انتقل إلى الأخوة وتوارثوه بينهم فقد أدبر وانصرف ، ابن بسام : الذخيرة مجلد (١) قسم ٤ ص ٤٠ .

٤ – عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، الكتاب الثانى القسم الثالث ، ص ٢٥٤ – ٥٢٥ .

٥ – عنان : المرجع السابق ، نفس الكتاب والقسم ، ص ٥٢٥ .

6 - Dozy : Histoire Jes Uwsulmans d'Espagne Jusque a'La Conyutea des Almravids (ed levi Provencal 1932) .

هذا وكان طموح المنصور ابن أبى عامر لا يعرف حدوداً أو يعبء بولاء لأحد أو حتى بمبادىء الأخلاق ، فأخذ ابن أبى عامر يدبر المؤامرات لمنافسة جعفر المصحفى[١] حتى نجح فى الإطاحة بالحاجب جعفر حيث حقد عليه الخليفة هشام المؤيد وقام بعزله من منصبه[٢] وأصبحت مقاليد السلطة كلها فى يد المنصور بعد أن نجح فى القضاء على منافسة جعفر المصحفى، مستعيناً بالقائد غالب[٣]، أكبر قواد الأندلس ... ولم يكد يتم له ذلك بدأ يتخلص

---

١ - أمعن المنصور ابن أبى عامر فى التخلص من منافسة جعفر المصحفى وكان بين المصحفى وأبي تمام غالب الناصرى صاحب مدينة سالم وفارس الأندلس الذى لا يبارى ، كما يقول ابن الخطيب ، أشد ما كان بين اثنين من العداوة والمباينة ، فرأى محمد بن أبى عامر أن يتقرب إلى غالب ويستعين به على إسقاط المصحفى ، فإذا ما تخلص من منافسة الأول ، أنقلب على غالب وقضى عليه بدوره . هذه هى السياسة إن دلت على شىء فعلى عظم دهاء ابن أبى عامر وعلى اعتماده على الحيلة والمكر والخديعة فى تحقيق مآربه ، تمهيداً للوصول إلى أرفع مناصب الدولة : راجع ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦٩ وما بعدها ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٢٨ يقول ابن عذارى : " وانبرى إلى المصحفى بصدر كان قد أوغره ، وجد سام طال ما استقصره ، فأباده ونكبه وسلب جاهه وانتهبه واقتص من تلك الإساءة وأغص حلقه بكل مساءة ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٦ .

- عن تفاصيل تخلص ابن أبى عامر من منافسة جعفر المصحفيى وقتله راجع ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٦ ومابعدها ، الفتح ابن خاقان : مطمع الأنفس ومسرح التأنس فى ملمح أهل الأندلس ، قسطنطينية ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م ، ص ٤ - ٨ .

٢ - ابن بسام : الذخيرة ، قسم ٤ مجلد (١) ص ٤٧ ، ٤٨ ، ص ٥٠ ، ٥٣ .

٣ - هو أبو تمام غالب الناصرى وصاحب مدينة سالم بالثغر الأدنى وشيخ الموالى قاطبة وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع ، وكان الوزير أبو جعفر المصحفى قد أساء معاملته عندما تولى الحجابة لهشام المؤيد ، رغبة منه فى الانفراد بالسلطة ، فأضطربت أحوال الثغر نتيجة للمنافسة بين الرجلين ، وكان هذا من الظروف التى استغلها محمد بن أبى عامر للوصول إلى السلطان ، وقد سلك إليه طرقاً ملتوية تقوم على الاحتيال على الرجال والإيقاع بينهم ، فاستعان بغالب على جعفر المصحفى ، فاستصدر أمراً من هشام المؤيد برفع غالب إلى خطة الوزارتين ، أى وزارة السيف ووزارة القلم ، أى أنه أصبح وزيراً وقائداً أعلى واتفق معه على أن يدبر ابن أبى عامر جيش الحضرة ويدبر غالب جيش الثغر ، ثم صاهره ، فتزوج من ابنته أسماء وبمعونته قضى على جعفر امصحفى ثم سعى بعد ذلك فى القضاء على غالب باستقدام جعفر بن على بن حمدون ، المعروف بابن الأندلسى وكان شيخاً من شيوخ زناته الموالين لبنى أمية الأندلسيين ، وكان يقوم بأمره العدوة واستوزره وولاه القيادة ، وشعر غالب بغرض ابن أبى عامر ويبدو أنه استعان =

من غالب نفسه(١) وكان قد تزوج من ابنته ولكن حتى هذه الصلات لم تحل دون تدبير اغتياله وبهذا تخلص من أكبر عدون له ، الحاجب المصحفى والقائد غالب ، ثم استدار لصقالبة القصر فتخلص منهم وشردهم بل امتد طموحه إلى شخص هشام المؤيد نفسه فحجر عليه وحال بينه وبين الناس وانفرد بالأمر فى الدولة كلها (٢).

أدركت السيدة صبح أم الخليفة هشام خطورة السياسة التى ينتهجها المنصور بن أبى عامر تجاه ابنها هشام والأسرة الأموية كلها ، فبدأت تدبير المؤامرات للإطاحة به ، فقامت بجمع ثمانين ألف دينار ذهبًا وفضة للاستعانة بها ضد الحاجب المنصور(٣) .

غير أن ابن أبى عامر علم بما تدبره له السيدة صبح فأسرع بإرسال ابنه عبد الملك على رأس قوة من الجند استولت على هذه الأموال(٤) .

وهكذا سيطر المنصور على رسوم الخلافة(٥) حتى أصبح القوة الوحيدة فى العاصمة بل أراد أن يمتد سلطانه إلي صميم الدولة نفسها فى العاصمة والأقاليم(٦).

استطاع المنصور ابن أبى عامر كذلك أن ينشر نفوذه فى الجيش الأندلسى نفسه ليصبح أداة من أدواته خاضعًا لمشيئته يحمى سلطانه وينفذ مأربه ولتحقيق ذلك أدخل تطورًا خطيرًا فى تكوين الجيش الأندلسى التقليدى - وسيكون هذا معول هدم فى تاريخ الأندلس - فقد كان هذا الجيش يتألف من عدة طوائف منها أجناد العرب الذين يفدون من أقاليم الدولة كلما وضحت الحاجة إليهم وكانوا فى الحقيقة عصب الجيوش وروحه المعنوية ثم طائفة ثانية من

= بالنصارى للدفاع عن نفسه ، ولكنه قتل فى معركة بين رجاله ورجال ابن أبى عامر . راجع ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦٩ وما بعدها ، وراجع : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢١٦ ، هامش رقم (١) ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٦٢ - ٢٧٩ .

١ - ابن الأبار : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٦٢، ٢٧٩ .

٢ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٦٢ ، ابن بسام : الذخيرة ص ٤٣ .

٣ - ابن بسام : الذخيرة ، ص ٥٢ .

٤ - ابن بسام : الذخيرة ، ص ٥٣ - ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٤٨ .

٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٧٥ ، حسن محمود : تاريخ الغرب الإسلامى .

٦ - ابن بسام : الذخيرة ، نفس الجزء ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

المرتزقة من الصقالبة أو غيرهم وكان هؤلاء فى الحقيقة هم القوة الضاربة ولكن كانت تنقصهم الروح المعنوية والإيمان بالحرية التى لابد منها لكى يكون الإنسان جنديًا وطنيًا ، ثم الطائفة الثالثة وهم المطوعة وكانوا فى الغالب حشوداً غير منتظمة تتقدم الجيش وتقوم ببعض الأعمال العسكرية الهامة وفى الغالب كان القواد يلقون بهم فى المراكز الخطرة أو يجعلونهم فى الطليعة .

وقد بدأ المنصور بإبعاد العرب عن الجيش فكأنه فى الحقيقة أفقد الجيش روحه المعنوية وقوته الضاربة الحقيقة . واستعاض عنهم بالمرتزقة والنازحين من البربر ثم امتدت يديه إلى الطائفة الثانية فأبعد الصقالبة القدماء وشتت شملهم من القصر الخلافى(١) وولى صقالبة غيرهم ممن يرضاهم هو ، عرفوا باسم الفتيان أو المماليك العامرية (٢)، وكأنه بذلك أبعد طوائف من العسكريين كانوا قد اتقنوا القتال وعرفوا أساليبه وأتى بجماعات جديدة كانت تحتاج إلى فترة طويلة من التدريب لتصل لنفس المستوى (٣).

هذا بالإضافة إلى أن ولاءهم مأجور ، وهؤلاء إحساسهم بالوطن واهن ، ولم يكن للقاعدة العريضة من الجماهير دور طليعى ، بل مجرد مادة مهيأة للثورة ، حين يبلغ السوء مبلغه ، وتنحدر الحال إلى قدر لا يحتمل ، وهو ما حدث بعد ذلك أيام الفتنة كما سنرى .

توفى الحاجب المنصور (٤) (٣٩٢هـ / ١٠٠٢م) وتولى منصب الحجابة من بعده ابنه عبد الملك(٥) ولقب بسيف الدولة وبالمظفر(٦) .

---

١ – ابن بسام : الذخيرة ، ق٤ ، جـ١ ، ص ٤٤ .

٢ – ابن الخطيب : أعما الأعلام ، ص ؟؟؟

٣ – حسن محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، ص ؟؟؟ .

٤ – يعلق كل من دوزى وبروفنسال على وفاة الحاجب المنصور بقولهما " مات المنصور ودفن فى النار " .
Levi Provencal , Histoire de L'Espagne T. II, p. 120 - 283, Dozy : Histoire de L'Espagne T.II, p. 120 - 283 ; Dozy : Histoire des Musulamns, d'Espagne, T.II, 265 .

– راجع : سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٢٨ ، عبد الحميد العبادى : المجمل فى تاريخ الأندلس ، ص١٥٣ .

٥ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٣ ، ابن الخطيب ، ص ٨٠، ٨١ ، " لما علم هشام بموت ابن أبي عامر استقدم ابنه عبد النلك وأمره بقمع حركة الفتيان الصقالبة الذين استغلوا هذه الفرصة فثاروا يستعيدوا نفوذهم القديم ، راجع ابن بسام : الذخيرة ، ص ٥٩ .

٦ – المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ٩٠، ٩١ ، ابن عذارى: المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

ورث عبد الملك كثيراً من صفات والده فاستوثق له الأمر واجتمع الناس عليه لعدله وإنسانيته وحمايته للشرع فقد تقرب إلي قلوب الناس بأن أسقط سدس الجباية على البلاد[١].

هذا وقد اتبع عبد الملك خطة أبيه فى اصطناع البربر من العدوة واستخدامهم فى جيشه حتى أصبحوا فى أواخر عصر الخلافة قوة هائلة[٢] ستكون معول هدم للخلافة الأموية فى الأندلس .

كذلك سار عبد الملك على نفس سياسته أبيه من الاستبداد بالسلطة والحجر على الخليفة هشام المؤيد ، فكان هذا مظهراً من مظاهر ضعف الخلافة الأموية وقتذاك .

هذا ومما زاد من ضعف الخلافة الأموية فى الأندلس ، تقلد عبد الرحمن ابن محمد بن أبي عامر الذى تولى منصب الحجابة بعد وفاة أخيه عبد الملك سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م ولاية العهد[٣] فخرج شنجول ، يزعم أن الخليفة نص على توليه عهده صراحة ، وأنه اختاره للخلافة دون بنى عمه ونويه ، إذ ليس له ولد يؤمل خلافته[٤] ، وفى اليوم التالى استدعى طبقات أهل قرطبة وأجلس لهم الخليفة هشام وأشهدهم فيما أمضاه من الولاية ، وأخرج كتاباً قرئ بحضرته[٥] من إنشاء كاتب الرسائل أبى حفص أحمد بن برد[٦] وقد هز هذا العمل الأندلس هزة عنيفة أدت إلى وقوع الفتنة وانتشار الفوضى وزوال السلطة العامرية .

ولم يغفر الأمويون لبنى عامر استبدادهم وحجرهم على الخليفة هشام المؤيد فسخط العامة والخاصة لتوليه عبد الرحمن المسمى شنجول ولاية العهد [٧].

---

١ – ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٩٧ .

٢ – ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

٣ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٣٨ .

٤ – سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٤٤ .

٥ – راجع نص هذا الكتاب فى ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٤ ، ٤٦ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٩٠ ، ٩١ .

٦ – هو أحمد بن برد أبو حفص الوزير الكاتب المعروف بابن برد الاكبر تميزاً له عن حفيده ابن برد الاصغر وكان الجد رئيساً مقدماً فى الدولة العامرية توفى ٤١٨هـ ، راجع الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١١١.

٧ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، .. Dozy : Spanish Islam, pp. 539 , 540.

سار عبد الرحمن على سنة أبيه وأخيه فى الاستبداد بالسلطة والحجر على الخليفة هشام المؤيد ، فقد كان عبد الرحمن شنجول فاجراً كثير المجون ، مجاهراً بشرب الخمر(١) ، وهكذا حفر شنجول قبره بنفسه(٢) ، إذ أن فكرة اغتصاب الخلافة من أسرة بنى أمية فى حد ذاتها كانت وحدها كفيلة بإثارة أهل الأندلس عليه ، ولم يتوارد إلى ذهنه أن أبا منصور ابن أبى عامر أو أخاه عبد الملك المظفر لم يفكر أحدهما قط فى اغتصاب الخلافة ، رغم أعمالهما العظيمة ومآثرهما العديدة وإمكانياتهما المتوفرة فى الظفر بها وكانت النتيجة وابلاً عليه فقد أدى هذا التحول الخطير فى سياسة عبد الرحمن شنجول إلى اندلاع نيران الثورة فى الأندلس - فقد أثار هذا الاعتداء حفيظة الأندلسيين الذين كانوا يؤثرون أن يحكمهم خليفة وأن يتعاقب الخلفاء من أسرة واحدة ، كما أغضب الأمويين الذين عز عليهم تحول ملك آبائهم عن بنى أمية إلى بنى عامر لذلك رفعوا راية العصيان على عبد الرحمن شنجول(٣) ومضوا إلى الخليفة (هشام المؤيد) وحتموا عليه أن يقبض على زمام الأمور بيديه الضعيفتين وقد صعب على هشام المؤي أن ينتزع فجاة من عزلته فى قصره بعد أن قضى فيها ثلاثين عاماً سجيناً مغتبطاً بسجنه فتوسل إليهم ألا يطلبوا منه المستحيل غير أنهم أصروا على ما يطلبوا فأطاعهم على الرغم منه بيد أنه حين ظهر للناس جميعاً أن هذا الرجل كان أضعف طفل طلبوا إليه أن يعتزل ، فقام الأمير الأموى محمد بن هشام بن عبد الجبار " فتى بنى أمية بالدعوة لنفسه(٤) منتهزاً غياب الحاجب عبد الرحمن شنجول سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م عن قرطبة فى إحدى غزواته(٥) فثار مع نفر من أصحابه وقاموا بالاستيلاد على مقاليد السلطة واستولوا على قصر الخلافة بقرطبة ، وأرسل الأمير الأموى محمد بن هشام بن عبد الجبار إلى الخليفة

---

١ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٤٧ .

٢ - سالم : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .

٣ - المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٦ .

٤ - الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٩ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٧٠ .

٥ - يذكر ابن الخطيب أنه لما تحرك (أى عبد الرحمن شنجول) إلي الغزو سنة ٣٩٩هـ نصحه فتاه الأكبر فى ترك الغزو وخوفه من اضطراب الناس عليه ، ونقل إليه عن بعض المروانيين بصيحة فى محاولة رجل منهم للقيام عليه واستجاب عدد كبير من الجند إليه ، فأعرض عبد الرحمن عما ذكره فتاه واستهان به : "والله لو اجتمع بنو مروان إلى مرقدى وأنا نائم ما أيقظونى " ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٢ .

هشام المؤيد يأمره بخلع نفسه فاستجاب له الخليفة هشام(١) وتنازل له عن الخلافة بعد أن مكث فيها ثلاث وثلاثين عامًا وبضعة أشهر فقام الفقهاء والوزراء بمبايعة الأمير محمد بن هشام الذى تلقب بألقاب الخلافة وحمل لقب المهدى "(٢) ولم يتخل أحد عن بيعته(٣) . ولما علم شنجول ببيعة المهدى بالله عاد من غزواه فى الشمال وكان كلما اقترب من قرطبة انفض عنه جماعة من جيشه حتى صار فى قلة من أصحابه ... وقبضت عليه فرقة من جيشه وقطعت رأسه(٤) وحملوها إلى المهدى وبذا زالت السلطة العامرية إلى غير رجعة(٥) والمدة الباقية من العصر الأموى بالأندلس تعرف بعصر الفوضى ومن اسمها نستطيع أن ندرك ما أصاب البلاد من ثورة وفتنة ففى المدة من ٣٩٩هـ ٤٢٢هـ / ١٠٢٩م تولى أمر الأندلس عدد من الخلفاء الأمويين يزيد على عدد من تولى منهم خلال القرون الثلاثة الماضية وهذا يدل دلالة واضحة عن مدى ضعف وهيبة الخلافة وانقسام البلاد وتفككها وظهور العنصرية بشكل واضح فهناك البربر والصقالبة والأندلسيين من أهل قرطبة ، وأسرة بنى حمود التى قدمت من إفريقية فى تلك الفترة :

هذا وقد اعتمد الخليفة المهدى فى بناء دولته الجديدة علي أرذال العامة واستوزر رجالاً من الطبقة الدنيا عارض بهم أجناد الدولة ، أهل الدربة والحنكة ، وقد استبد هؤلاء العوام ، وركبهم الغرور فأساءوا إلى قواد الجند ووجوه الناس ولم يميزوا بين أعلاهم وأدناهم (٦).

---

١ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، جـ٣ ، ص ١١١ : ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٥ ، ٦ .

٢ - نسبة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، (لقبه) المهدى (وكنيته) أبو الوليد ، (أمه) أم ولد اسمها مزنة ولقبها كبارة وتعرف بالعرجاء لخلع كان بها ، ولقب نفسه بالمهدى ولقبته العامة ، المنقفش لهشاشته وطيشه وخفته وهو كان باب الفتنة وسبب الشقاق والنفاق (عمره) ثلاث وثلاثون سنة، (خلافته) ولى مرتين الأولى يوم خلع هشام بن الحكم الثانى يوم قيامه يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وانخلع لسليمان بن الحكم فى النصف من ربيع الأول سنة أربعمائة ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٥٠ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٦.

٣ - ابن عذارى : المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص٥٣ ، ٦٤ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، جـ٣ ، ص ١١١ وما بعدها .

٤ - المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٦ .

٥ - المقرى : المصدر السابق ، جـ١ ، نفس الصفحة .

٦ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

وزاد الأمر سوءًا حين عمد الخليفة المهدى إلى الإساءة إلى البربر والبطش بهم أينما وجدوا مما زاد من حنقهم عليه وكرههم الشديد له فكانوا يضمرون له الشر ويترقبون الفرصة المتاحة للخروج عليه ، وفى ذلك يقول بعضهم [١].

قَـدْ قَـامْ مَـهْـدِيُّنا ولكنْ ‏ بمِلّة الفسق والمُجُونِ

وشـارَك الناسَ فى حـريمٍ ‏ لولاه مـا زال بالمصُونِ

مَنْ كان من قبلِ ذا أجّـمـا ‏ فاليومَ قد صار ذا قُرُونِ

كذلك عهد الخليفة المهدى إلى إخراج حوالى سبعة آلاف جندى من الجيش وأمر بقطع أرزاقهم[٢] وإسقاطهم من ديوان العطاء .

وهنا بدأت النفوس تنحرف عن طاعته ، وازداد الأمر سوءًا عقب كتابه واضح العامرى[٣] إليه بالطاعة من طليطلة ، فزاد هذا من جبروته وأخرج الخليفة المؤيد من قصره وأسكنه ببعض دور الملك ، وأحضر للناس رجلاً ميتًا قيل إنه يهودى أو نصرانى وزعم أنه هشام المؤيد ، وشهد الوزراء والعدول على ذلك [٤]، وكان هشام بن سليمان الناصر وهو والد سليمان ولى العهد قد حقد على محمد بن هشام لاستهتاره وسوء خلقه ، يقول ابن عذارى[٥] " وكان حمد بن هشام بن عبد الجبار قد أظهر من الخلاعة والضعف ... واستعمل له من الخمر مائة خابية واستعمل له مائة بوق للزمر ومائة عود للضرب واشترى له صقلى كان يتعشقه " فأخذ يدبر لخلعه فأقام له معسكرًا بفحص السرادق[٦] خارج قرطبة ، وتلقب بالرشيد[٧] ، وانضم إليه

---

١ – المقرى : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

٢ – ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٢ – ١١٣ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٧٥ ، وكان هؤلاء الجند من الفتيان العامريين فاستقروا بشرق الأندلس .

٣ – ويسمى الفتى واضح وهو أحد القواد الصقالبة فى الدولة العامرية وكان يلى مدينة سالم والثغر الأوسط كله ، راجع : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٧٦ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٧٧ .

٥ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٧٩ ، ص ٨٠ .

٦ – هو أحد متنزهات قرطبة المشهورة ، يذهب إليه الناس لتنزه والتسرية عن النفس " راجع سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٤٩ هامش ١ .

٧ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٨٢ .

جماعة من الحاقدين على الخليفة المهدى وعلى رأسهم البربر[١] ، أما العامة فتعصبوا للمهدى ونشبت بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة هشام بن سليمان وبعض رجاله وقام المهدى بقتلهم جميعا[٢] واشتعلت بذلك نيران الفتنة بقرطبة بين البربر والعامة من الأندلسيين وشجع الخليفة المهدى بن عبد الجبار العامة على تقتيل البربر أينما وجدوا ، فقامت مذبحة بشعة قتل فيها عدد كبير من البربر واضطروا إلى الخروج من قرطبة إلى الثغر[٣] .

وكان ممن فر من بنى أمية عقب مقتل هشام بن سليمان ابن أخيه سليمان ابن الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، فالتف حوله البربر ورشحوه لتولى الخلافة مكان المهدى وبايعوه ولقبوه بالمستعين بالله [٤] ونظرًا لقلة جند سليمان من البربر فقد استعان بالجند المرتزقة من نصارى الشمال واستطاع أن يهزم المهدى وجنده فى موقعة فنيش[٥] وأن يدخل قرطبة فى ربيع الأول

---

١ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، جـ٣ ، ص ٢٦١ .

٢ – الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٠ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٨٤ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٢٧ .

٣ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٨١ ، ٨٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣١ : Levi Provencal, Histoire, T, II, p.307 .

٤ – الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٠ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٥ ، ابن عذارى : نفس المصدر: جـ٣ ، ص ٥١ ، . Dozy : Spanish Islam, pp. 550 - 551

٥ – هو موضع إلى شمال شرقى القُليعة Alcalea غير بعيد من ملتقى وادى أرصلاط Gualmellato المعروف بالوادى الكبير ، وتعتبر موقعة قنتيش من المعارك الحاسمة ، فقد كانت أولاً قاضية على خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدى وعلى كل أمل فى إعادة الخلافة الأموية ، وكانت ثانيًا مؤكدة لانقسام العسكر الأندلسى إلى قسمين رئيسين متعادين البربر فى ناحية والأندلسيين فى ناحية أخرى وقد انهزم فيها محمد بن عبد الجبار المهدى والأندلسيون هزيمة قاصمة وانتصر البربر تؤيدهم فرقة من النصارى يقودها الكونت سانشو غرسيه ودخلوا قرطبة وعاثوا فيها وبعد ذلك مباشرة شعر حكام النواحى الأمل فى إعادة السلطة المركزية ، فبدأ كل منهم يستقل بناحيته ، لهذا فإننا نستطيع اعتبار تاريخ هذه المعركة وهو ١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ / ٣ نوفمبر ١٠٠٩م المبدأ الحقيقى لفترة الطوائف ، راجع : ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٦ .

Levi Provencal. Hist de L'Espagne Musalman, II, 810, et. n. I.

سنة ٤٠٠هـ / نوفمبر ١٠٠٩م[١] ويبايعه أهل قرطبة فى المسجد الجامع ، وأنفذ كتبه إلى سائر أنحاء شبه الجزيرة بخبر فتحة قرطبة ، وبالغ فى قهره لأهلها واستراقه دمائهم إرهاباً للناس وإنذار لهم .

ولما استقرت دعائم ملكه ، رحل إلى طليطلة فى ١١ جمادى سنة ٤٠٠هـ / أخر يناير سنة ١٠١٠م ليزيل الخلاف بينه وبين أهلها تمهيداً لدخولهم فى طاعته ، ولكنه لم ينجح فى مهمته لتمسك أهل الثغر لطاعة المهدى وواضح الفتى [٢].

وكان واضح قد خرج من مدينة سالم ومضى إلى طرطوشة قريباً من الحدود الفاصلة بين الثغر وإقليم قطالونية ، واتفق مع قومس برشلونة ريموند بوريل الثالث ، وأخيه أرمنجول يسميه العرب أرمقند Armengol de urgel Raimond Borrall على أن يساعداه حربياً نظير شروط مجحفة[٣] وهكذا تقدم جيش واضح مع جيش حلفائه النصارى إلى سرقسطة ، ثم سار بهم واضح إلى طليطلة حتى ينضم إليهم ابن عبد الجبار ، ومن هناك زحفت جيوشه نحو قرطبة . وذكر ابن عذارى أن جيش ابن عبد الجبار كان يبلغ وقتئذ نحواً من ٣٩ ألف فارس ، منهم تسعة آلاف من النصارى [٤].. وخرج سليمان المستعين للقائهم على رأس جيشه البربرى بعد أن تخلى أهل قرطبة عن نجدته . والتقى الفريقان فى موضع يعرف بعقبة البقر[٥] وفيها انهزم سليمان وجيشه البربرى وكبد البربر أعدائهم خسائر جسيمة ؛ فتراجعت

---

١ – ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، هامش ، ص ٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٨٧ .
Murphy : History of the Mohammedan Empire, P. 115 .

٢ – تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٥٢ .

٣ – عن هذه الشروط : راجع : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٩٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٤ ، . Levi Provencal : Histoire, T, II, p. 313, Aguado Bleye, p. 506 - 507 ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٥٢ – ٣٥٣ .

٤ – ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٩٦ ..

٥ – عقبة البقر ، اليوم Eivacar وهو حصن على عشرين كليو متراً شمال قرطبة إلى الجنوب الغربى قليلاً . وقد ذكرها الإدريسى باسم " دار البقر " وكانت الموقعة فى ٥ شوال ٤٠٠هـ / ٢٢ مايو ١٠١٠ وبعدها مباشرة دخل محمد بن عبد الجبار المهدى قرطبة وهرب منها البربر وبدأت خلافته الثانية ، راجع ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٧ ، هامش رقم (١) .

حشود البربر إلى الجزيرة الخضراء[١] ، بينما فر المستعين إلى شاطبة[٢] حيث تحصن بها مع من بقى من البربر ، فتعقبهم المهدى ومعه واضح الصقلى حاجبه ، حتى وادى ياروجة[٣] قرب مضيق جبل طارق ، حيث دارت رحى معركة عنيفة فى ذى القعدة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م وهزم فيها المهدى[٤] وعاد إلى قرطبة حيث قبض عليه حاجبه واضح الصقلى فى ٨ ذى الحجة من نفس العام وقتله وأعلن هشام المؤيد خليفة للمرة الثانية وتولى واضح الحجابة فى ٩ ذى الحجة سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م [٥].

وحاول هشام المؤيد استمالة البربر ، فأرسل رأس المهدى إلى سليمان المستعين داعياً أياه إلى ترك الفتنة والدخول فى طاعته[٦] ولكنه رفض دعوة هشام المؤيد وأطلق يد البربر على قرطبة والزهراء يسلبون وينتهبون فقاموا بمهاجمة المدينة قرطبة والانتقام من أهلها [٧]، فقد كان البربر يضمرون حقداً لأهل قرطبة لما ارتكبوه فى حقهم وخاصة فى فترة خلافة المهدى وهكذا شدد البربر الحصار على قرطبة وقطعوا عنها المؤن حتى استبد بهم الجوع وعدمت

---

١ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٩٥ .

٢ – ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ١١٥ .

٣ – Guadiaro ويعرف بوادى السقائين ، راجع : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٥ .

٤ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٩٨ .

٥ – النباهى : (أبو الحسن بن عبد الله) تاريخ قضاة الأندلس ، المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفيتا ، نشره ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٨٦ ، ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٧ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٠ – ١٠١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٦ ، ويذكر د. سالم أن من أسباب تغير الحاجب واضح على المهدى هو طمعه فى أن يقوم بدور المنصور ابن أبى عامر بالنسبة لهشام المؤيد خاصة بعد أن فشل أمام البربر واستغراقه فى الفسق والفجور . راجع سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٥٤ ؛ Levi Provcencal : Histoite, T. II, p. 314 عن قتل واضح الخليفة المهدى راجع أيضاً ، ابن بسام : الذخيرة ، ص ٣٢ ، ابن الآبار : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٥٠ .

٦ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٠ ، ص ١٠١ .

٧ – ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٣٢ ، المراكشى : المعجب ، ص ٤٣ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

المأكل[١] ثم ساروا إلى مدينة الزهراء غربي قرطبة سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م[٢] فهاجموها وقتلوا معظم الجند بها ، حتى ضج أهل قرطبة وازدادت نفوسهم حقداً على البربر واضطر الخليفة هشام المؤيد إلى بيع ذخائر قصره للحصول على السلاح والمال[٣] وفى تلك الأثناء وصل رسول سانشو غريسه أمير قشتالة إلىّ قرطبة يطلب تسليمه الحصون المتفق عليها نظير ما قدمه من المساعدات ، فوافق الخليفة هشاك على ما طلب وقام بتسليمه حوالى مائتين من الحصون [٤].

أما البربر فقد ظلوا على حصارهم لمدينة قرطبة وازدادت الحالة سوءاً ولم يستطيع الحاجب مواجهة الحصار والهجمات التى لا تنقطع على المدينة فخشى على نفسه وحاول الهرب ولكن بعض الجند تمكنوا من اللحاق به وحاول الخليفة هشام المؤيد أن يباشر أمور الدولة بنفسه والاستغناء عن منصب الحاجبة[٥] غير أنه لم يستطيع النهوض بأعباء الدولة فى مثل تلك الظروف المضطرمة . وهكذا اشتد البربر فى تعسفهم ضد أهل قرطبة واستمروا فى حصارهم وواصلوا هجماتهم على المدينة وأعملوا السيف فى الرقاب[٦] ونشروا الخراب والدمار فى كل شيء ، فاضطر أهل قرطبة إلي طلب الأمان وخرج القاضى ابن ذكوان مع بعض الفقهاء إلى سليمان المستعين ورؤساء القبائل البربرية ، وطلبوا منهم الأمان ، فأمنوهم وطلبوا منهم أموالاً كثيرة [٧]. وأمام ذلك كله دخل سليمان قصر قرطبة فى ٢٧ شوال سنة ٤٠٣هـ واستحضر هشام المؤيد بالله ووبخه على نكثه العهد فاعتذر هشام بأنه مغلوب على

---

١ – المراكشي : نفس المصدر ، ص ٤٣ ، ابن الأبار : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٧ .

٢ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٢ .

٣ – ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

٤ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١٧ .

٥ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٥ .

٦ – ابن عذارى : نفس المصدر، جـ٣ ، ص ١١٢ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ابن بسام : الذخيرة ، ص ٩٣ ، ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة رقم ٥٢٦ .

٧ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١١٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٤٣٨ .

أمره[١] وتنازل له عن الخلافة ، وانتهى الخليفة هشام المؤيد إلى مصير مجهول اختلف فيه المؤرخون[٢] .

استتب الأمر للمستعين نوعمًا ما ، بيد أن الحالة ازدادت سوءًا مع ازدياد نفوذ البربر الذين سيطروا على كافة أمور الدولة واستأثروا بالمناصب العليا ووخضع الخليفة المستعين لرغباتهم ونزواتهم فقسم بعض كور الأندلس على قبائلهم مما أدى إلي تمزق وحدة البلاد مع توالى انحلال قوة الخلافة وانحدارها نحو الهاوية ، فقد منح صنهاجة مدينة البيرة وبقيت فى يد حبوس وذريته من بعده وأعطى بنى يفرن وبنى برزال جيان[٣] وما حولهما أما بنى دمر واندلاجة فقد أعطاهم المستعين مدينة شنونة[٤] ومرور وأعطى منذر بن يحيى سرقسطة[٥] واستقر على بنى حمود فى سبتة وأخوه القاسم بن حمود فى طنجة وأصيلاً والجزيرة الخضراء[٦] .

هذا ولم يعد البربر يهتمون بالولاء للخلافة الأموية بل أخذوا يتدخلون فى شئونها سالبون سلطانها ، فقوى بذلك نفوذهم واشتد خطرهم[٧] أما الصقالبة فقد استقلوا ببعض مدن شرق الأندلس[٨].

---

١ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١١٣ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٨٠ .

٢ – يرى ابن حزم : نقط العروس ، ص ٨٧ ، الحمدى : جذوة المقتبس ، ص ١٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٤٦ أن الخليفة هشام المؤيد قتل سرًا ، أما ابن عذارى : جـ٣ ، ص ١١٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٨١ فلا يجزمون بقتله ، عن مصير هشام المؤيد انظر ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ١٥١ ، المراكشي : المعجب ، ص ٢٢ ، ٢٥ ، ابن الأثير : نفس المصدر ، جـ٩ ، ص ٨١ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٩٤ .

٣ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١١٣ .

٤ – شنونة مدينة بالأندلس وهى من أعمال إشبيلية ، راجع ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٣٢٩ .

٥ – راجع ابن المردبوس : ص ١٥٠ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١١٣ .

٦ – ابن عذارى : نفس المرجع ، جـ٣ ، ص ١١٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٩ .

٧ – ابن عذارى ك نفس المصدر والجزء والصفحة ، ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة .

٨ – سالم : نفس المرجع ، ص ٣٥٦ ، Dozy: Spanish Islam, p. 562 ، أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى إسبانيا ، ص ١٧ وما بعدها .

وهكذا أمست الخلافة الأموية فى الأندلس ممزقة الأوصال منقسمة على نفسها بين البربر والأمويين والصقالبة فطمع فيها الطامعون ، إذ رأوا فى ضعفها على تلك الصورة فرصة لتحقيق أطماعهم . وكان على رأس هؤلاء الطامعين على بن حمود الحسنى الذى كان قد تولى سبتة من قبل الخليفة سليمان المستعين ، فأرسل إلى خيران العامرى صاحب المرية كتاباً زعم فيه أنه تلقاه من الخليفة هشام المؤيد يوليه فيها ولاية عهده ، وقام الخليفة هشام المؤيد بإسال هذا الكتاب سراً إلى سبتة(١) .

استجاب خيران العامرى والفتيان العامريين من الصقالبة لعلى بن حمود وبايعوه ودعوا له بولاية العهد ، أما على بن حمود ، فأعلن تمرده على الخليفة سليمان المستعين ودعا لهشام المؤيد على منابر سبتة وطنجة (٢).

سار على بن حمود من سبتة إلى مالقة واستولى عليها (٣).

ولكى يضمن كسب أنصار له من الصقالبة وأهل قرطبة أعلن أنه ما جاء إلا لنصرة هشام المؤيد(٤) ، ودخل قرطبة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م(٥) وذلك بمساعدة الصقالبة والبربر .

وقام على بن حمود بقتل الخليفة سليمان المستعين وأخيه ووالدهما وجعل رؤوس الثلاثة فى طشت ونادى هذا جزاء من قتل هشام المؤيد ، ثم دعا لنفسه وبويع بالخلافة وتلقب بالناصر لدين الله (٦).

---

١ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١١٤ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢١ ، ابن بسام : الذخيرة ، ق١ ، مجلد ١ ، ص ٢٦ ، ٢٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٤١ .

Levi Provencal, L'Esp. Musul. T, II, pp. 563, 564 .

2 - Codera : Tradato de Mumismatica Arabig - espanola Madrid 1879, p. 116 - 117 .

٣ – المراكشى : المعجب ، ص ٤٤ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٠ .

٤ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

٥ – ابن عذارى ك نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٢١ .

٦ – ابن عذارى : جـ٣ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، المراكشى : المعجب ، ص ٤٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، طبعة بيروت ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، كمال السيد أبو مصطفى : التاريخ السياسى للجزيرة الخضراء ، ص ٤٥٧ ، ص ٤٥٨ .

Seco de lucena, los Hammudies Sendes de Maiaga Y Algeciras. Granada 1953, p. 19 .

لكن خيران العامرى لم يلبث أن انقلب على الخليفة على بن حمود وثار عليه وسار إلى شرق الأندلس ودعا للأمويين هناك .

وفي ٤٠٧هـ / ١٠١٧م استقدم خيران العامرى من مدينة بلنسية رجلاً من بنى أمية يدعى عبد الرحمن بن محمد ، ورشحه لمنصب الخلافة وتلقب بالمرتضى(١) .

ولم يلبث الصقالبة بدورهم أن انقلبوا على بن حمود وقتلوه سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٨م(٢).

وأرسل زعماء البربر من زناته إلى أخيه القاسم بن حمود يخبرونه بنبأ وفاته ، فحضر من إشبيلية فدخل قرطبة وبويع بالخلافة فى ٨ ذى القعدة سنة ٤٠٨ / ١٠١٨م وتلقب بالمأمون .

وإزاء سطوة البربر وثوراتهم المستمرة زحف يحيى بن على بن حمود من سبتة ودخل قرطبة ، فخشى على نفسه ، فهرب إلى إشبيلية فى ٢٢ ربيع الثانى ٤١٢هـ/١٠٢٢م.

دخل يحيى بن على بن حمود قرطبة فى مستهل جمادى الأولى سنة ٤١٢هـ / ١٠٢٢م وبويع بالخلافة وتلقب بالمعتلى(٣) والتزم يحيى سياسة تقوم على تجنب العصبية واتباع العدل والإنصاف ، لكن سرعان ما ركبه الغرور ، وداخله الإعجاب بنفسه فساءت حاله(٤) ، أما القاسم بن حمود فقد استقر فى إشبيلية حيث بويع بالخلافة وأصبح هناك خليفتان ، واتفق كل منهما على أن يعترف بالآخر (٥).

---

١ – الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٧ ، المراكشى : المعجب ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٤٦ .

٢ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، العميرى : جذوة المقتبس ، ص ٢٢ ، ابن بسام : الذخيرة ، جـ١ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ص ٤٨٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥١ .

٣ – راجع تلك الحوادث بالتفصيل ، ابن بسام : الذخيرة ، جـ١ ، بيروت ١٩٧٩م ، ص ٤٨٢ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، الحميدى : الجذوة ، ص ٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ابن حزم : نقط العروس ، ص ٥١ ، المراكشى : المعجب ، ص ٥٠ .

Levi Provencal : L'Espagne musul. T.II, p. 332 ; Ben Aboud, Asabiyya & Social Reiations in al Andalus, Hesperis, fasc, I, Vol. XIX, p. 14 Prietoy vives losreyes de Taifas, Madrid, 1926, p. 26 .

٤ – ابن بسام : الذخيرة ، قسم (١) مجلد (٢) ، ص ١٤ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٦٠ .

٥ – ابن حزم : نقط العروس ، ص ٨٠ .

لم يدم هذا الوضع طويلاً ، فقد ثار البربر على يحيى المعتلى بالله ٤١٢هـ / ١٠٢٣م فغادر قرطبة إلى مالقة وتسمى هناك بأمير المؤمنين ، أما البربر فقد استدعوا عمه القاسم بن حمود الذى تلقب بالمأمون وجددوا البيعة له (١).

ضاق أهل قرطبة بالحموديين لضعفهم ولتمكينهم البربر الذين سيطروا على كافة أمور الدولة ، فأعلنوا الثورة والعصيان ولم يستطيع الخليفة القاسم الصمود أمام ثورة أهل قرطبة فاضطر إلي اللجوء إلي إشبيلية ، ولكن أهل إشبيلية لم يرحبوا به وأغلقوا أبواب المدينة دونه(٢) فاتجه إلى بلدة شريس(٣) حيث قتله يحيى بن أخيه(٤) .

أما أهل قرطبة فقد عمدوا إلى مبايعة خليفة لهم من الأسرة الأموية فقاموا بترشيح ثلاثة ممن بقوا على قيد الحياة وهم سليمان ابن المرتضى ومحمد العراقى وعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ووقع الاختيار على سليمان بن عبد الجبار واتخذ لقب المستظهر بالله(٦).

لكن لم يستطع الخليفة المستظهر القيام بشئون الخلافة ، فقد غلب عليه الجند الذين قويت شوكتهم وازدادت سطوتهم ، وتدهورت أحوال البلاد الاقتصادية ، وفرغت خزائن الدولة ، كما حقد عليه أعيان أهل قرطبة حين استعان بغيرهم من الفتيان فى وظائف الدولة (٧). كما حقد

---

١ - الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٣ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٣ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٣١ ، ص ٤٣٢ .

٢ - الضبى : بغية الملتمس ، ص ٢٩ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٣ .

٣ - مدينة كبيرة من كورة شذونة (بالأندلس) وهى قاعدة هذه الكورة واليوم يسمونها شرش .

٤ - الضبى : نفس المصدر ، ص ٢٩ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٥ ، ١٤٢ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٣ .

٥ - الضبى : نفس المصدر ، ص ٣١ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٦ ، ابن بسام : الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

٦ - الضبى : نفس المصدر ، ص ٣١ ، ابن حزم : نقط العروس ، ص ٥١ .

٧ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٧ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٤ ، ابن بسام : نفس المصدر والصفحة .

عليه عامتها لترحيبه بالبربر فى قرطبة[١] فثار عليه الجند وقتلوه فى قصره سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٤م[٢].

ولما مات الخليفة المستظهر قام الجند بمبايعة ابن عمه محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله بن الناصر بالخلافة[٣].

وتلقب بالمستفكى بالله[٤] ولم يكن المستكفى على شيء من الكفاية السياسية أو الحربية بل كان سيئ الخلق والسيرة ، وأساء المستكمفى إلى رجال الدولة فهرب كثيرون منهم من قرطبة ولجئوا إلى بلاط يحيى بن حمود بمالقة [٥]، وشجعوه على السير إلي قرطبة ليضع حداً لتلك المحن [٦].

سمع القرطبيون هذه الأنباء وكانوا قد سئموا حكم المستكفى فدخل عليه الوزراء والفقهاء وطلبوا منه الخروج لمواجهة يحيى المعتلى ولكنه لم يستطع وخشى على نفسه فهرب مستخفياً[٧] ثم قتل[٨] .

وظلت قرطبة بعد هرب المستكفى وقتله حوالى ستة أشهر دون خليفة فسار الخليفة يحيى المعتلى وصاحب مالقة ودخل قصر قرطبة فى رمضان سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م [٩]، وبقى بها

---

١ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٨ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٥ .

٢ - الحميدى : الجذوة ، ص ٢٦ ، الضبى : نفس المصدر ، ص ٣١ ، ابن بسام : الذخيرة ، قسم (١) مجلد (١) ص ٣٨ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٥ .

٣ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٣٩ ، ١٤١ .

٤ - ابن حزم : نقط العروس ، ص ٤٩ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ٣٣ .

٥ - ديوان ابن شهيد : ص ٤١ ، ٤٢ .

٦ - ديوان ابن شهيد : نفس الصفحات .

٧ - الحميدى : الجذوة ، ص ٢٧ ، الضبى : نفس المصدر ، ص ٣٣ .

٨ - ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ١٤٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٦ ، المراكشى : المعجب ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

٩ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٤٣ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٦ .

مدة ثم تركها إلى مالقة وأبقى فى قرطبة وزيريه أحمد بن موسى وبوناس ابن أبى روح وحامية صغيرة من البربر لتدبير أمورها[١] .

غضب أهل قرطبة لوجود البربر داخل مدينتهم ووقوعها فى قبضتهم فهاجموا البربر وتمكنوا من الفتك بهم بمساعدة خيران العامرى صاحب المرية ومجاهد صاحب دانية وقتلوا منهم نحو ألف [٢].

ثم اجتمع أهل قرطبة وفقهاؤها على رد الأمر إلي بنى أمية فاتفقوا على مبايعة هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر[٣] أخى عبد الرحمن المرتضى واتخذ لقب المعتمد بالله [٤].

ازداد حال الخلافة سوءاً فى عهد الخليفة المعتمد الذى انشغل باللهو وترك شئون الحكم لوزيره حكم بن سعيد القزاز[٥] الذى أساء إلى أهل قرطبة وعلماءها وفقهائها واستبعد رجالاتها من الوظائف الهامة ، كما صادر أموال التجار وأغدق على البربر[٦] وقطع أرزاق الجند[٧] فقتله الجند سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م سار كبار الوزراء بزعامة ابن حزم ابن جهور إلى القصر وأعلنوا إبطال الخلافة وإزالة الأمويين وطردهم من قرطبة[٨] فنودى فى الأسواق ألا يبقى أحد من الأمويين ولا يحميهم أحد [٩].

---

١ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٤٣ ، ١٤٥ ، Levi Provencal, L'Espan. Musul, T. II, p. 336 - 337 .

٢ – ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٠٩ ، ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٤٣ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٧ ، الحميدى : الجذوة ، ص ٢٧ ، الضبى : البغية ، ص ٣٤ .

٣ – الحميدى : نفس المصدر ، ص ٢٧ ، الضبى : نفس المصدر ، ص ٣٤ .

٤ – المراكشى : المعجب ، ص ٥٧ ، الحميدى : نفس المصدر ، ص ٢٨ ، الضبى : نفس المصدر ، ص ٣٤ ، ابن حزم : نقط العروس ، ص ٥٦ .

٥ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٨ .

٦ – ابن عذارى : البيان ، جـ٣ ، ص ١٤٦ .

٧ – ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٩ .

٨ – الحميدى : الجذوة ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، الضبى : بغية الملتمس ، ص ٣٤ ، ابن عذارى : البيان ، جـ٣ ، ص ١٤٦ ، ص ١٥٠ ، ابن الخطيب : نفس المصدر ، ص ١٣٨ ، ص ١٣٩ . R.Dozy. Spanish, p. 589.

٩ – ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٥٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٩ .

أما الخليفة المعتمد ، فقد سجن مع أهله لبضعة أيام فى الجامع يعيش على الصدقة[١] ، ثم أبعد عن قرطبة وانتهى به المطاف إلى سليمان بن هود الجزامى المتغلب على لاردة وسرقسطة وإفراغة وطرطوشة[٢] فكرمه وبقى عنده ، حتى توفى فى صفر سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م ، ودفن بناحية لاردة وكان خلعه يوم الثلاثاء ١٢ ذى الحجة سنة ٤٢٢هـ / ٣٠ نوفمبر سنة ١٠٣١م[٣] فكان آخر الخلفاء الأمويين ، وبخلعه انتهت الدولة الأموية بالأندلس .

ولقد نتج عن سقوط الدولة الأموية بالأندلس ١٣٨هـ - ٤٢٢م / ٧٥٥م - ١٠٣١م إلى تمزق الوحدة الإسلامية بين مسلمى الأندلس ، فبعد أن كان الأندلسيون يخضعون لمظلة دولة واحدة أصبح هناك العديد من الإمارات أو الدويلات المستقلة التى قامت على أنقاض الدولة الأموية فاستقل كل أمير بناحيته ، وأعلن نفسه أميرًا عليها فأظل البلاد عصر ملوك الطوائف [٤]. وبذا أصبح لكل مقاطعة أمير مستقل وذهبت فى الهواء تلك الوحدة التى جمع بها كل من الخليفة الناصر ، والحكم المستنصر والحاجب المنصور ابن أبى عامر مختلف الأهواء والأحزاب ولقد كان لهذه الإمارات المستقلة عدة اتجاهات عصبية فنعم البربر بجنوب الأندلس وأخضع الصقالبة شرقها أما بقية البلاد فقد سقطت فى أيدى محدثى النعمة والنفوذ أو بعض

---

١ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٠٩ ، المراكشى : المعجب ، ص ٥٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٥١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٣٩ .

٢ - ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ٢٠٩ ، المراكشى : المعجب ، ص ٥٨ .

٣ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٤٥ .

٤ - اصطلح المؤرخون على تسمية هذا العصر بعصر ملوك الطوائف أو عصر الفتنة أو عصر الفرق كما أطلقوا على أمراء الطوائف لقب زعماء الفتنة أو أمراء الفرقة الهمل .

- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٩٤ ، ٢١٩ ، ص ٢٥٤ ، ابن الكرديوس : أبو مروان عبد الملك بن الكرديوس التوزرى : تاريخ الأندلس لابن الكرديوس ووصفه لابن الشباط : تحقيق أحمد مختار العبادى : نشر معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، سنة ١٩٧١م ، ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق٣ ، جـ(١) ، ص ٢٥ ، عبد الله بن بلقين : التبيان المعروف بمذكرات الأمير عبد الله ، ص ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٩ .

الأسر المولدة القديمة[١] الى أفلتت من ضربيات الخليفة عبد الرحمن الناصر والمنصور بن أبى عامر .

---

١ - منطقة قرطبة ويحكمها بنو جهور (٤٢٣هـ - ٤٦٠هـ) (١٠٣٠م - ١٠٦٨م) إشبيلية ويحكمها بنو عباد : (٤١٤ - ٤٨٤هـ) (١٠٢٣ - ١٠٩١م) غـرناطة ويحكمـهـا بنوزيرى : (٤٠٣ - ٤٨٣ هـ) (١٠١٢ - ١٠٩٠م)، طليطلة ويحكمها بنو ذى النون : (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) (١٠٣٥م - ١٠٧٥م) ، بلنسية ويحكمها العامريون (٤١٢ - ٤٧٨هـ) (١٠٢١ - ١٠٨٥م) ، سرقسطة ويحكمها بنو هود : (٤١٠ - ٥٢٦ هـ) (١٠١٩ - ١١٣٣م) بالإضافة إلى عدد كبير من المدن والأقاليم أعلنت استقلالها عنهم ، راجع محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس (عصر ملوك الطوائف) ص ٤٦٠، ٤٦٤ ، أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ، لين بول : الدولة الإسلامية ، القسم الأول ص ٦٢ ، ٧٤ ، عبد الحليم عويس : ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ، ص ٢٤ .

الخاتمة

ثمة قاعدة انتهى إليها علماء التاريخ هو أن الإسلام إذا بلغ أرضاً استقر فيها إلى الأبد وكانت إسبانيا وصقلية الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة ...

ويرجع سقوط الأندلس - ذلك الحدث الفريد - إلى تضافر عدة أسباب كثيرة ، لعل أهمها التكوين العنصرى للشعب الأندلسى موضوع البحث .

فقد احتوى الشعب الأندلسى على كثير من العناصر المختلفة ، فهناك أهل البلاد الأصليين، سواء مسلمين أو مسيحين عرفوا باسم المولدين ، وهناك العرب والبربر والصقالبة ، وكل عنصر من هذه العناصر ينتمى إلى جنس قائم بذاته ولكل منهم لغته الخاصة وعاداته . هذا وإن كانت المصاهرة قد قربت بين تلك العناصر بعض الشيء إلا أنه بقى هناك من مظاهر الاختلاف والتنافس ما يكفى لقيام الصراع بينهما ونشوب الثورات إذا ما حانت الفرصة .

هذا ولم تجيء حركة الفتح العربى لإسبانيا عفواً ولا كانت مجرد مغامرة ، بل جاءت وليدة تخطيط محكم ودراسة واعية ، وكان البربر أول من دخل الأندلس ، فقد كان جيش طارق معظمه من البربر ، فاحتملوا صدمة الفتح الأولى واتصلت هجراتهم إلى بلاد الأندلس ، وبعدهم جاء العرب ، يمنية ومضرية مع موسى بن نصير أولاً ، ومع بلج بن بشر القيسى فيما بعد وفى أفواج قليلة مع عبد الرحمن بن معاوية الداخل بعد ذلك .

لكن بعد أن هدأت موجة الفتوح تجددت قصة النزاع القديم بين المضرية واليمنية تلك النعرة القبلية التى كانت قد هدأت فى أثناء الحروب التى خاضها العرب فى الأندلس لم تلبث هذه العصبية أن انطلقت من رمادها ، وتأثر بها الخلفاء فى دمشق كذلك ، فكثيراً ما خضع تعيين الأمراء فى مناصبهم أو عزلهم أو قتلهم لهذه النزعة وهكذا حمل العرب معهم صراعهم إلى الأندلس فكانت هذه الصراعات وابلاً على المسلمين هناك .

ثم إن هناك عنصراً اضطر أن يحسب له حساب وهو عنصر البربر ... الذى يرجع له الفضل فيما أحرزه طارق بين زياد من انتصارات مكنت للعرب فى الأندلس كما سبق أن ذكرنا .

فقاموا بثورات ضد العرب وقاومهم مندفعين فى ذلك إلى إحساسهم بالظلم وعدم المساواة بينهم وبين العرب وبعد أقل من نصف قرن من الزمان ، ومع قدوم عبد الرحمن بن معاوية ، وتوليه الإمارة ، استقل الأندلس وأصبح دولة لا سلطان لأحد عليها واستطاع الأمير عبد الرحمن أن يقضى على عوامل الفرقة والتنافس التى اجتاحت الأندلس طوال عصر الولاة ولكن إلى حين فبعد وفاته تجددت تلك الصراعات مرة أخرى وكانت السياسة التى سار عليها الأمويون هى تطبيق لأركان سياسة الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل من حرص على الوحدة الوطنية للبلاد .

وكان نوع المشاكل التى واجهوها هى نفس المشاكل التقليدية التى ظهرت مع الوجود العربى فى الأندلس .

الدائبن التقليديين الصراع بين العرب القيسية واليمنية من ناحية والصراع بين العرب والبربر من ناحية أخرى .

فلم يكف العرب اليمانية أو القيسية عن الثورات طيلة وجودهم فى الأندلس ، تحدوهم أمالهم التقليدية فى الغلبة والسيادة ومحاولة إخضاع الأمويين لنفوذهم وسلطانهم وكانت قوة العرب تظهر على السطح سافرة فى بعض الأحيان أو مستترة حين آخر .

مستترة خلف الخارجين من البيت الأموى نفسه من أبناء عبد الرحمن أمثال سليمان أو عبد الله أو متحالفة مع حركات البربر أو الموالى أو المستعربين أيضاً .

هذا وقد أطلت اليمانية برأسها قبل وفاة عبد الرحمن بن معاوية فحاربهم وقضى على ثوراتهم كما قضى على ثورات القيسية أيضاً ، وبعد وفاة عبد الرحمن مباشرة أطلت ثورات العرب مرة أخرى فانتشرت ثوراتهم فى برشلونة وسرقسطة ، ولم يكن هشام بن عبد الرحمن أقل من أبيه رغبة فى إخضاعهم لنفوذه وسلطانه ، فقد أرسل إليهم جيشاً كبيراً بقيادة عبد الله بن عثمان فانتزع سرقسطة من الثوار بعد أن أخضعهم لسلطان الإمارة عام ١٦٠هـ .

كذلك تجددت ثورات العرب فى عهد الحكم بن هشام ١٨١هـ فى نفس المناطق تقريباً ، سرقسطة والثغر الأعلى .

ولم يكن بطش الحكم بهؤلاء الثوار أقل من بطش أبيه لهم ومع هذا لم تهدأ فتنة العرب فى عهد الحكم ، وبعد وفاته أطلت فتنتهم مرة أخرى فى عهد الأمير عبد الرحمن الثانى الأوسط ،

وانطلقت الفتنة العربية فى تدمير إذا وقع الخلاف بين القيسية واليمانية وقامت المعارك بينهما وقتل الكثير من الفريقين ، وبعث عبد الرحمن إليهم حملة بقيادة يحيى بن عبد الله فلم ينجح فى القضاء على هؤلاء الثوار العرب الذين استمروا يتحدون سلطان الإمارة الأموية فى قرطبة ولم تهدأ هذه الثورات إلا فى عام ٢١٣هـ ، وكان موالى الأمويين ورجالهم الذين اصطنعوهم هم عدتهم فى هذا النضال المر من أجل تثبيت نفوذهم وسلطانهم .

ونتيجة لما اقترفه العرب من ثورات ومحاولات الاستقلال التى أقلقت السلطة الأموية ، فقد استبعد الخليفة عبد الرحمن الناصر وخلفائه من بعده العنصر العربى ، فقضوا على نفوذ العرب تماماً واستغنيا عن أبناء البيوتات وأذلا كبار الرجال من العرب ، واستعاض عنهم بولاء الرقيق من الصقالبة والنازحين من البربر وهؤلاء وأولئك ولائهم مأجور وإحساسهم بالوطن واهن .

هذا وقد واجه أمراء هذا العصر مشكلة أخرى وهى البربر وقد ذاقوا منهم مثل ما ذاقوا من العرب وكان يغلب نفوذهم فى المناطق الشمالية والغربية والجنوبية أيضاً هذا ولم يترك البربر فرصة إلا وانتهزوها لبث أحقادهم ومناوأة الأمويين سلطانهم وكانوا فى معظم الأحيان يؤلبون المولدين من أهل البلاد أو المعاهدين من النصارى .

وقد أطلت الفتنة البربرية برأسها فى عهد الحكم بن هشام حينما استطاع عمه.سليمان أن يحشد البربر لتأمين حقه فى الإمارة وسار بهم نحو قرطبة ليلقى الهزيمة النكراء قرب العاصمة وذلك ١٨٣ هـ .

وفى عهد عبد الرحمن الثانى (الأوسط) الذى لم يكن أقل حرصاً من القضاء على البربر من أسلافه وستظل المشكلة البربرية كامنة طوال عهد عبد الرحمن لتظهر فى عصر الضعف الأول بعد وفاة الأمير عبد الرحمن وهو ما عرف باسم عصر الطوائف الأول إلى أن يأتى الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر) ويقضى على هذه الثورات ويعيد للأندلس وحدتها القومية .

وحين عجز البربر عن تحقيق أهدافهم فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، دعوا فى بداية القرن الخامس الهجرى إلي فوضى اجتماعية عمت البلاد ، فعمدوا إلى المعالم الحضارية يخربونها وشاركوا فى تمزيق وحدة البلاد وكان على أيديهم إبطال الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة والأشراف بالأندلس على الهلكة .

وفيهم يقول ياقوت " والبربر أجفى خلق الله وأكثرهم طيشاً وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصفادهم لنمق الجهالة ولم تخل جبالهم من الفتنة وسفك الدماء قط ، ولهم أحوال عجيبة واصطلحات غريبة وقد حسن لهم الشيطان الغوايات وزين لهم الضلالات حتى صارت طبائعهم إلى البطالة مائلة وغرائزهم فى صد الحق فكم من ادعى فيهم النبوة فقبلوا وكم زاعم فيهم أنه المهدي الموعود به فأجابوا داعية ولمذهبه انتحلوا ، وكم ادعى فيهم مذهب الخوارج – فإلى مذهبه بعد الإسلام انتقلوا ثم سفكوا الدماء المحرمة ونهبوا الأموال واستباحوا الرجال لا بشجاعة فيهم معروفة ولكن بكثرة العدد وتواتر المدد .

وهذا نتيجة لتصور الحياة الإسلامية فى الأندلس فقد ظهرت مشكلة المولدين ظهوراً واضحاً فى ذلك العهد وكان سبب ظهور قوة المولدين أنهم أحسوا بأنهم مضيعون فى دولة هم أصحابها الحقيقيون وكانت حقوقهم تهدر على مر الأيام وذلك حين اتجه أمراء بنى أمية فى الاعتماد على الموالى من الصقالبة والبربر فى إدارة شئون دولتهم ، فى الوقت الذى زادت فيه أعداد المولدين باطراد الدخول إلى الإسلام الذى مضى سريعًا نحو الانتشار فازدادت أعدادهم فى الريف وكانت أشد ظهوراً فى المدن الكبرى مثل قرطبة وطليطلة ، واعتقد هؤلاء المولدون أنهم هم العرب الذين ورثوا أنساب أبائهم وأصبح هذا الجيل الثالث أو الرابع من المسلمين شديد الأثر فى حياة البلاد ، فشعروا بمركب النقص وأنهم مبعدون عن أمور الدولة وتقاليدها فزادت الهوة بينهما وبين أمراء بنى أمية اتساعًا .

وقد شهدت الأندلس ذلك الانفجار المروع الذى قام به المولدون فى عصر الحكم بن هشام ، إذا شهدت قرطبة ثورة عارمة قام بها المولدون والتى لم يسبق لها مثيل وقد عرفت هذه الثورة ثورة الربض وهى تعتبر من أهم الثورات الاجتماعية التى عرفتها الحياة الإسلامية فى الأندلس .

وبذلك شارك المولدون العناصر الأخرى فى إنهاء الحكم الإسلامى فى الأندلس ، فقد كان أولئك المولدون يحاولون غاية واحدة هى القضاء على الوجود العربى فى الأندلس عن طريق استنزاف قوته فتوالت ثوراتهم فى كل ناحية من نواحى البلاد وكانت طليطلة أكثر مناطق المولدين ثورة على الحكم الأمكوى ، ولكن أهم هذه الثورات جميعًا كانت ثورة عمرو بن حفصون التى أخذت من عمر البلاد الكثير إلى أن قضى عليها الخليفة عبد الرحمن الناصر .

ومن غير شك أن تلك الثورات قد كلفت الدولة ثمنًا باهظًا من الدماء والأموال ، وحالت دون تجمع الجهود وتعبئة القوة الإسلامية كلها لمناهضة العدو المتربص فى الشمال والذى لم يفتر حتى كان له ما أراد من القضاء على نفوذ المسلمين فى الأندلس وإخراجهم منها بعد زمن طويل مكثوه فى ربوعها .

أما الصقالبة فكانوا أيضًا من العناصر المشاركة فى إنهاء الوجود الإسلامى فى الأندلس.

فقد عرف استخدام الصقالبة فى جميع مراحل التاريخ الأندلسى ، وكان الحكم بن هشام الربضى ١٨٠ هـ - ٢٠٦هـ . قد أعلا ذكرهم عندما اتخذ منهم حرسًا خاصًا له أما الخليفة عبد الرحمن الناصر فكان عهده عهد السيادة الصقلبية فكان منهم مستشاريه ومدبرى أمور دولته وقواده فى الجهاد والغزو وإخضاع الفتن ، كما كان منهم ولاة الثغور والكور الأندلسية .

وفى عهد الخليفة الحكم المنتصر (٣٥٠هـ - ٣٦٦هـ) زاد نفوذ الصقالبة ، فكان منهم صاحب خيلة والمشرف على مكتبته وقائد حروبه .

أما عهد المنصور ابن أبى عامر ٣٦٦هـ - ٣٩٢هـ فكان بداية نكسة للصقالبة فأبعدهم وحل محلهم البربر لكنه فى النهاية رأى حاجته الملحة إليهم فعاد لاصطناعهم ، ولما توفى المنصور ابن أبى عامر ، زادت منزلة الصقالبة وارتفعت مكانتهم فى عهد ابنه عبد الملك المظفر ، فعلى قدرهم فتكالب هؤلاء الصقالبة الذين عرفوا باسم الفتيان العامريين على الحكم والاستبداد بالسلطة فبدأ الصراع بينهم وبين البربر ، وانقلبوا إلى أداة مخربة وتشبهوا فى ذلك مع البربر والمولدين .

ومع ضعف الخلافة الأموية ازداد نفوذ الصقالبة فسيطروا على شئون الحكم وتدخلوا فى تعيين الخلفاء وعزلهم وقتلهم ، فعندما أحسوا بضعف الخليفة المهدى بن عبد الجبار ، تحولوا عنه وقتلوه وردوا الخلافة لهشام المؤيد ظنًا منهم بأن الأمور ستكون إلى جانبهم وهكذا كان الصقالبة سهمًا من السهام ويدًا من الأيدى التى قضت على الوجود الإسلامى فى الأندلس .

ولقد تحقق هدفهم فى القضاء على الخلافة الأموية فى الأندلس لينتقموا من هؤلاء الذين استبعدوهم وحولوهم إلي عبيد أرقاء ولما توزعت الطوائف فى البلاد الأندلسية استأثر الصقالبة بشرقها وانشئوا فيها الممالك .

وهكذا نرى أن كل عنصر من العناصر المختلفة فى الأندلس حاول الوصول إلى تحقيق أهدافه على حساب أمن الخلافة واستقرارها فشاركوا جميعًا فى إنهاء الوجود الإسلامى فى الأندلس .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

مجهول : مخطوط وصف الأندلس وتاريخه

- مخطوط الخزانة العامة بالرباط حت رقم ٥٨ حـ ، ورقة ٢٦ .

ثانيًا : المصادر :

ابن الأبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ٦٥٨هـ : التكملة لكتاب الصلة ، جـ١ ، نشر مكتبتى الخانجى بالقاهرة وبغداد ١٩٥٦م.

- الحلة السيراء : تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣م.

ابن أبى دينار القيروانى (محمد بن القاسم الرعينى القيروانى) : المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ، ط١ ، تونس ١٢٨٦هـ .

ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم) ت ٦٣٠ هـ : الكامل فى التاريخ ، طبعة القاهرة ، ١٣٥٣هـ ، وطبعة بيروت ، ١٩٧٦م ، ١٩٧٨م ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٣م.

الإدريسى (محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف) ت ٥٤٨هـ " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، روما ١٩٧٧م ، المسمى صفة المغرب والأندلس ، ونشر دوزى R.Dozy ودى غويه De Goje ليدن ١٨٦٦ ، ١٨٦٤م ، نشر دار صادر بيروت .

ابن بسام (أبو الحسن) ت ٥٤٣هـ : تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧١م ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م ، الجزء الأول ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٣٩م والجزء الأول القسم الثانى ، القاهرة ١٩٤٢م ، والجزء الرابع ، القسم الأول ، القاهرة ١٩٤٥م.

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ٥٧٨هـ : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، القاهرة ١٩٦٦م ، الصلة نشره

دون فرنسسكو كوديرة ، الجزء الأول والثانى مدريد ١٨٨٣م ، ط١٠ ، القاهرة ١٩٦٦ ، نشر عزت العطار ١٩٥٠م .

البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ : جغرافيا الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق الحجى ، بيروت ١٩٦٨م.

– المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك ، طبعة ١٨٥٦م ، نشر دى سلان ١٩١١م ونشر مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ .

ابن بلقين (عبد الله) : التبيان عن المحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة نشره ليفى بروفنسال ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٥م .

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد) ت ٤٥٦هـ : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٨م ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣م.

– نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق شوقى ضيف ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٥١م.

– طوق الحمامة فى الألفة والألاف ، تحقيق فاروق سعيد ، بيروت ١٩٧٥م ، تحقيق الطاهر أحمد مكى ، القاهرة ١٩٩٣م.

– رسالة فى فضل الأندلس ، ضمن ثلاث رسائل فى فضائل الأندلس ، تحقيق صلاح المنجد، بيروت ١٩٦٨م.

ابن حيان (أبو مروان بن خلف القرطبى) ت ٤٦٩م : المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، تحقيق محمود على مكى ، بيروت ١٩٧٣م.

– المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق ملشور أنطونية ، باريس ١٩٣٧م .

– المقتبس جـ ٥ ، تحقيق شالميتا وآخرون ، مدريد ١٩٧٩م.

– المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٥م.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على) ٣٦٧هـ : كتاب صورة الأرض ، نشر مكتبة الحياة بيروت ، ١٩٧٣م.

الحميدى (أبو عبد الله محمد بن أبى نصر) ت ٤٨٨ هـ : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، القاهرة ١٩٦٦م.

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ٨٦٦ هـ : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، حققه إحسان عباس ، بيروت.١٩٧٥م / ١٩٨٤م.

- صفة جزيرة الأندلس مأخوذة من الروض المعطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ : المقدمة طبعة ، ١٩٧١م ، طبعة بيروت ١٩٧٩م .

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر طبعة بولاق ١٤٨٤هـ ، وطبعة بيروت ، طبعة ١٩٧١م.

ابن الخطيب (لسان الدين) ٧٧٦ هـ : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (ق إ) نشر ليفى بروفنسال ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٦م .

- الإحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ٤ أجزاء ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٣م.

- اللمحة البدرية فى الدولة النصرية .

- مشاهد لسان الدين ابن الخطيب (مجموعة من رسائله) نشر أحمد مختار العبادى ، الإسكندرية ١٩٨٥م.

الخشنى (أبى عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى) ٣٦١هـ : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية نشر عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٩٥٢م .

- قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م ، المكتبة الأندلسية .

الرازى : وصف الأندلس ، نشر ليفى بروفنسال .

ابن سعيد (المغربى الأندلسى) ت ٦٧٣هـ : المغرب فى حلى المغرب ، جزءان ، تحقيق شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٦٤م.

- الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠م ، الجزائر ١٩٨٢م .

ابن سعيد (محمود ابن سعيد مقديس الصفاقسى) ت ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م : نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار ، تونس ١٣٢١هـ .

ابن سماك العاملى (أبو القاسم محمد) النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى : الزهرات المنثورة فى نكث الأخبار المأثورة تحقيق محمود على مكى ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد مجلد رقم ٢٠ ، ١٩٧٩ - ١٩٨٠م .

الشقندى (إسماعيل بن محمد) : رسالة فى فضائل الأندلس وأهلها ، ضمن ثلاث رسائل ، تحقيق صلاح المنجد ، بيروت ١٩٦٨م.

الشهرستانى (محمد بن عبد الكري) ت ٥٤٨هـ : الملل والنحل ، شرح وتحقيق محمد بن فتح الله بدران ، مطبعة الأزهر ، ١٩٧٤م ، طبعة ١٩١٧م.

ابن سعيد (أحمد بن مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر) ت ٤٢٦هـ : ديوان ابن شهيد الأندلسى ، تحقيق يعقوب ذكى ، مراجعة محمود على مكى ، دار العربى للطباعة والنشر بدون تاريخ ، القاهرة .

ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) ت نهاية القرن السادس الهجرى : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثانى ، تحقيق عبد الهادى التازى ، بيروت ، جـ١ ، ١٩٦٤م ، وطبعة ١٩٧٩م ، الجمهورية العراقية .

الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) ت ٥٥٩هـ : بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس ، المكتبة الأندلسية ، مصر ١٩٦٧م.

الطبرى (محمد بن جرير) ت : تاريخ الأمم والملوك ، طبعة مصر ١٣٩٩هـ ، طبعة ليدن نشره دى غوييه ، ١٨٩٣م .

ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشى) : البيان المغربى فى أخبار الأندلس والمغرب ، جـ٢ ، تحقيق ح . س . كولان وليفى بروفنسال ، بيروت بدون تاريخ ، وجـ٣، تحقيق بروفنسال ، بيروت بون تاريخ ، دار الثقافة ، بيروت .

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن) ٢٧٦هـ : فتوح إفريقية والأندلس نشر مع الترجمة الفرنسية البير جاتو الجزائر ١٩٤٨م ، طبعة بيروت ١٩٦٤ ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع .

العذرى (أحمد بن عمر) ت ٤٧٨هـ : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ١٩٦٥م.

العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى) ت ٧٤٨ : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار " وصف إفريقية والمغرب والأندلس " ، تحقيق حسن عبد الوهاب ، تونس ١٩٢٤م.

ابن غالب (محمد بن أيوب الأندلسى) توفى فى القرن السادس الهجرى : كتاب فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى بد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد١ ، جزء ٢ ، ١٩٥٥ ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٠م.

ابن الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد) ت ٤٠٣هـ : تاريخ علماء الأندلس ، القاهرة ١٩٦٦م.

أبو الفدا(الملك المؤيد عماد الدين) ت ٧٣٢هـ : كتاب تقويم البلدان اعتنى به وفحصه وطبعه رينوم أرسلان باريس ١٨٤٠م.

النويرى (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم التميمى القرشى) ت ٧٣٢هـ : كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء الثانى والعشرين ، نشر جسبار راميرو ، غرناطة ١٩١٦ ، ١٩١٧م.

القلقشندى (أبو العباس أحمد) ت ٨٢١هـ : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة ١٩١٣م.

ابن القوطية (محمد بن عمرو بن عبد العزيز) ت ٣٦٧هـ : تاريخ افتتاح الأندلس تحقيق عبد الله أنيس الطباع : بيروت ١٩٧٥م ، طبعة رابيرا مدريد ١٨٦٨م ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، الطبعة الأوى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، الناشرون دار الكتب الإسلامية .

ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) ت ٦٨١هـ : تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط ، نصان جديدان ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، نشر معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٧١م.

المراكشى (عبد الواحد بن على) ت القرن السابع الهجرى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربى ، القاهرة ١٩٤٩م ، طبعة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

أبو المحاسن (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى) ت ٨٧٤هـ : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة طبعة دار الكتب ١٩٥٦م،

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان ، بولاق ١٢٧٠هـ .

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) ت ٣٤٦هـ : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة .

المقرى (شهاب الدين أحمد بن أحمد) ت ١٠٤١م : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، تحقيق إحسان عباس ٨ أجزاء ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، تحقيق يوسف البقاعى ، بيروت ١٩٨٦م.

مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق ونشر لافونتى القنطرة ، مدريد ١٨٦٧م.

مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، نشر وتحقيق لويس مولينا ، جـ١ ، مدريد ١٩٨٣م.

مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، ١٩٥٨م.

مجهول : نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموعة المسماة بمفاخر البربر اعتنى بتصحيحها ليفى بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤م .

مجهول : وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، تحقيق حسين مؤنس ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، مجلد ١٠ ، ١٩٦٥م.

مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية مجهول من أهل القرن الثامن الهجرى ، تحقيق شهيل زكار وعبد القادر زمامة . دار الرشاد ، الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

مجهول : مدونة من عصر عبد الرحمن الثالث الناصر :

Una cromica Anonima de Aabd Al Rahman III al NAsir .

نشرها وقام بدراستها وترجمها إلى الإسبانية الاستاذان ليفى بروفنسال وأميلو جرثيه جومث ، مدريد ١٩٥٠م.

الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحى) ت ٩١٤هـ : المعيار المغرب والجامع المغربى عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس ١٢ جزء ، مطبعة الشافعية ، بدون تاريخ ، فاس .

اليعقوبى (أحمد بن يعقوب بن واضح) ت ٢٩٢هـ : كتاب البلدان ، نشر دى غويه ، المجموعة الجغرافية ، ليدن ١٨٩١ - ١٨٩٢م .

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت٦٢٦هـ : كتاب معجم البلدان ، طبع ونشر دار صادر ، بيروت .

ثالثًا : المراجع العربية :

أحمد إبراهيم الشعرواى : الأمويون أمراء الأندلس الأول ، القاهرة ١٩٦٩م.

أحمد بدر : تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، دمشق ١٩٧٤م .

- دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دمشق ١٩٧٢م.

أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ١٩٦٨م.

- الصقالبة فى إسبانيا ، مدريد ١٩٥٣م .

- البحرية الإسلامية فى المغرب الأندلسي بالاشتراك مع عبد العزيز سالم ، بيروت ١٩٦٩م.

جودة الركابى : فى الأدب الأندلسى : القاهرة ١٩٧٥م.

حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى (عصر الولاة) القاهرة ١٩٧٧م.

حسن أحمد محمود : تاريخ الغرب الإسلامى ، الناشر ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٢م.

حمدى عبد المنعم حسين : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة فى عصر الإمارة الأموية ، الإسكندرية ١٩٨٨م.

– ثورات البربر فى الأندلس فى عصر الإمارة الأموية ، الإسكندرية ١٩٩٣م.

حسين مؤنس : فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩م.

سامى مكى العانى : دراسات فى الأدب الأندلس ى ، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره ١٩٧٨م.

سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، دار المعارف ، مصر .

– الإسكندرية الإسلامية ، مقال فى كتاب محافظة الإسكندرية منذ أقدم العصور ، الإسكندرية ١٩٦٣م .

– المدينة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية ، القاهرة ١٩٦٣م.

سحر سالم : التاريخ السياسى لمدينة بطليوس الإسلامية ، طبعة أولى ، الإسكندرية ١٩٨٩م.

شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب فى سويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، بيروت ، ١٩٧٩م.

الطاهر أحمد مكى : خمسة قرون على الخروج من الأندلس ، بحث فى مجلة العربى ، العدد ٤٠٠ ، مارس ١٩٩٢م.

عبد الحميد العبادى : المجمل في تاريخ الأندلس ، القاهرة ١٩٦٤م.

عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ١٩٦٧م.

– أندلسيات ، المجموعة الأولى والثانية ، بيروت ١٩٦٩م.

عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، بيروت ١٩٦٢م.

– تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت .

– قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، بيروت ، جـ١ ، جـ٢ ، ١٩٧١م.

– المساجد والقصور فى الأندلس ، القاهرة ١٩٥٨م .

- تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، بيروت ، ١٩٦٩م.

المغرب الكبير : العصر الإسلامى ، الإسكندرية ١٩٦٦م .

- العمارة الدينية بالأندلس (الكنائس) دائرة معارف الشعب ، عدد ٦١ .

عبد الكريم التوانى : مأساة انهيار الوجود العربى فى الأندلس ، الدار البيضاء ، ١٩٦٧م.

كمال السيد أبو مصطفى : بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٩٣م.

لطفى عبد البديع : الإسلام فى إسبانيا ، القاهرة ١٩٦٩م.

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس .

- العصر الأول - القسم الأول .

- العصر الأول - القسم الثانى .

- عصر ملوك الطوائف طبعة ثانية ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م.

- الاثار الأندلسية الباقية ، القاهرة ١٩٦١م.

محمد عبد المنعم خفاجة : قصة الأدب فى الأندلس جـ١ ، بيروت ١٩٦٢م.

محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٢م.

محمد كرد على : غابر الأندلس وحاضرها ، القاهرة ١٩٢٣م.

رابعًا : المراجع المعربة :

آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة عبد الهادى أبو ريدة ، بيروت ١٩٦٧م .

أ.س. ترتون : أهل الذمة فى الإسلام ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٣م.

دوزى : تاريخ مسلمى إسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٣م.

ستانلى لين بول : قصة العرب فى إسبانيا ، ترجمة على الجارم ، دار المعارف مصر ١٩٦٣م.

ليفى بروفنسال : الحضارة العربية فى إسبانيا ، ترجمة الطاهر مكى ، القاهرة ١٩٧٩م.

خامسًا : الدوريات والرسائل :

حسين مؤنس : قرطبة : مجلة العربى عدد ٩٥ ، الكويت ١٩٦٦م.

- ثورات البربر فى إفريقيا والأندلس ، مجلة آداب القاهرة عدد ١٠ ، ١٩٤٨م.

عبد الواحد ذنون طه : استقرار القبائل البربرية فى الأندلس ، مجلة أوراق يصدرها المعهد الإسبانى العربى للثقافة مدريد ، العدد الرابع ١٩٨١م.

محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، العدد الثانى ١٩٥٤م ،

رجب محمد عبد الحليم : دولة بنو حمود فى مالقة فى الأندلس ، رسالة ماجستير ، ١٩٧٦م آداب القاهرة .

سعد حسين عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ١٤٠٣ / ١٩٨٣ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

سادسًا : المراجع الأجنبية :

- Aguado Bleye : Manuel de la Historia de Espana, t. I, Madrid 1959 .

-R. Altamira : Histoire de Espana Y de la Civilizacion Espanola Barcelona 1900 .

- Ascbacb : Geschichte der Omajaden in Spanien .

- Conde : Historia de la Dominacion de los Arabes en Espana, Madrid (Madrid, 1820 - 1821) 3 Vols.

- R. Dozy : Spanish Islam Histoire des Musulmans d'Espagne, 3Vols, (Leyden 1932) .

- Jose Ramon Melida : Catalogo Manumental de Espana, Provincia de Badajoz. L. I . (Madrid, 1925) .

- Levi Provencal : Histoire de L'Espagne Musulmane , 3Vols, (Leiden, 1950)

L'Espagne Musulmane au xe, siecle, (Paris 1950) .

Les Memoires du Roi Ziride Abdallah, (Al-Andalus, 1935) .

Una Conica Anonima de Abd Al-Rahman Al Masir (Madrid, Granada 1950) .

- Maria J. Viguera : Aragon Musalmans (Sragoza 1981) .
- (G) Marcais : LaBerberie Musulmano (Paris 1946) .
- (R.M.) Pidal : La Espana del cid (Madrid) 1947) .
- (R,B) Serjeant : Islamic textiles Material for a History up to the Mongol Conquest .
- (F.G) Simonet : Historia de los Mazarabes de Espana, (Madrid 1903) .
- Scott : History of the Moorish Empire Vol. I, 1947 .
- (G.F) Seybold : Barshaluna Ency of Islam (1054) .
- (Elias) Teres : Dos Familias Marwanies de Al - Andalus .

فهرس المحتويات

رقم الإيداع ١٨٣٤٥ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 124 - 5
مطابع زمزم ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤
٥٣ شارع نوبار - باب اللوق